

كتب فومية

معركة سيناء

وقناة السويس



تأليف
اللواء أركان الحرب
محمد كمال عبد الحميد



اهداءات ٢٠٠١

السيدة / سيني اللقاني

الإسكندرية

كتب
قومية

معركة سيناء وقناة السويس

تأليف اللواء أركان الحرب

محمّد كمال عبد الحميد

عضو مجلس الأمنة

مقدمة

مرت ثماني سنوات كاملة منذ بدأ العدوان الثلاثي على مصر ، تكتسفت فيها حقائق كثيرة من أسرار هذه الحملة التي ضمت بين دفتيها دروسا كثيرة لم تنشر اليها مجموعة الكتب التي صدرت عنها والتي ظهرت جميعها اثر انتهاء الحملة مباشرة ، فلم يتسع وقت كتابها لدراسة الحملة دراسة عادلة تحليلية ، اذ كانت مصادر هؤلاء الكتاب التي اعتمدوا عليها هي بعض ما نشرته المصنف الاجنبية من تقارير مراسلها من لندن أو باريس أو تل أبيب أو حتى من بعض العواصم الأوربية التي جهلت بدورها تفاصيل المعركة وحقائقها .. فكانت مصادرهم من وجه واحد ، وكانت رغبتهم في سرعة تقديم انتاجهم سببا في عدم استقصائهم حقائق المعركة من المصادر المحايدة أو من المصدر الاصيل .. من مصر التي دارت المعركة على أرضها وبخاصة أن المعركة في حقيقتها لم تكن موقوتة بالايام العشرة التي وصفت بايام العدوان « من ٢٩ من أكتوبر الى ٧ من نوفمبر » ولكن كانت المعركة في حقيقتها سابقة في تاريخها بشهور كثيرة قبل ٢٩ من أكتوبر ١٩٥٦ واستمرت فعليا الى ما بعد ٧ من نوفمبر بشهور أخرى ولكن بأساليب مختلفة عن الاسلوب المألوف لظهر العدوان ..

ولقد كان من بين تلك الكتب التي تناوت معركة سيناء وقناة السويس ما صدر بعد انتهاء المعركة مباشرة بايام معدودة ، وبدا واضحا أنها كانت تكتب في أثناء المعركة ، بل ان بعض فصول هذه الكتب كانت معدة للنشر قبل المعركة ، وكان ذلك اجتهادا مكشوبا من جانب دول العدوان في محاولتها اصدار هذه الكتب تحت اشرافها وبتوجيهها لكي تقدمها للرأي العام العالي الذي تتبع باعجاب وتقدير عظيمين موقف مصر بقواتها المسلحة وتضعها في تخظيم هذا العدوان .

وخرجت منه مرفوعة الرأس أقوى مما كانت عليه من قبل . .
فكان هدف الدول الثلاث أن تضال الرأي العام العالمي وتوجهه
بان الدول المعتدية أحـرزت النصر في الوقت الذي تم فيه
انسحابها . . فكان هذا التعارض بين الادعاء . . والحقيقة
منبتا لعقد نفسية كثيرة أصابت قادة وساسة الدول المعتدية . .
فأمعن في «اغراق» الرأي العام بكثير من المقالات والنشرات
التي وصفت « بطولاتهم » في العدوان ، ولم تهمل أجهزة
دعائياتهم حقائق البطولة التي وقفتها مصر . . الدولة الصغيرة
بمواردها . . القوة بإيمانها وبرجالها وبشعبها وجيشها .

وكانت تلك الكتب التي أشرفت الدول المعتدية على
اصدارها بمثابة الدمي التي قدموها للعالم أيلو بها وينسي
حقائق المعركة ، القصيرة في مدتها والعميقة في نتائجها
ومضاعفاتها ، وينسى بذلك ما حاق بدولتين كبيرتين من دول
« العالم الحر » من أصحاب المقاعد الدائمة بمجلس الأمن
من خزي وعار وفشل سيظل دائما وصمة في تاريخهما .
وصدرت أيضا بعض كتب محايدة في هذا الموضوع ، ولكن لم
تتناول شرح وتحليل المعركة ، بل ركزت اتجاهها على مناقشة
الاعتبارات السياسية التي لازمت المعركة . .

من أجل ذلك كان ضروريا أن تظهر حقائق هذه المعركة
« الخالدة » . فهي لم تكن معركة مصر وحدها . . بل معركة
كل جيل وكل شعب يبنى مستقبله ويدعم كيانه من أجل نفسه
ومن أجل المشاركة الإيجابية في تأمين السلام والرفاهية
للجميع .

وجدير بنا أن ندرس ويدرس أبنائنا من بعدنا معاركنا .
وعلى الأخص تلك التي نخوضها من وحى مصالحنا ولحسابنا
الخاص من أجل الدفاع عن أراضينا وكرامتنا ومبادئنا . . ومن
هذه المعارك ما نقدمه في هذا الكتاب بأسلوب بعيد كل البعد
عن التكلف أو المبالاة أو التفصيل الذي قد لا يهضمه القارئ
العادي . . بل تضمن شرح وتقديم المعارك . . بكل حقائقها
وأحداثها . . وكان مصدرنا في هذا . . الوثائق الرسمية التي
سجلتها كل الدول التي اشتركت في المعركة . . وانه لمن سنن
الحياة . . أن يتعاقب فيها الخير والشر والنجاح والفشل . .

مع تعاقب الليل والنهار .. ولهذا فاننا لم نغفل ذكر الدروس المستفادة من الاخطاء التي حدثت ، وقدمنا اسبابها وظروفها بالعناية نفسها والدقة التي قدمنا فيها انتصاراتنا ونجاحنا .

ولقد كانت ظروف المفاجأة التي تعرضت لها مصر أمام خداع وغدر بريطانيا بالاذات ، ومعها فرنسا واسرائيل .. كان من اثر هذه المفاجأة ان اضطرت مصر الى تغيير خططها وتعديلها في اللحظات الحاسمة للمعركة التي أوشكت فيها مصر ان تقضي نهائيا على اسرائيل لولا اضطرارها الى مواجهة المواقف الجديدة الخطيرة التي فرضت عليها نتيجة للاندثار البريطاني الفرنسي .. ومن أجل هذا كان لابد من ظهور فقايعات أو ثغرات استطاع العدو بها ان يطفئ فيها غليله بنجاحه في ضرب أهدافه والاغارة عليها يحقق وقسوة كشفت شعوره تجاه مصر الناهضة .

ولكن كانت المفاجأة الكبرى التي صدم بها العدو ، كما فوجيء بها العالم كله .. هي ثبات مصر واصرارها على المضي في المعركة الى نهايتها ، وتلبية ما قاله الرئيس جمال عبد الناصر : باننا سنقاتل ولن نستسلم أبدا .

كانت هذه هي اكبر مفاجأة معنوية واستراتيجية وتكتيكية وسياسية قلبت خطط العدو كلها راسا على عقب .. بل وحددت خطط وموقف هيئة الامم المتحدة تجاه هذه المعركة الخالدة التي كانت نقطة التحول في انهيار العدو وخسارته ثم انسحابه ، وكسبت مصر من العدو أضعاف مائة في دور في خيال المتفائلين من المصريين .. وهذا هو سر اعجاز هذه الحملة ، وان معركة سيناء وقناة السويس ليست معركة عسكرية فحسب بل هي: معركة شاملة تصارعت فيها المبادئ والأسلحة والدعاية والموارد والتحالف . كانت حربا فريدة في اسبابها وظروفها وأسلوبها ونتائجها .

وكانت هي المحنة التي اثرت النعم . كانت كالشجرة التي تثبت في التربة السوداء لكي تثمر حلاوة وغذاء .. فحققت مصر بموقفها في هذه المعركة انتصارات باهرة في كل الميادين ... في الاقتصاد .. والسياسة .. والأخلاق .. والحرب .. والمبادئ .. أمام أعدائها الذين سعوا الى الهزيمة

باقدامهم، فاسرعت اليهم الهزيمة التكرار جزاء لهم على مطامعهم
وغدرهم وخيانتهم ، وتعلم الشعب من دفن شهدائه كيف
يستنبت الدم فتنبت به الحرية .. وتعلم كيف يزرع المعرق
فيخرج منه العزم ، وكيف يستثمر المحنة فتثمر له العزة
والمجد ..

هذه معركتنا .. ومعركة كل حر .. وكل مؤمن بحقه
فى الحياة الكريمة ايمانه بربه .. فالايمان هو اكبر علوم الحياة
وامضى سلاح فى المعركة .

ومضت ايام المعركة .. ولكن التاريخ حفظها ووعاها ،
وسجلها فى اروع صفحاته ، لترجع اليها الاجيال المتعاقبة ،
تستلهمها العبرة ، وتستمد منها القوة والعزم على مقابلة
الشدائد بقلب لا يخضع ولا يستسلم حتى يحقق النصر لرسالة
القومية والانسانية .

محمد كمال عبد الحميد

الفصل الأول

السراقة الأولى. من أمريكا..

مالت شمس يوم ١٧ يوليه من عام ١٩٥٦ الى المغيّب ، عندما اقلعت الباخرة الأمريكية « اكستر EXETER » من ميناء اللاذقية الى طريقها الى بيروت ، وقد اصطف الركاب في جماعات متناثرة على سطحها يرقبون ذوبان قرص الشمس الذهبي في الافق الازرق .

وكنّت ضمن جماعة التفت حول مذياع يملكه أحد الركاب من رجال الاعمال الامريكيين بولاية « اللينوى » وكنا نستمع الى نشرة الانباء التي كانت تذاع من محطة بلغراد ، والتي تضمنت تعليقات بعض الصحف العالمية على الاجتماع التاريخي الذي ضم الرئيس جمال عبد الناصر والبانديت نهرو والرئيس تيتو في جزيرة بريوني ، والذي تم قبل ذلك التاريخ بأيام قليلة . . كما تضمنت نشرة الانباء تصريحاً للسفير المصري في واشنطن ، أعلنه عقب عودته للعاصمة الأمريكية من القاهرة ، أبدى فيه تفاؤله بالنسبة لاتجاه الولايات المتحدة لمساعدة مصر في بناء السد العالي « باعتباره مشروعاً حيويًا يزيد من رقعة الأرض الزراعية ومن ثم يؤثر مباشرة على رفح مستوى المعيشة للشعب المصري » . .

وكان صديقنا الأمريكي شديد الاهتمام بنشرات الاخبار منذ تركنا نيويورك في ٢٩ من يونيه . . وربما كان اهتمامه يتتبع الانباء العالمية عن طريق جهاز الراديو الذي أحضره معه راجعاً الى طبيعة عمله كرجل اقتصادي ترتبط أعماله وخططه بالاحداث العالمية . . أو ربما كان ذلك اشباعاً لهويته الكامنة في استقصاء كل جديد من المعلومات ، باعتباره

أحد رجال المخابرات الأمريكية القدامى الذين عملوا فى الحرب العالمية الثانية فى شمالى افريقية وأوربا بعد ذلك . وقد علمنا هذا الجانب الخاص من تاريخ حياة الرجل بمحض المصادفة فى سياق أحاديثنا التى كانت تشترك فيها معنا شقيقته ، وكانت تصحبه فى هذه الرحلة عندما كررت فخرها بأخيها كصديق للرئيس ايزنهاور الذى قاد حملة انزال القوات الأمريكية فى شمال افريقية وفى غزو أوربا .

وكان طبيعيا أن يتسع لنا الوقت ، ونحن بين السماء والماء ، لتبادل وجهات النظر والتطرق بالأحاديث والمناقشات على ضوء ما كنا نسمعه من أخبار الدنيا عن طريق الراديو .. وشاعت المصادفة أن يكون موضوع مناقشتنا تلك الليلة حول فكرة الحياد الإيجابى التى نادى بها ودعا إليها مؤتمر بريونى .. وحول تصريح السفير المصرى فى أمريكا بشأن السد العالى .. وأذكر ما قاله صديقنا الأمريكى رجل الأعمال .. بل ورجل المخابرات السابق .

« انه لا يعتقد أن الولايات المتحدة ستنتظر جديا الى معونة مصر فى بناء السد العالى ، وذلك لاطراد نمو العلاقات بين مصر والكتلة الشرقية منذ توقيع صفقة الاسلحة عام ١٩٥٥ .. ولذلك فهو يكاد يتصور ويعتقد أن مصر قد ارتبطت علبا بصورة ما بالمعسكر الشرقى الامر الذى لايشجع اطلاقا دافع الضرائب الأمريكى بل ولا الحكومة الأمريكية على تقديم أى عون قريب أو معقول لمصر لبناء السد العالى ولا غيره . وعلى الاخص بعد أن اعترفت مصر بحكومة الصين الشعبية ، الامر الذى تعتبره الولايات المتحدة بمثابة صفة قوية وجهت بصفة خاصة للمعسكر الدالاس الذى لن يسكت عنها أبدا . وان ما أعلنه السفير المصرى انها يعتبر محاولة منه فى « توريث » الحكومة الأمريكية أمام الرأى العام فى مصر وفى كل بلاد الشرق الاوسط .. أو ربما كان ذلك مناورة اجتهدية أراد السفير أن يوحى بها للمستردالاس بما تعقده مصر من آمال كبيرة عليه مما قد يثير « نخوته » .. أو ربما أراد أن يفصح بهذا التصريح عما كان يتفاعل فى نفسه هو من أمنيات واسعة كان يود أن تتحقق على يديه ليكسب تقديرا شخصيا » .

هذا مذكره الأمريكى الكبير تلك الليلة ، دونته فى حينه فى مذكراتى التى كنت قد بدأتها منذ قيامى بزيارتى للولايات المتحدة .. وفى الحقيقة شعرت تلك الليلة أن الرجل أفصح عن جوانب كثيرة من كوامن السياسة الأمريكية التى كشفتها الأيام فيما بعد .

وكنا فى سهراتنا بالباخرة نفضل كثيرا الجلوس معه لنستمع الى جهاز الراديو الوحيد الذى استطعنا به الطواف حول عواصم العالم نلتقط منها الاخبار والمعلومات التى لم تتسع لها صحيفة الاخبار اليومية التى كانت تصدرها الباخرة والتى لم تتضمن الا مختارات متنافرة من شتات الانباء التى لم تشبع فضولنا فى معرفة مجريات الاحداث التى انقطعنا عنها عشرين يوما أو أكثر قليلا .

وصلت الباخرة فى صباح اليوم المالى « ١٨ يوليه » الى بيروت وكان بدء عطلة عيد الاضحى . فلم يتيسر للباخره تفريغ شحناتها . فادسعت لنا فرصة التجوال فى عاصمة لبنان يومين كاملين جمعنا فيهما ما استطعنا جمعه من صحف ومجلات ، وعدنا الى الباخرة وكلنا أمل فى ان نتفرغ لقراءة كل تلك الصحف فى رحلتنا الى الاسكندرية .

وفى صباح يوم ٢٠ يوليه برز خبر واحد فى كل الصحف هو « اعلان الحكومة الامريكية سحب عرضها بالمساهمة بمبلغ ٥٦ مليون جنيه للمساعدة فى تمويل مشروع بناء السد العالى بأسوان » .

وقد حملت وكالات الانباء تفسيراً وتعليلاً لهذا النبأ بمزيد من النكهات والمسببات والملاسات . . بل وأشارت الى أن هذا القرار سبق ان تسرب الى الصحف والى جهات مختلفة أخرى قبل اذاعته رسمياً ، مما يدين اصرار مستر دالاس ، الذى اذاع النبأ فى تجاهله للمعبرم الدبلوماسي ، وقال فى تبرير تصرفه « ان حكومة الولايات المتحدة تشك فى قدرة مصر على توفير المبلغ اللازم لكى تساهم به فى بناء السد . ويقدر هذا المبلغ بحوالى ٧٠٠ مليون دولار ، وذلك علاوة على أن مصر لم توافق على التعديلات والشروط التى اقترحت الولايات المتحدة ادخالها على المشروع » !

ولم يذكر المستر دالاس كل الحقائق ، فلم يذكر أن مصر وافقت على تلك التعديلات والشروط . . ويبدو أن تجاهله لهذه الحقائق كان بسبب حقه الشخصي على مصر وعلى رئيسها لأسباب معينة . فقد أغضبه أن مصر اشترت اسلحة من دول الكتلة الشرقية مع أنها لم تفعل ذلك الا بعد أن رفضت أمريكا ودول الغرب بيع الاسلحة لها ، فى حين توسعت فى امداد اسرائيل بالاسلحة ، كما أغضبه أن مصر اعترفت بالصين الشعبية مع أن هذا الاعتراف لايزيد فى دلالة عن أن مصر تتوخى فى علاقاتها الدولية اقرار الواقع وقرار السلام العالمى عن طريق التعاون مع جميع دول العالم واشراكها فى هيئة الأمم المتحدة لدعم هذه المنظمة

وتمكنها من أداء مهمتها في اقرار السلام العالي ، ولم يكن مستر دالاس منطبقا مع نفسه حين ثار على مصر لهذين السببين لان بريطانيا - وهي اقرب الحلفاء الى أمريكا - قد اعترفت بالصين الشعبية وتاجرت مع دول الكتلة الشرقية على نطاق واسع دون أن يجد مستر دالاس في هذا التصرف ما يدعمو الى الدهشة والعجب . ولكنه ثار على مصر ووجد أنه يجب اتخاذ قرار مضاد سريع يحمل معنى تأديبيا ، وفي الوقت نفسه يحقق له فرصة إسترداد كرامته السياسية أمام جبهة السياسيين ورجال الاعمال الأمريكيين وبخاصة كبار الزراع الذين كانوا يعارضون فكرة بناء السد العالي في مصر حتى لا تزيد قدرتها على التوسع في زراعة القطن طويل الثيلة مما يؤثر على إنتاجهم وتجارته .

وفي الليلة نفسها (٢٠ يوليه) اجتمعنا في جلستنا الأخيرة في ركننا المألوف بالبلاخة ، وامتد حديثنا مع صديقنا الأمريكي الذي حاول تفسير وتبرير موقف حكومته الذي لم يفاجئه والذي توقعه قبل ذلك بأيام ، وتطور حديثنا بعد أن سمعنا اذاعة اعلان بريطانيا قرار سحبها القرض الذي كانت ستساهم به كمعونة تدفعها لمصر ومقداره ١٥ مليون جنيه كدفعة أولى . . بعقب رجل الاعمال الأمريكي على ذلك النبأ بقوله بالحرف الواحد :

« ليس هذا هو آخر المطاف ، بل اننا لتتوقع مضاعفات كثيرة ونرجو ان تمر بسلام » .

وكان ذلك آخر حديث له معنا قبل أن نصل الاسكندرية صبيحة اليوم التالي . . في ٧/٢١ - آخر يوم في رحلتى على البلاخة .

مر على ذلك خمسة ايام ، كانت في الواقع نقطة التحول فيها الاسراع بتأميم قناة السويس ا سليمة . . ووضعت خطة ادارة ، بحسب بساطه ضد أى تدخل مفاجيء قد تقوم به جهة من

فكانت هذه الايام الخمسة من ادق الفترات التي اجتازتها حكومة الثورة ، اذ كان عليها تدبير كثير من الامور في حدود هذا الوقت القصير مع ضمان السرية المتناهية .

وقد ارادت مصر أن تضمن سلامة مسلكها واتجاهها قبل اعلان خطتها وعزمها في هذا الموضوع ، فاستفسرت من حكومة الاتحاد

السوفياتى عن مدى استعدادها فى المساهمة فى بقاء الأسد العالى ..
وكان ذلك عقب اعلان قرار الولايات المتحدة وبريطانيا ، وبعد اعلان
البنك الدولى - بعد ذلك - بأنه لم يعد يستطيع اقراض مصر ٢٠٠
مليون دولار وهو المبلغ الذى سبق أن وعد بها به ، وذلك بسبب القرار
الانجلو أمريكى .

فلم يعد أمام مصر بعد ذلك الا أن تستشف سياسات الاتحاد
السوفياتى فى هذا السبيل .. ولكن جاء الرد فى تصريح وزير الخارجية
السوفياتى فى ٧/٢١ بأن « روسيا لاندرس حالياً موضوع اشتراكها
فى تمويل السد العالى .. »

وهكذا تحدد الطريق أمام مصر بأنها لابد ان تعتمد على نفسها ،
بل ولابد أن تعلن قرارها وتصح عن خطتها فى الحال قبل أن تبرد حرارة
التصريحات التى أعلنتها كل من أمريكا وبريطانيا والبنك الدولى وروسيا
ولم يكن ممكناً أن تتم دراسة تنفيذ خطة تأميم قناة السويس خلال يومين
من ذاك التاريخ حتى يعلنها الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه السياسى
السنوى الخطير فى ٢٣ يولى بمناسبة الاحتفال بالذكرى الرابعة لتقيام
الثورة .. ولهذا أرجىء اعلان قرار التأميم الى يوم ٢٦ يولى .. وهو
ايضاً من اهم الايام التاريخية فى سجل الثورة ، اذ هو اليوم الذى طردت
فيه الثورة الملك السابق « فاروق » الى خارج البلاد . وقد أصبح لهذا
التاريخ معنى خاص يفسره كل عام خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى
الاسكندرية .

وسارت الأمور من ٢١ يولى الى ٢٦ يولى فى هدوء وتكتم شديدين
بين جدران مجلس قيادة الثورة فى أرض الجزيرة على النيل .. وتمت كل
الاجراءات الخاصة بتنفيذ خطة التأميم عملياً بمجرد حلول ساعة الصفر
التي حددها الرئيس جمال عبد الناصر بأنها تبدأ بمجرد اعلانه كلمة السر
فى خطابه بالاسكندرية وهى كلمة « دى ليسيس » اذ بمجرد أن ينطق بها
الرئيس فى خطبته بميدان التحرير بالاسكندرية .. يتحرك جهاز تنفيذ
عملية تأميم شركة القناة للاستيلاء على جميع مرافقها فى القاهرة
والاسماعيلية وبور سعيد والسويس .. ويبدأ الجهاز المصرى الجديد
من تلك الساعة مباشرة ادارة مرفق القناة وقطع صلتها بالشركة المتحلة .

وقد سبق ذلك بمدة ان مهد الرئيس جمال عبد الناصر لتأميم شركة
القناة بأن طلب جميع البيانات والمعلومات الخاصة عن القناة ، فاشتركت
ادارة التعبئة وبعض الأجهزة الاخرى فى تجميع كل المعلومات والبيانات

عن شركة القناة المنحلة ، وامكن معرفة كثير من اسرار ادارتها ومعرفة نظام السيطرة عليها . . وبذلك تمت عملية تنفيذ السيطرة على القناة عقب تأميمها مباشرة دون عناء .

وجاءت ساعة الصفر فى السادسة والنصف من مساء يوم ٢٦ يولييه ١٩٥٦ وأعلنت فيها كلمة السر عندما لفظ الرئيس جمال عبد الناصر باسم « دى ليسبس » الذى ضل حكام مصر ، وخان الامانة ، وجعل من القناة سيفا مصلتا على شعب مصر الذى ضحى بمائة وعشرين الفا من ابنائه دفنوا تحت رمال القناة التى لم تجلب لنا سوى المشاكل والمتاعب والاحتلال .

واماض الرئيس فى ذكر أخطار شركة القناة المنحلة على سلامة البلاد واقتصادها ، وأوضح للعالم فى خطابه التاريخى معلومات مذهله عن مدى استغلال هذه الشركة لايراد القناة ، وكيف لم يصل منه الى مصر الا النزر اليسير فى حين انها حفرت بأيدى المصريين ودفعت مصر فيها ملايين الجنيهات . ثم ما لبثت ان خدعتها بريطانيا فاشتريت كل الاسهم التى كنا نملكها . . وأشار الرئيس الى عزم مصر على أن تشق طريقها بنفسها وأن تعتمد على مواردها لبناء السد العالى ، بل وبناء كل مستقبلها، وأن ايراد القناة سيكون كله لنا ، وسيكفى للبدء فى مشروع السد دون حاجة أو انتظار لأية مساعدة من الخارج .

وكان هذا الخطاب هو القنبلة الاولى التى وجهتها حكومة التورة بعد الجلاء (فى ١٨ يونيه) الى كل الطامعين فى مصر ، سواء فى الشرق أو فى الغرب . . وكان ذلك اول ممارسة ايجابية تقوم بها مصر بعد مؤتمر بريوني لتثبيت عزمها وقدرتها على الاخذ بسياسة الحياد الايجسابى ، والاعتماد على نفسها . فضريت بذلك مثالا واقعيا على امكن أى شعب يؤمن بحقته وقدرته أن يخطط لنفسه مصيره ويرسم مستقبله بيده .

ولم ينته اثر الخطاب بنزول الرئيس جمال عبد الناصر من منصبه الخطاة فى ميدان التحرير فى منتصف الساعة العاشرة من مساء ٢٦ يولييه ، بل بدأت أصدااء هذا الخطاب تدوى بين أرجاء الدنيا ، وتحركت الشعوب المهضومة تردد معانى الخطاب وتفتش فيه عن أمانيتها ، وتبنى من حروفه طريق الخلاص من احكار الاستعمار ايا كانت صورته . . . وأصبحت قصة تأميم قناة السويس بمثابة انقلاب تاريخى عالمى اجتاحت أطراف الارض ، ونقطة تحول كبرى فى تاريخ التحرر العملى للشعوب . .

وقبل القاء هذا الخطاب . . كانت هناك أحداث ترتب وتخطط فى

منطقة التل الكبير ، التي كانت مركزا كبيرا لمخازن القوات البريطانية التي جلت عنها ، وتركبتها لجماعة المتعمدين البريطانيين الذين تولوا الاشراف الفنى على صيانة ما بالمخازن من معدات وأدوات توطئة لبيعها أو نقلها على حسب ما يتفق عليه . فقد كان السفير البريطاني يزور الخبراء البريطانيين الذين كانوا بمنشأة التل الكبير ، وجرى اجتماع بين السفير وكل من المستر فودن المشرف على شركات المتعمدين البريطانية التي تولت حصر وصيانة المعدات المعدنية بمنطقة قاعدة القتال ، وكان معه مساعد المستر كيمل والمستر ستوكس مدير الشركة الموجودة بالمنشأة ، وعدد آخر من كبار الموظفين البريطانيين . . وأوضح السفير لهم عن مخاوفه من قيام الحكومة المصرية بإجراء مضاد لقرار سحب تمويل أمريكا وبريطانيا والبنك الدولي للسد العالي . . وأشار الى أنه من بين الاحتمالات التي يوقعها - أن لم يكن أخطرها - هو استيلاء الحكومة المصرية على منشأة المتعمدين البريطانيين الذى حلوا محل القوات البريطانية فى القناة للمحافظة على صيانة المعدات والأجهزة والأسلحة التى تركتها القوات البريطانية بمخازن قاعدة القتال عقب الجلاء عنها . . نوطئة للتصرف فيها فيما بعد ، خلال مدة السنوات السبع اللاحقة لتنفيذ الجلاء كما نصت عليها الاتفاقية المبرمة بين مصر وبريطانيا فى أكتوبر سنة ١٩٥٤ .

وكان سبب توقع السفير لهذا الاحتمال ، هو أن الرئيس جمال عبد الناصر لا يمكن أن يسكن على ما نعله بريطانيا وأمريكا ، وأنه لا بد أن يتخذ إجراء حاسما وسريعا ، ولا بد أن يعلن عنه فى خطاب الليلة (١٩٥٦/٧/٢٦) إذا لم يكن ممكنا أن يدبر أمرا خطيرا ويكفل له سلامته التنفيذ ويعلنه فى ٧/٢٣ لضيق الوقت . ونظرا لأن الولايات المتحدة لم يكن لها مرافق فى مصر يمكن أن تتعرض لإجراء انتقامى ، فإن ضربة مصر ستكون موجهة مباشرة الى بريطانيا التى لم يعد لها فى مصر سوى مرافق منشأة القاعدة التى خشي السفير استيلاء مصر عليها .

وبدت هذه الاحتمالات معقولة جدا ، مما ترتب عليه بقاء السفير فى منطقة التل الكبير واستمراره فى عقد عدة اجتماعات محلية لحراسة الموقف على ضوء ما أوضحه السفير ، وتخلل هذه الاجتماعات حفلة كوكتيل شهدها عدد كبير من أعضاء المنشأة وقرروا فيما بينهم بعد ذلك ترحيل عائلاتهم من منطقة التل الكبير الى الاسماعيلية حتى لا يتعرضوا للحصار أو العزل أو أية مضايقة فى حالة قيام الحكومة المصرية بالاستيلاء على مخازن المنشأة ومرافقها كإجراء مضاد لقرار بريطانيا تجاه السد العالي .

ولم يقتصر نشاط الانجليز فى منطقة القناة عند هذا الحد ، أو عند تلك الصورة ، فلقد كانوا يتوقعون حدثا خطيرا من جانب مصر يعلن عنه الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابيه المنتظر فى تلك الليلة . . فطلبوا السماح بنزول قوة جوية فى مطار أبى صوير بعد أربعة أيام مؤلفة من :

١ قاذفة قنابل متوسطة نفائة من طراز كاتبرا .

٢ « طائرة قتال » نفائة من طراز فينوم .

٣ طائرات ركاب من طراز فالينا .

١ طائرة ركاب من طراز فايكنج .

وعلاوة على ذلك طلبوا تصريحاً بمرور قوة جوية أخرى فوق منطقة القنال بصفة خاصة مكونة من :

١ قاذفة قنابل نفائة من طراز كاتبرا .

٤ مقاتلات نفائة .

٤ مقاتلات نفائة طراز فينوم .

١ طائرة قتال نفائة طراز فينوم .

٣ طائرات قتال هاستنج .

١ طائرة نقل طراز واشسطن (تحمل ٢٠٠ راكب ومسدس من العربات) .

ويبدو من ذلك أن الغرض المقصود من وراء هذه المطالب هو اظهار الضغط العسكرى على مصر بتلك القوة الجوية ، وبخاصة أنه لم يكن ممكناً استدعاء أية قوات بحرية أو برية للتظاهر بالضغط بعد أن تم الجلاء فعلا .

ولكن كانت هذه المطالب من جانب الحكومة البريطانية أمراً شاذاً مريباً غير عادى وبخاصة بعد اعلان الحكومة البريطانية سحب تمويلها لمشروع السد العالى وبعد توقعها اتجاه مصر للقيام بعمل حاسم لن يكون بأية حال منفقا مع مصالحها . . ولذلك أرسلت مصر رفضها لجميع هذه المطالب ، وأرسلت القيادة الشرقية المصرية بالاسماعيلية الى رئاسة القوات الجوية البريطانية فى تبرص الرد التالى على المطالب السابقة ، « أنه لن يسمح باجابة الطيران البريطانى الا بالشروط الآتية :

(١) مبنوع منها باتنا الطيران فوق القناة بل تستخدم المرات الهوائية المتفق عليها سابقا بين القيادة الشرقية والطيران البريطاني فى محاضر رسمية ومعلمة على الخرائط .

(ب) نظرا للالتزامات المحلية وازدحام مطار أبى صوير ، فان الطائرات التى تصل المطار قبل « سعت ٨٠٠ » وعددها خمسة (وهى ٢ مقاتلات نفائة مبنوم ، عدد ٣ ركاب فالىنا) يجب أن تغادر المطار قبل المجموعة التى تليها .

(ج) معرفة حمولة طائرات النقل التى ستهبط بالمطار .

(د) يكون الرد بالموافقة على هذه الشروط قبل اعطاء الاذن .

ووصلت الموافقة على جميع هذه الشروط وقد اتخذت القيادة الشرقية وقيادة الطيران المصرية الاجراءات الكفيلة لمواجهة أى احتمال بوضع دفاعات كافية بالمطار وغيره من المناطق الحيوية بالقناة ودوريات قتال مستمرة من سلاح الطيران فوق منطقة القناة .

وبذلك بدأت بريطانيا معركتها مع مصر بهذه الصورة التقليدية التى مارستها دائما باظهار قوتها المسلحة على المسرح الذى تريد أن تلعب عليه دورا معيناً . . ولكنها فوجئت باجراءات وأساليب جديدة لم تعهدها من قبل .

وقامت القيادة الشرقية للقوات المصرية فى منطقة القتال باتخاذ كل التدابير اللازمة لتأمين المنطقة وبخاصة الدفاع عن مطار أبى صوير ضد أى احتمال لانزال قوات بريطانية فيه .

كما صدرت تعليمات الأمن والحراسة للكتائب المخصصة لحراسة وتأمين المنشآت البريطانية بقاعدة القتال والتشديد بعدم السماح بدخول أو خروج أى أصناف أو معدات من وإلى هذه المنشآت الا بتصريح كتابى من رئاسة القيادة المصرية الشرقية (عدا المياه ، والمأكولات) .

وكانت هذه الاجراءات المعالجة ضرورية للسيطرة على الموقف فى قاعدة القناة خشية أن تقوم بريطانيا بأى عمل عدائى أو تخريبى ثم تنسبه الى مصر لتبرر به أى تدخل عسكري من جانبها بدعوى الدفاع عن مصالحها ؟

وقد نشطت المراسلات الشفوية بين قاعدة قبرص والتل الكبير ليلة تأميم القناة ، كما وصل رسول خاص فى صباح يوم ٧/٢٧ يحمل

رسالة من السفارة البريطانية الى مدير المنشأة بالتل الكبير ، ولم يكن هذا الرسول يحمل معه تصريحاً من القيادة المصرية ، لذلك لم يستطع الدخول فاضطر الى طلب التصريح .

وتتابعت مظاهر النشاط البريطانى فى منطقة القتال عقب اعلان التأميم ، اذ هبطت فى مطار ابي صوير فى صباح اليوم التالى للتأميم طائرة تحمل رسالة سرية للغاية من رئاسة القوات البريطانية فى قبرص . وقد أمكن تقدير خطورة وأهمية هذه الرسالة ، اذ كان فى انتظارها المستر دتيس براون القنصل البريطانى بالاسماعيلية . والذي توجه فى اليوم التالى لاستلامه هذه الرسالة (٧/٢٨) الى مقر شركة قناة السويس ودخل اليها من الباب الخلفى بعد أن ترك سيارته بعيدة عن مقر رئاسة الشركة وذلك امعانا فى التستر .

وكانت كل هذه الظواهر تشير الى أن الامور ستتطور الى احتمالات ومضاعفات كثيرة ، اقتضت كلها اعلان حالة الطوارئ فى القوات المسلحة المصرية ودراسة الموقف ومناقشة احتمالاته المختلفة . . مع اتخاذ اجراءات عاجلة اقتضتها ضرورة تأمين البلاد ضد أى خطر مفاجئ . .

فقامت القوات المسلحة فى البر والبحر والجو باتخاذ عدتها ، وبخاصة فيما يتعلق بحراسة الشواطىء والمطارات واعداد وسائل الانذار المختلفة وبخاصة ضد الهابطين بالمظلات فى منطقة القناة والقاهرة والاسكندرية ومنطقة سيناء ، وتنسيق أعمال شبكات الرادار بما يكفل تغطيه كل الاهداف الحيوية بنطاق دقيق من وسائل الانذار واستدعاء القوات الاحباطية على فترات متقاربة لتدريبها .

وبدأت أجهزة الدولة تنتقل تدريجيا من الاطار التقليدى الذى كان يحيط بها الى ميدان جديد هو الاستعداد الجدى لطوارئ قد يطول مداها ، أو يتطور أمرها الى حرب . . وشارت ادارة التعبئة رسالتها واخصاصها فى حصر موارد الدولة من جميع القوى والموارد البشرية والاقتصادية وكذا مرافق الخدمات العامة وقياس قدراتها وامكانياتها وتحديد احتياجات جميع القطاعات وتقدير المطلوب من جميع المواد لمواجهة مطالب الطوارئ ، وانشاء مكاتب خاصة لتعبئة قوى كل الوزارات المختلفة ، وكذا الشركات والمؤسسات الاهلية الخاصة والعمامة . . وبدا ذلك عقب اعلان التأميم ، واسمرت العملية فى طريقها دون أن يعلن أمر أو قرار التعبئة العامة ، وإنما تم ذلك كاجراء وقائى أثر ثمرته عندما بدأ العدوان . وسنتناول هذا بالتفصيل فيما بعد .

وبدأت مضاعفات التأمين تطفو على انباء العالم .. وقد ظهر بعضها علانية ودار بعضها فى تكتم شديد .

وكان معنى التأمين متفاوتا عند الدول التى تأثرت مباشرة به ، وان كان مذاقه مريرا عندها جميعا .

فمعناه عند بريطانيا هو :

١ — ضياع أرباح ضخمة من عائدات الاسهم التى تملكها الحكومة البريطانية والشعب البريطانى .

٢ — انحسار باقى الهيئة البريطانية بالمنطقة عقب الجلاء عن مصر .

٣ — امكان خنق اقتصادياتها بتحكم مصر فى مرور البترول اليها .

٤ — انهيار مراكزها فى الشرق الاوسط وبخاصة فى دائرة حلف بغداد .

٥ — احتمال زيادة أسعار الوقود فى بريطانيا بنسبه ٣٠٪ اذا اضطرت السفن الناقلة للبترول الى المرور حول رأس الرجاء الصالح مستقبلا .. علاوة على ضياع كثير من الوقت فى هذا الطريق .

٦ — زيادة فى أسعار جميع البضائع التى تنتجها الصناعات التى تعتمد على البترول ، سواء كقوة محركة أو كمادة خام .

٧ — احتمال انتقال عدوى فكرة التأمين لباقى مرامق بريطانيا فى الشرق الاوسط وبخاصة مرافق البترول .

٨ — الرد على قرار سحب تمويل السد العالى ..

وبالنسبة لفرنسا :

١ — ضياع كل أمل لها فى استثمار أموالها عن طريق الشركة المنحلة .

٢ — انتهاء باقى علاقتها الفعلية بالشرق الاوسط .

٣ — انهيار مركزها السياسى والاقتصادى سواء أمام الراى العام المحلى أو أمام الراى العالى .

٤ — ضربة قوية فى معنوية قواتها المقاتلة فى الجزائر .

٥ — زيادة فى تكاليف الانتاج الصناعى والزراعى والخدمات العامة بما يزيد ارباح الشعب الفرنسى ، الذى ارهقته فعلا تكاليف حرب الجزائر ، وكذلك حرب الهند الصينية من قبل .

٦ — احتمال تأثر موقف فرنسا فى مستعمراتها الافريقية نتيجة لنجاح مصر فى حركة التأميم .

وبالنسبة لاسرائيل :

١ — زيادة فى قوة مصر السياسية والعسكرية والاقتصادية .
٢ — رفع الروح المعنوية للعرب فى كل مكان ، والامل فى أن يؤدى نجاح التأميم الى توحيد جبهة الامة العربية .

٣ — ضياع فرص الحصول على معلومات عن امكانيات مصر وقواتها فى سيناء أو فيما وراء القنال غربا بعد التأميم ، اذ كانت اسرائيل تعتمد كثيرا على شركة القناة المنحلة كمصدر دقيق خطير فى تجميع المعلومات عن مصر من كل الوجوه ، مما كان له اثره الخطير على عمليات الجيش المصرى فى سيناء عام ١٩٤٨ وما بعد ذلك ..

٤ — تأكيد وتثبيت عزم مصر على منع أية محاولات تقوم بها اسرائيل لاجتياز قناة السويس ..

وبالنسبة لأمريكا :

١ — ضربة مضادة لقرار سحب التمويل للسد العالى .
٢ — ابعاد نفوذ الغرب عن مباشرة الاشراف — بأية صورة كانت — على الملاحة فى القناة بالرغم من كثرة مصالح الغرب فى الشرق الاوسط .

٣ — حرمان الدول الغربية من المعلومات التى كانت تمدها بها الشركة المنحلة عن النشاط التجارى للدول الاخرى مع الشرق الاقصى والاطلس وأوربا .

٤ — حرج موقفها ازاء أية محاولة لها ، لتأييد أو مساعدة اسرائيل .

٥ — تحرج موقف حليفتها فرنسا وبريطانيا سواء بالنسبة لعلاقات الولايات المتحدة بحلف شمال الاطلسى أو بحلف بغداد ، واعتماد دول الاطلسى على البترول الذى سينقل من الشرق الاوسط عن طريق قناة السويس .

وكان هناك عامل مشترك التقت عليه مخاوف هذه الدول . . وهو أن تأميم شركة قناة السويس كان انتصارا رائعا لسياسة الرئيس جمال عبد الناصر وتثبيتا عمليا لمكانته في نفوس العرب ، بل وفي نفوس كل المجاهدين من أجل حرياتهم ضد الاستعمار . .

فاعتبرت هذه الدول أن قرار التأميم كان ضربة شخصية وجهها الرئيس جمال عبد الناصر الى كل من وقف ضده في مطالبه سنوءا لتسليح الجيش أو لتمويل السد العالي . . ومن هنا زاد العداء الشخصي الذي يحمله كبار رجال الغرب للرئيس المصري ، لأنه استطاع أن يهزم ويفاجئهم بالرغم من تكتلهم وسابق تدبيرهم .

ولذلك بدأت خطط الغرب تأخذ اتجاهها وهدفها للمقضاء على « ناصر » .

وأما بالنسبة للأمة العربية . .

فكان تأميم شركة القناة مرحلة جديدة في تطور الوعي القومي بها بصفة عامة ، وفي مصر بصفة خاصة ، إذ فتح آفاقا جديدة لمفهوم التحرر الاقتصادي واستكمال التحرر السياسي ، فكان التأميم أسلوبا عمليا للقضاء نهائيا على مخلفات الاحتلال والاحتكار والاستغلال من جانب القسوى الاستعمارية . . كما كان تطبيقا عمليا وممارسة واقعية للسيادة الذاتية والثقة بالنفس .

وبالنسبة للعالم . .

لم يقتصر تفسير معنى التأميم على منطقة القنال وحدها . . ولا منطقة الشرق العربي فحسب . . بل كان له أثر عميق في جميع أرجاء العالم ، تردد صداه بسرعة في كثير من المناطق . . فقامت حركة جديدة في اندونيسيا لتأميم المرافق الكبرى التي كانت تحتكرها هولندا . . ونشطت حركات المطالبة بتأميم المؤسسات والمرافق العامة في دول أمريكا اللاتينية ودول آسيا . . وكان المعنى العام وراء كل هذه الانعكاسات القومية هو . . اتجاه الشعوب المهضومة الى التحرر الفعلي من سيطرة رأس المال الاجنبي والحكم الاستعماري . فكان تأميم القناة في مصر ايذانا بفتح عالم جديد في دنيا التعامل السياسي . . وكان أيضا نقطة تحول بارزة في تصديد العلاقات بين الدول الكبرى والدول الصغرى .

وكان متوقعا أن تفهم حركة التأمين لدى كل دولة بالمعنى الذى يخصها من حيث مدى تأثيره على أهدافها أو من حيث مخاؤها من مضاعفات التأمين بالنسبة لمصالحها ، لا فى مصر فحسب ، بل فى كل بقاع العالم .
أو قد تفهم تلك الحركة على أنها تحريض للدول التى ترى فى التأمين متنفسا لها على الاقتداء بما فعلت مصر . . وكان لا بد أن تصطدم هذه المشاعر المتعارضة فى فهم واستقبال حركة تأمين شركة قناة السويس . . أى أنه كان متوقعا أن يحدث صراع عنيف بين جبهة القوى الاستغلالية التى تمثلها الدول الاستعمارية فى شخص بريطانيا وفرنسا بالذات ، وبين جبهة القوى التحررية التى تمثلها الدول الواعية الى استكمال سيادتها واستقلالها وبناء كياناتها فى شخص مصر . .

ولذلك أوضحت الحكومة المصرية للعالم كله تأكيدها على احترام وتأمين حرية الملاحة فى القناة المؤمنة ، بل وأعلنت عزمها على تحسين المرفق بما يكفل مضاعفة طاقته وصلاحيته لخدمة النقل البحرى ، ومن ثم لخدمة الاقتصاد العالمى ذلك الأمر الذى أهملته الشركة المنحلة والتى عبثت به من أجل مطامعها الذاتية . . وقد تضمنت سلسلة البيانات والتفسيرات التى أعلنتها مصر (سواء عن طريق الحكومة أو عن طريق الهيئة الوطنيه الجديدة التى تم تشكيلها يوم ٢٦ يولييه لمباشرة ادارة مرفق القناة . .) تضمنت هذه البيانات أمثلة واقعية عن تقصير الشركة المنحلة وعدم وفائها بالالتزامات القانونية التى اربطت بها لتحسين وصيانة المرفق .

فقد كان العروض — مثلا — أن تقوم الشركة القديمة — وفقا لما ورد فى العقد المبرم معها عام ١٩٥٦ — فى تحويل بحيرة التمساح الى ميناء داخلية صالحة لرسو أكبر السفن حمولة . . وفى أعداد ميناء بور سعيد لمسيرة احتياجات التجارة العالمية . .

فقد أشير الى هذه (العبارة بالذات) فى العقد الذى أعيد إبرامه بين الشركة وبين حكومة عام ١٩٠٢ .

ومعلوم أن أعداد ميناء التمساح لرسو أكبر السفن حمولة كان يقضى استمرار تحسينها وتعميقها واطراد هذا التطور مع تطور صناعة السفن وكذلك الشأن بالنسبة لميناء بور سعيد ، ولكن الشركة المنحلة تجاهلت هذا الالتزام ، ولم تفكر فى الوفاء به بالرغم من مضي ١٠٠ سنة تقريبا على توقيعها لأول مرة عام ١٨٥٦ مما أضاع الكثير من الفائدة على مصر فقد اكتفت الشركة باستنزافه بأقل تكاليف وأقل جهد من جانبها ، بالرغم من مطالبة مصر لها بالوفاء بشروط التعاقد ، مما كان سببا رئيسيا فى التفكير

فى التأميم كوسيلة مباشرة لاسترداد الحقوق الى اضعافها الشركة حماية للاستعمار الذى استغل الشركة كجهاز للتجسس الحلى لحسابه على سلامة الدولة ، ولم تستطع مصر قبل الثورة أن يكسب شيئاً من حقوقها لخضوعها للاستعمار وعملائه من الحكام الذين حكموها طوال السنين التى سبقت ٢٣ يولييه ١٩٥٢ .

ومرت الايام مشحونة بالقلق والتوتر وهاجت الصحافة الغربية واشعلت ثورة عصفية منظمة بين الراى العام فى بلادها لمهد بذلك الى الاقتناع بضرورة اتخاذ اجراء تأديبى لمصر جزاء ما أقدمت عليه مما هدد مصالح الغرب واقتصاده ورفاهيته .. بل بما مهد لقيام حالة من التوتر فى الشرق الاوسط قد تؤدى الى حرب عالمية ثالثة .. واستنهرت الصحافة العالمية المأجورة للدعايات الصهيونية والاستعمارية تضرب على هذا التوتر ، وبخاصة فى تلك الظروف التى كانت الحرب الباردة فيها قد بلغت ذروتها بين الكتلتين الشرقيه والغريه .. وكان طبيعيا أن تنعكس صورة هذه الثورة المدبرة على ميدان المعركة القادمة .. على قناة السويس .. اى على مصر .. فبدأت الاستعدادات الشائنة فيها لمواجهة احتمالات المؤامرات الاستعمارية تتم فى هدوء وثقة ، وكانت الروح المعنوية ، روح الثقة بالنفس والعزة والكرامة ، قد غمرت كل المواطنين . فكنت ترى رجل الشارع مرفوع الرأس ، ينطلق فى ثقة الى غده البلاسم بعد تأميم شركة القناة .. وكنت ترى الجندى البسيط ، والعامل فى مصنع والموظف الصغير فى مكتبه يحدثك عن تاريخ القناة وعن حقه فيها وعن عزمه على افتدائها بحياته ، بعد أن عادت اليه بتلك الصورة الكريمة التى خططها ونفذها جمال عبد الناصر ..

وتطورت الأحداث السياسية بين لندن وباريس وواشنطن لمحاولة انقاد ما يمكن انقاذه بعد أن أكدت مصر عزمها على الدفاع عن قرارها وحققا .. فقامت محاولات لتكوين جمعية المننمين بقناة السويس ، وأعلن ايدن فى مجلس العموم .. أن الجمعية ستستخدم مرشديها ، وستعهد — باعتبارها جمعية اخباريه — بأن تقوم بممارسة حقوق الدول المنتفعة بالقناة ، وبسيطلب من السلطات المصرية التعاون مع هذه الجمعية لزيادة عدد السفن المارة بالقناة الى الحد الاقصى ، وقال رئيس الوزراء البريطانية يهدد مصر فى تلك الجلسة : —

« ان مصر لو تدخلت فى العمليات التى يقوم بها جمعية المننمين أو رفضت أن تظهر لها الحد الأدنى من التعاون الضرورى الذى لابد منه ..

فإن هذه الحكومة تكون قد انتهكت اتفاقية عام ١٨٨٨ وفى هذه الحالة فإن حكومة صاحبة الجلالة البريطانية وغيرها من الحكومات المعنية سيكون لها حرية اتخاذ الخطوات الأخرى التى تبدو ضرورية .

وهكذا اتضح اتجاه السياسة البريطانية وما تضمنه من نية العدوان ، ولكن متى سيكون هذا العدوان ؟ وكيف سيكون أسلوب تنفيذه ، ومن الذى سيشارك فيه ؟

كانت هذه الأسئلة حديث كل فرد ، وكان متوقعا أن يكون لإسرائيل دور خاص فيه ، وأنها ستكون أداة للعدوان وستنتهز فرصة الحيرة الكبرى التى تردت فيها بريطانيا وفرنسا لتحقيق أطماعها . . . إذ لا بد أن يكون لها نصيب من الكسب إذا نجحت الدولتان فى خطتهما ضد مصر .

وفى الوقت الذى نشطت فيه المناورات السياسية بين بريطانيا وفرنسا . . . كانت طلائع العدوان فى طريقها الى مالطة وقبرص كما نشطت سفارات بريطانيا وفرنسا نشاطا غير عادى فى دول الشرق الأوسط وعلى الأخص فى الدول العربية . . . ولم يخف هذا النشاط على الكثيرين ، إذ أمكن رصده وملاحقته واستشفاف خطواته وآثاره أولا بأول .

فقد حدث أن سافر من تل أبيب الى قبرص ثلاثة من كبار ضباط إسرائيل واجتمعوا بالجنرال هاردنج والجنرال سير رتشارد جيل . وكان ذلك عقب عقد المؤتمر السياسي الخاص بين أيدن وجى موليه وسلوين لويدي وكريستيان بينو ، وفى الوقت نفسه حدث أن استفسر السفير البريطانى فى عمان من وزير خارجية الأردن « عما ستخذه المملكة الأردنية الهاشمية من إجراءات لحماية الأجانب إذا نشب قتال فى منطقة قناة السويس » وكان جواب الوزير الأردنى « أنه إذا كانت إسرائيل ستشارك فى هذا القتال فإن الجيش الأردنى سيخوض المعركة وعندئذ لن يستطيع الوزير أن يتكهن بنتيجة ثورة الشعور الشعبى ازاء الأجانب والمطارات الانجليزية والمنشآت العسكرية » .

وكان هذا الرد بمثابة إنذار صريح لبريطانيا ترتب عليه أن أجاب السفير « بأن المطارات الأردنية التى تحتلها القوات الجوية البريطانية لن تستخدم ضد مصر » ولكن لم يستطع السفير أن يخفف شعوره وحققه فأعلن فى حفلة خاصة بمنزل أحد الضباط البريطانيين فى الجيش الأردنى بمدينة الزرقا « بأنه بات متوقعا قيام بريطانيا باحتلال مصر . . . وأن إسرائيل مستعدة هى الأخرى ، إذا لم توفق لجنة منزيس فى مهمتها

بمصر من أجل اقناع حكومة « ناصر » بالتساهل المعقول في موقفها من قضية الناميم .

ولقد تأيدت هذه النوايا بصفة مبدئية عندما نشطت حركة الحشد في جزيرة قبرص وحركة الدوريات البحرية البريطانية أمام الشاطئ ، وبدأ حشد بعض الوحدات والمعدات الميكانيكية في ليبيا .

أما من جانب فرنسا فقد ارتبطت فعلا بإسرائيل ارتباطا كاملا وأكد كريستان بنو وزير الخارجية الفرنسية بأن حكومته ستكون دائما على استعداد لمساعدة إسرائيل ، وتأكد ذلك بإرسال مجموعات ضخمة من طائرات القتال الفرنسية النفثة من طراز «ميسير» إلى إسرائيل . وبذلك انتهكت فرنسا الميثاق الثلاثي الذي التزمت به مع بريطانيا وأمريكا بشأن حظر إرسال أسلحة إلى الشرق الأوسط . بل وتمادت فرنسا إلى أبعد من ذلك ، إذ أرسلت بعثة عسكرية فرنسية من الطيارين والخبراء للاستعانة بهم في تدريب قوات إسرائيل بل وفي استخدام الطائرات إذا حل موعد العدوان قبل استكمال تدريب الضباط الاسرائيليين .

واخسيت هذه الاجراءات من جانب فرنسا لمساعدة إسرائيل بتوقيع اتفاقية سرية عسكرية في ١٠ من أكتوبر في باريس وتبعها مسيو آيل توماس من فرنسا . والمستر بيريه عن إسرائيل .

فرصة ضاعت على بريطانيا :

وكان ممكنا لبريطانيا — لو صلح تفكيرها — أن تثير فرنسا وإسرائيل على مصر وأن تتركهما للقيام بالعدوان المسلح عليها وكان يمكن لكل من الدولتين أن تجد لعدوانها مبررا .

فإسرائيل كانت تريد لنفسها حرية الملاحة في القناة وقد عجزت عن تحقيق هدفها وقت أن كانت الشركة المشرقة عليها تحت سيطرة الفرنسيين والانجليز . . فماذا سيكون أملها ومستقبلها في الملاحة بالقناة بعد أن تأملت الشركة وأصبحت مصر وحدها هي المسيطرة الفعلية على حركة الملاحة في القناة ؟

وفرنسا قد خبرت الملايين بسبب ضربة التأميم وبسبب تأييد مصر للأحرار الجزائريين .

وكان قيام فرنسا بالهجوم على مصر من شأنه أن يتيح لبريطانيا نرصة للمطالبة بعودة قواتها إلى قاعدة قناة السويس ، وفقا لما تضمنته

اتفاقية الجلاء التي جاء فيها أن لبريطانيا أن تعود بقواتها الى قناة السويس خلال ٧ اعوام من تاريخ توقيع الاتفاقية فى حالة تعرض مصر للهجوم على اراضها من أية دولة معادية ، عدا اسرائيل .

ومعنى ذلك انه اذا طالبت بريطانيا بعودة قواتها ، فسيكون أمام مصر احتمالان : أولهما أن تقبل هذا الطلب ، وبذلك تعود بريطانيا الى القناة دون قتال . . وثانيهما — وهو المنتظر — فهو أن ترفض مصر هذا الطلب ، وبذلك سيكون أمام بريطانيا حجة قوية لتطالب مصر بتنفيذ شروط اتفاقية الجلاء ، وأن بريطانيا « مضطرة » لاستخدام قوتها حتى تنفذ هذه الشروط .

ولكن كان سوء تصرف أيدي وحكومته ، من اثر حنقه الشخصي على الرئيس جمال عبد الناصر سببا فى غياب هذا الاسلوب عنه ، مما أوقع بريطانيا فى مأزق حرج أضاع كل ما كانت تتمسك به من أوام أو آمال فى العودة الى القناة بصورة أو بأخرى أو حتى الارتباط بعلاقة طيبة مع مصر . . اذ كان مسلكها العدوانى الغادر سببا فى نخلى مصر عن كل التزامات اتفاقية الجلاء واستيلائها على كل المهمات والمعاهدات البريطانية التي كانت فى مخازن قاعدة القتال باعتبارها غنيمة حرب . .

وبدأت اسرائيل من الاسبوع الاول من أغسطس تمارس مقدمات دورها المنتظر فى الخطة العدوانية فنشطت دورياتها فى الجبهة الشرقية أمام قطاع غزة وأمام حدود الأردن وأمام منطقة العوجة ، وزادت حدة هذا النشاط بعد ان نيقنت اسرائيل عزم فرنسسا — بصفة خاصة — على الاشرار معها فى العدوان المنتظر على مصر ، والذي قدر مدتها أن يكون فى أوائل نوفمبر ، فى الوقت الذى نكون أمريكا فيه مشغولة بانتخاباتها التقليدية لرياسة الجمهورية . . وفى الوقت الذى يرجح أن تكون فيه روسيا متورطة فى مشاكل أوروبا الوسطى فى بولندا والمجر . . قبل أن تحكم الأردن الوزارة الجديدة التى قد تسفر عنها انتخابات ٢١ من أكتوبر والتى يخشى أن تكون موالية لمصر ، ولذا وجب أن يكون العدوان مكررا قبل أن يستقر الامر لهذه الحكومة باتفاق ما مع مصر . وقبل أن نسيطر فعلا على الجيش الأردنى سيطره فعليا لمجس منه جناحا وقتائيا مساعدا للقوات المصرية .

مؤامرات المغرب :

وكان هناك خلاف بين بريطانيا وفرنسا في مسألة موقف الأردن وقتئذ ، فقد رأت بريطانيا أن تتظاهر إسرائيل بنشاط خداعي ضد الأردن مما يثير فكرة ارسال قوات عراقية اليه بحجة المحافظة على حدود الأردن ضد الخطر الصهيوني . . وعندئذ تتمكن القوات العراقية في الأردن من السيطرة على الانتخابات الاردنية بما يكفل تشكيل حكومة موالية لبريطانيا والعراق ، أي لحلف بغداد ، الامر الذي يعزل الأردن عن مصر وسورية ، وبذلك تتفرغ القوى الغربية كلها لمصر « المعزولة » ولكن كان لابد لهذه السياسة أو لهذه الخطة البريطانية من أن تحظى بموافقة فرنسا ، ولكن فرنسا رفضتها نظرا لخوف إسرائيل أن يكون دخول القوات العراقية للأردن نقطة تحول كبيرة لاثارة الشعور المحلي العربي ضد إسرائيل اذا ما اشتركت في عدوانها مع فرنسا على مصر . . أي أن دخول القوات العراقية قد يؤدي الى كارثة على سلامة إسرائيل بدلا من أن يكون سببا في عزل الأردن عن مصر .

ففشلت هذه الخطة للخلاف بين المتآمرين في وجهات النظر .

وبدأت فرنسا تقدم مقترحاتها من أجل القضاء على نظام الحكم في مصر ولكن هذه المقترحات لم تلق أي قبول من سياسة بريطانيا بالرغم من اتفاق الدولتين في هدفهما المشترك الذي أبقى على مظهر التعاون العام بينهما فيها بعد .

وكان على إسرائيل أن تواصل استعدادها في تدريب قواتها وحشدتها واعداد مواردها للدور الذي تنتظر أن تقوم به بصرف النظر عن تفاصيل معالم هذا الدور الذي سيكون في مضمونه العام . . اعتداء على مصر ، وكانت تشعير بوطاة الخلاف بين وجهتي النظر البريطانية والفرنسية ، ولم تكن تعلم تماما كيف سيتم الاتفاق بينهما على الخطة المشتركة المنتظرة ، فأرادت أن تقوم من جانبها بإجراء بارز يلفت نظر الدولتين الى أهمية الدور الذي يمكنها اسناده الى جيش إسرائيل . . ومن جهة أخرى فقد أرادت إسرائيل أن تبأشر مظهرا من النشاط لحسابها الخاص حتى تختبر به مدى ما يمكن للأردن ومصر من التعاون معا تجاه أي عدوان إسرائيلي على الدولتين . . فبدأت بنشاطها العدواني على الأردن لأغراض كثيرة أرادت أن تحققها بضربة واحدة :

اذ أرادت سبر غور جدية التعاون بين القوات المصرية والاردنية .

واثارة بليلة محلية في الاردن تشغل اهله عما تنويه اسرائيل مستقبلا ضد مصر مما يؤمن ظهرها في هجومها على سيناء ، واثبت وجودها وقوتها لكل من فرنسا وبريطانيا حتى تطبئن الدولتان الى اشراكها معهما في خطتهما ضد مصر .

وفي تلك الفترة بالذات كان ايدن يفكر في ان يشن حملته العدوانية وحده على مصر بعد ان ضاق ذرعا بالمقترحات والشروط الفرنسية ، وبعد ان عجز عن الوصول الى اى اتفاق مع الولايات المتحدة بشأن مشكلة القناة ، مما اثار اعصابه ودفعه الى محاولة العمل لحسابه الخاص بالهجوم المباشر على مصر . . ومهد لذلك بارسال دوريات جوية وبحرية بصورة ملحوظة لاكتشاف الساحل المصرى ومنطقة القناة امام بور سعيد علاوة على مضاعفة تكديس المهات والمؤن في ليبيا ومحاولاته المتعددة للحصول على موافقة حكومة ليبيا على السماح لقواته بالتحرك من قواعدها بها في زحفها على مصر . . وارسل من اجل ذلك حوالى ٢٠٠ ناقلة للذبابات للمساعدة في تحريك فرقته المدرعة من طبرق الى الحدود المصرية مستقبلا .

كما بدأت مشاة الاسطول البريطانى في مالطة بالتدريب على اعمال الغزو والاقتحام من اجل احتلال ميناء الاسكندرية بالذات . ودارت مناقشات كثيرة حول الاستعداد في ليبيا . . باعتبارها متاخمة لمصر ومشتركة في حدودها معها ، مما يسهل على القوات البريطانية التحرك الى القاهرة عبر الصحراء الليبية بمساعدة الطيران والهابطين بالمظلات ، وبخاصة ان بريطانيا كانت تقدر وتتوقع ان يكون الدفاع المصرى مركزا على وجه الخصوص في منطقة القناة وفي شبه جزيرة سيناء مما يسهل معه الهجوم من جبهة ليبيا .

وكانت القيادة البريطانية تدرس كيفية التغلب على مشكلة النقل في ليبيا الى الحدود المصرية وما بعد هذه الحدود الى الاسكندرية مثلا او القاهرة . وكانت المشكلة هي في قلة كفاية سكة حديد ليبيا ، اذ لم يكن متوافرا لها سوى ١٥ عربة سكة حديدية للنقل ولم يكن هناك أية ورشة لضمان اصلاح القاطرات والعربات ، ورفض الملك ادريس السنوسى ان تكون بلاده قاعدة لتهديد مصر او الهجوم عليها . وكان هذا الرفض بجانب المشاكل الادارية التي واجهتها القيادة البريطانية سببا في ان يعود ايدن مرة اخرى الى الاخذ بفكرة الاشتراك مع فرنسا واسرائيل في عملية مشتركة واسعة ، تبدأ من حدود سيناء الشرقية الى القناة الى الاسكندرية فالقاهرة ، وكان يرى في هذا الاتجاه الجديد املا في تصفية متاعبه ومخاوفه

من الموقف الذى تورط فيه ، وبخاصة بعد أن فشل فى ضم الاردن الى حلف بغداد ، كما فشل فى سياسته التى مهد بها ارسال قوات عراقية الى الاردن ، الامر الذى عارضته فرنسا واسرائيل على السواء .

وقد دارت هذه الأمور بين لندن وباريس وتل أبيب فى جو مشحون بالتوتر والقلق ، وبخاصة بعد أن فشلت مؤتمرات لندن ولجنة منزيس ومحاولات مجلس الأمن للوصول الى حل خاص يضمن رضا كل الاطراف المعنية بقضية قناة السويس . . واكفهر الجو على نحو ينذر بالخطر فى اية لحظة . . ولكن كان احتمال قيام حرب جديدة بعيد التصور ، نظرا لأن وقوع أى صدام مسلح واسع المدى فى منطقة قناة السويس سيؤدى حتما الى أزمة عالمية قد تمهد لحرب عالمية ثالثة ، الامر الذى لا يرضاه العالم ، والذى سيترتب عليه مضاعفات وأخطار جسام على الدول الكبرى لاتقاس اليها أخطار تأميم القناة كما تراءت لاهام هذه الدول . . اذ كان معروفا أن قيام الحرب فى منطقة القناة سيؤدى الى تعطيلها وتوقف الملاحة بها ، الامر الذى سيتمدد خطره المباشر الى أوروبا الغربية بصفة عامة والى بريطانيا وفرنسا على وجه الخصوص . ولكن كانت بوادر الحرب تقترب رويدا رويدا ، وكان الامل أن نكون هذه البوادر مظهرا للضغط أو الارهاب المعنوى . واستمرت هذه الظواهر والاستعدادات تتزايد يوما بعد يوم ، وأصبح موقف القوات المحتشدة للعدوان موزعا كما هو مبين فى الفصل التالى .

الفصل الثاني

توزيع القوات قبل العدوان

كانت القوات البريطانية والفرنسية موزعة قبل العدوان بين قبرص ومالطة وليبيا والجزائر والبحر الأحمر واستمرت عملية الإمداد والحشد مستمرة بين هذه القواعد الهجومية وبين القواعد الرئيسية في فرنسا والجزيرة البريطانية ، وكان موقف هذه القوات في يوم ٢٥ من سبتمبر كالآتي :

القوات البرية

أولا — في قبرص :

حشدت بها من القوات البريطانية الوحدات الآتية :

مجموعتان للوئين من المشاة (رقم ٥٠ ، ٥١) في نيقوسيا وفيماجوستا .

عشر كتائب مشاة حول نيقوسيا ، وعلى الساحل الشمالي والساحل الجنوبي وفي المنطقة الوسطى .

آلأى سيارات مدرعة موزعا بين نيقوسيا وفيماجوستا وليماسول .

٢ آلأى مدفعية ميدان في فيماجوستا وليمنى .

١ آلأى مدفعية متوسطة في باتقوس .

١ آلاى مدفعية مضاد للطائرات خفيف
موزعين حول المطارات
١. آلاى مدفعية مضاد للطائرات ثقيل
ومستودعات البترول
فى لارنكا .

مجموعة اللواء السادس عشر للمهايطين بالمظلات فى منطقة نيقوسيا
ومع هذه الوحدات كل العناصر الادارية اللازمة للخدمة فى شئون النقل
والصيانة والتموين .

كما تم حشد بعض القوات الفرنسية فى قبرص ، وتضمنت
الوحدات الآتية :

اللواء العاشر لجنود المظلات فى منطقة جنوب غرب مطار تمبو
وكتيبة من الفرقة الأجنبية .

ثانيا - أما القوات التى حشدت فى مالطة فقد تضمنت

مجموعة اللواء الثالثة المشاة بكتائبه الثلاث .

كتيبة مشاة اضافية .

لواء من القداميين البحريين (الكوماندوز) كاملا بكتائبه الثلاث
آلاى سيارات مدرعة .

آلاى خفيف مدفعية مضادة للطائرات .

آلاى ثقيل من المدفعية المضادة للطائرات

وحدات مختلفة من مدفعية الميدان .

وحدات ادارية متنوعة لخدمة هذه القوات .

ثالثا - فى ليبيا : تجمعت القوات الآتية

رئاسة الفرقة العاشرة المدرعة .

آلاى دبابات سنتوريان فى سبراتة بطرابلس

آلاى دبابات سنتوريان فى المرج ببرقة .

آلاى مدفعية ميدان ٢٥ رطلا فى طرابلس .

ورش ومستشفيات ومهمات المهندسين ووحدات خدمة الجيش

موزعة فى منطقتى طرابلس وبرقة ، وبخاصة بعد اضافة العربات النازلة للدبابات واستكمال حاجة كل هذه القوات من الذخائر للحرب .

رابعاً — فى الأردن : كانت قوات بريطانيا موزعة فيه كالآتى :

آلاى دبابات ثقيلة من طراز سنتوريان فى العقبة (عدا أورطة) .
الأورطة الباقية من آلاى الدبابات السنتوريان فى معان ومعها مسريه مشاة وفصيلة رشاشات متوسطة فى العقبة ، بطارية مدفعية ميدان ٢٥ رطلا وثروب مدفعية مضادة للدبابات ١٧ رطلا فى العقبة ومستودعات مهمات وذخيرة وعربات لاعمال النقل والتجوين فى الزرقا ، ٥٠ عربية ناطلة للدبابات الثقيلة فى العقبة .

خامساً — وأما فى عدن : فقد حشدت بها كتيبتان من المشاة .

وبالنسبة للقوات البحرية التى حشدت فى المدة نفسها وفى هذه القواعد نفسها فكانت كالآتى :

أولاً — أسطول البحر الأبيض المتوسط موزعاً بين قبرص ومالطة بصفة أساسية علاوة على القطع التى كانت راسية فعلاً فى موانئ طبرلون ووهران بالجزائر ، جاهزة تحت الطلب . وكانت القطع الانجليزية مكونة من :

- ٤ حاملات طائرات (ايجل ، ثيسوس ، بلوراك ، اليبون) .
- ٥ طرادات .
- ١٢ مدبرة .
- ٧ غواصات .
- ٩ كاسحات الغام .
- ٢ « باثة الغام » .
- ١١ ناطلة للجنود .
- ١١ سفينة شحن للدبابات .
- ٢ « سفينة ورشة صيانة » .
- ٢ « سفينة تجوين واطدادات » .

٢ ناقلات للبترول .

١٤ زورقا حربيا صغيرا . فى طبرق .

٨ زوارق حربية كبيرة .

أما القوات الفرنسية فكانت مؤلفة من :

١ « البارجة جان بارت (التوام للبارجة ريشيليو) » .

٣ « حاملة طائرات » (لا فاييت ، أرموتائس) .

٤ « طرادات » (جورج ليجوس ، دى جراس) .

٤ مدمرات .

٨ مرقاطات .

٣ غواصات .

ثانيا — وكان اسطول البحر الاحمر مكونا من :

١ طراد نيوفولاند .

٢ « مدمرة » (ديانا أخرى من طراز دارنج) .

٣ « سفن تموين » .

وبعض سفن ناقلة للزيت .

وكانت مجموعة هذه القطع تعتمد على قاعدة عدن كمركز رئيسي لها .

أما بالنسبة للقوات الجوية فقد كان توزيعها كالاتى :

فى قبرص :

٣ « سرب فينوم » .

٢ « سرب مقاتلات متيور »

فى مطار

٥ طائرات متيور للتصوير

أكروتيرى

٥ طائرات كانبيرا للتصوير

٣ طائرات انسون للنقل الداخلى

٢ « سرب هنتر »

٢ « سرب فامبير »

١ « سرب هليوكوبتر » | في مطار نيقوسيا

٣ « سرب نقل جنود »

سرب نقل طائرات فرنسية في مطار تمو .

وفي مالطة كان بها :

{ « سرب قاذفات قنابل نفائثه كاتبرا » (٦٠ طائرة) .

١ سرب فينوم .

ملاحظة : (وكل هذا بخلاف الطائرات الموجودة على حاملات الطائرات الأربع السابق ذكرها) .

وفي ليبيا كانت هناك :

.. بعض الطائرات من طراز متيور وكاتبر وطائرات النقل في مطار العظم .

وفي الأردن : سرب من طائرات فينوم

وأعداد من طائرات متيور وفامبير في مطار عمان

وهذا علاوة على الاهتمام الخاص الذي أبدته بريطانيا بتحسين مطار المفرق استعدادا لاستقبال كل أنواع الطائرات ولمداده بالمخازن اللازمة لأخيرة الطائرات النفائثه وقطع الغيار اللازمة .

وفي عدن : حشد بها :

٢٥ طائرة فينوم

١٥ طائرة فامبير

٦ طائرات هنتر

٣ طائرات كاتبرا

وأما بالنسبة للقوة الجوية الفرنسية فكانت موزعة بين حاملات

(٤٣) معركة سيناء — ٣٢

الطائرات (لافاييت ، أرموناش) وبين ميناء طولون. وبين قواعد اسرائيل *
اذ ان فرنسا لم تكثف بإرسال الطائرات الى اسرائيل ، بل أرسلت طياريتها
الى مطارات اسرائيل للخدمة فيها بجانب قيامهم بتدريب الطيارين
الاسرائيليين .

وقد رأى أن الحشود البريطانية كانت بطبيعتها أكثر عددا ، وقد
اقتضى أمر تجميعها بتلك الصورة الى سحب بعضها من قواعدها في المانيا
الغربية ، بل وإلى استدعاء قوات كثيرة من الاحتياطى العام فى بريطانيا .
وبدأت عملية التدريب تدخل طور التنفيذ الجدى ، واشتركت القوات
الفرنسية والبريطانية فى قبرص فى هذا التدريب على العمليات المشتركة
ليلا ونهارا وخاصة فيما يتعلق بتكتيكات الهاربين بالمظلات ورجال الغزو
من الفدائيين .

وبجانب ذلك ضاعفت بريطانيا نشاطها فى قبرص ومالطة لتوفير
التموين والترفيه. وبدى فى البحث والتنقيب عن موارد جديدة لمياه الشرب
فى قبرص بعد أن زادت الطاقة الاستهلاكية عن امكانيات الموارد الموجودة
بها . . وكان من جراء البحث عن موارد المياه أن تسربت أنباء وتفاصيل
جديدة عن تطور الزيادات فى عدد واحجام القوات المحتشدة فى قبرص . .
مما كان ينذر باقتراب العاصفة . .

أما بالنسبة لاسرائيل فقد ظلت قواتها موزعة بالقرب من الحدود ،
ولم يكن هناك ما يدعو لإرسال قواتها الى الحدود فى وقت مبكر ، اذ من
المعلوم أن اسرائيل بحكم ضيق عبق أراضيها يمكنها تحريك قواتها من أى
جزء منها الى باقى أجزائها بسرعة فى أقل من يوم ، وكانت هذه الخاصية
الاستراتيجية سببا فى امكان توجيه اسرائيل تهديداتها للجبهة السورية
حينا وللأردن حينا آخر وللحدود المصرية أحيانا وبسرعة ، اذ توجد بها
شبكة جيدة من طرق المواصلات التى شقها الانجليز فى عهد انتدابهم على
فلسطين لخدمة تحركاتهم الاستراتيجية فى أثناء الحرب العالمية الثانية بين
العراق والأردن وسورية ومصر .

ولهذا ظلت قوات اسرائيل فى قواعدها ومراكزها ، وإن كانت قد
اتخذت مظاهر مختلفة للاستعداد ، سواء من ناحية استدعاء بعض قواتها
الاحتياطية . . أو من حيث التدريب المتواصل على الاسلحة والطائرات
الفرنسية .

وكان التوزيع العام للقوات الاسرائيلية على الجبهة السورية

والاردنية ، فى منطقة ممر القدس ، وخذلة ، وصرفند ، والرملة وعافر ، علاوة على القوات الموزعه على حدود لبنان الجنوبية الى بحيرة طبرية وكذا بين صفد ، ورشبينا . وكذلك القوات التى كانت موجودة فى المثلث من عفولة وبيسان وجنين ومنطقة القدس .

أما بالنسبة لتوزيع قواتها أمام الجبهة المصرية فقد حاولت اسرائيل عدم البدء فيه الا قبل العدوان بأيام قليلة كمظهر من مظاهر الكتم والمفاجأة .

التخطيط للعدوان

بينما كانت المحاولات والمناورات السياسية تدور فى ذروتها بين الدول الكبرى سواء بالاتصالات المباشرة فيما بينها . . أو بين أروقة المنظمات الدولية . . فى مجلس الامن وفى البنك الدولى . . وفى محكمة العدل الدولية فقد كانت الاستعدادات العسكرية مستمرة بدورها بين قواعد بريطانيا وفرنسا من جانب ، وفى قبرص ومالطة واسرائيل وعدن من جانب آخر . . وكانت بريطانيا أكثر حماسة للأخذ بفكرة الاجراء العسكرى لتصفية الموقف المائع الذى تورط فيه ايدن وحكومته أمام الراى العام البريطانى ، وكان ايدن شخصيا يميل الى هذا الاجراء اعتقادا منه بأنه لن يطول أمده ، بل وسيحقق الأمل الكبير الذى كان يراوده فى العودة الى قناة السويس التى جلا عنها بقواته منذ أربعين يوما فقط قبل اعلان تأميمها . . ذلك أن عهداء المحافظين من أهل العقلية الرجعية الاستعمارية قد أوسعوه لوما وتندرا وتهكما ، وأفاضوا فى النواح على مستقبل الامبراطورية الذى انهار نتيجة « لحماقة » وتساهل ايدن برضوخه لمطالب « عبد الناصر » وسحب القوات البريطانية من القناة فى ١٨ يونيه سنة ١٩٥٦ . .

فكان رئيس الوزراء البريطانى يفصح عما كان يتفاعل فى صدره من مشاعره المختلفة تجاه الرئيس المصرى الشاب الذى كسب منه جولة الجلاء وجولة عدم انضمام الاردن الى حلف بغداد . . وكذا جولة التأميم التى كانت هى القضية . . فكان ايدن يتعجل بنفسه اجراءات استدعاء القوات الاحتياطية ، وترحيل الوحدات العسكرية الى مالطة وقبرص ، وكان كثير القلق حول مستقبل الرصيد البترولى فى الجزيرة البريطانية ، اذ كان يتصور أن الرئيس عبد الناصر بعد أن تهدأ ثورة التأميم سيتخذ خطوة أخرى كمنع مرور ناقلات البترول عبر قناة السويس أو ربما يتخذ اجراء أخف من ذلك يحمل فى مظهره وحقيقته طابع التحكم والعنف كرفع اتاوة

المرور فى القناة ، وسيترتب على ذلك فى الحالتين تصدع كبير فى نظام الحياة العامة ببريطانيا بصفة خاصة لأنها تعتمد أساسا على بترول الشرق الاوسط من أجل حياتها ، سواء فى الحقل الانتاجى أو فى محيط الخدمات العامة .

وكان هذا التفكير المضطرب الذى سيطر على ايدن هو الذى صبغ كل تصرفاته بالاضطراب والاهتزاز وعدم التركيز .. بل تمخضت من ذلك عدة محاولات لغزو الاسكندرية وتطويقها والانطلاق المباشر الى القاهرة لاحتلالها وتصفية نظام الحكم فيها .. ولكن ايدن كان دائم التردد حتى فى الطريق الذى كان يتمنى لنفسه أن يتخذه وسيلة لبلوغ أهدافه واطفاء حقد .. اذ كان يخشى أيضا الفشل فيه ، فتكون الطامة الكبرى .. ومن أجل خوفه من هذا الاحتمال .. كان يقبل الراى والنصح بالانتظار لعل الظُروف السياسية الدولية تتغير .. أو لعل مسلك الحكومة المصرية تجاه موضوع التأميم يتعدل .. أو لعل شكاوى الدول المنتفعة بالملاحه فى قناة السويس تزداد قوة نتيجة عجز الهيئة المصرية لادارة القناة الخ .. فكان يمنى نفسه بذلك ، وكان يرتاح الى نصائح من أمهلوه عن العدوان حتى تسنح الفرصة المناسبة التى تبرر استخدامه للقوة أمام بريطانيا وأمام الراى العام العالمى ..

ولكن مرت الايام ثقيلة .. بطيئة دون أن تبدو فى الافق بوادر احدى الاحتمالات التى كان ينتظر ايدن تحقيقها .. فبدأ سياسة جديدة من أجل اختلاق أو اصطناع هذه الاحتمالات وذلك بالتدبير لتعطيل القناة لتوريط مصر وكشف عجزها تمهيدا لاحتلال القناة عسكريا بدموى تأمين الملاحه فيها ، وكان أول اجراء تم الاتفاق عليه بين فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة هو أن تطلب الشركة المنحلة من مرشديها القدامى الانسحاب من خدمة الهيئة المصرية وعدم التعاون معها .

وكان المفروض فى تقدير وتخطيط هذه السياسة أن تتوقف الملاحه فورا ، لعدم امكان عبور القوافل للقناة بدون مرشدين لها ، وخاصة أن هذه الخطة كانت قد تضمنت أيضا حشد اكبر عدد ممكن من السفن التجارية من مختلف الاحجام لكى تتجمع فى وقت واحد عند نهايتى القناة أمام بور سعيد — والسويس انتظارا لعبور القناة من جهيبها مما يزيد فى دقة الموقف وحرص الهيئة المصرية لادارة القناة التى لم يكن معقولا — من وجهة نظر الدول الغربية — أنها تستطيع مواجهة هذا الموقف الشاذ الجديد .

ولكن كانت النتيجة لذلك عكسية تماما .. اد استقطاعت مصر الاستعانة بضباطها من القوات البحرية لمواجهة الموقف الحساس الذى نجم عن انسحاب المرشدين فجأة وبدون أى انذار سابق .. ففسارت الملاحه بصورتها الطبيعية بالرغم من ضخامة عدد السفن التى حشدت فى تلك الفترة .. وكان هذا الموقف الدقيق فرصة ذهبية أثبتت فيها مصر قدرتها الفعلية على ادارة مرفق القناة فى أشد وأحرج الظروف ، بالرغم من انسحاب المرشدين بتلك الصورة المفاجئة الخسيسة التى حملت معنى التخريب وسوء النية .

ولا شك أن نجاح مصر فى اجتياز تلك الازمة .. وبذلك الصورة الهادئة دون أن تتعثر ادارتها لمرفق القناة .. كان سببا جديدا ضاعف من ثورة ايدن وجنونه .. اذ أفلتت منه الفرصة التى كان يتوق اليها .. ليستند عليها من أجل التمهيد لتبرير خطته العدوانية المنظرة .

ولقد كانت عملية تجنيد الضباط المصريين من القوات البحرية للقيام بأعمال المرشدين عملية قاسية للغاية اذ أعطيت الاولوية لهيئة القناة على حساب نشاط وتدريب القوات البحرية .. وكان لابد من ذلك انقذا للموقف ، ولكن الى حين .. الى أن تزول الازمة المصطنعة التى دبرتها الشركة المنحلة مع الدول الغربية صاحبة المصلحة فى تدبير كل هذه الازمات .. ولذلك أعلنت مصر استعدادها لقبول تعيين مرشدين من جميع انحاء العالم بالشروط السخية التى سبق للشركة المنحلة أن وضعتها ولكن لم يعلن عن هذا الطلب الا بعد أن انتظمت الملاحه فعلا مما أثبت للعالم كله صدق نوايا مصر للمحافظة على المرفق وسلامة الملاحه فيه ، فكان ذلك خير دعاية لمسلك حكومة مصر والهيئة العليا لقناة السويس .. فتفتحت أفاق جديدة لكثير من المرشدين الدوليين الذين لمسوا عمليا حقائق الأمور بعد هذه التجربة ، فتقدم للامتحان بعض الالمان والايطاليين والامريكيين والبولنديين والروس للعمل كمرشدين ، وبذلك فشلت المحاولة الانجلو فرنسية عن هذا الطريق .. وضاعت على المرشدين القدامى فرصة البقاء فى وظائفهم بالرقم من وعود الشركة المنحلة لهم بصرف مرتباتهم فى باريس بصفة دائمة الى أن تنتهى عقودهم .. ولقد فأت على الشركة المنحلة ، كما فأت على الحكومتين الانجليزية والفرنسية أن تنفذ خطة سحب المرشدين فور اعلان التأميم .. فربما كان ذلك أكثر ملاءمة للخطة العدوانية التى استهدفت توريث مصر وكشفها بالعجز عن ادارة الملاحه فى القناة .. ولكن يبدو أن شدة الصدمة التى فوجئوا بها من اعلان التأميم وسرعة السيطرة المصرية على القناة كانت مذهلة لدرجة أنها

أعمت أبصار قادة العدوان وجمدت تفكيرهم فلم يفيقوا منها الا مؤخرا
بعد أن أعدت مصر عدتها لمواجهة كل احتمال .

وبعد أن فشلت هذه المؤامرة .. لم يكن هناك مخرج أمام لندن
وباريس الا الاتجاه الصريح باستخدام القوة العسكرية لاحتلال القناة ..

ولكن كيف يتم الاحتلال ؟

ومتى يكون ذلك ؟

وفى أى اتجاه يكون البدء ؟

ومن أى مكان توجه الضربة الكبرى ؟

ومن الذى تكون له القيادة العليا ؟

وما السبب الذى يتخذ حجة لتبرير العدوان ؟

ومن المقصود به مباشرة ؟ شعوب مصر أو جمال عبد الناصر أو
القومية العربية أو الحركات الاستقلالية بصفة عامة ؟

وما المدة التى يجب أن تتم فيها هذه العملية ؟

وهناك أسئلة أخرى كثيرة ظلت بغير جواب الى أن استقر الراى
على أن يكون :

التوقيت فى نوفمبر .

والمكان فى منطقة القناة بعد أن تعذر على بريطانيا الاعتماد على
قاعدتها فى ليبيا لبدأ هجومها بسبب بعض المصاعب الادارية الخاصة
بالنقل والتموين من جهة .. وبسبب معارضة الملك اديس السنوسي
شخصيا فى أن تكون بلاده قاعدة لتهديد مصر أو الهجوم عليها ..

وبذلك تحددت المنطقة والتاريخ .. وبقي أن يحدد من الذى يبدأ
الضربة الاولى ومن الذى يسدد الضربة القاضية ..

وكانت الظروف فى الاردن — كما سبق أن أوضحنا — تسير فى
طريق التطور القومى ، وبدأت بوادر تشير الى أن الانتخابات التى حدد لها
يوم ٢١ أكتوبر ستكون فى صالح العناصر القومية ، أى فى صالح
السياسة التى تنهجها مصر . ومعنى ذلك أنه اذا طال الصبر على الاردن
ليسير فى هذا الطريق الجديد فسيكون بمثابة جناح قوى لمصر .. فى

الموقت الذى تدبر فيه بريطانيا وفرنسا الخطط لاضعاف مصر .. بله
وللقضاء عليها ..

ولهذا كان ضروريا أن تكون مقدمة العدوان منبعثة من اسرائيل ..
وأن تمارس دورها على مرحلتين ..

الأولى : اجراء هجوم مخادع على الأردن لى تجمد الجيش الأردنى
وترهقه بالاستعداد والانتظار ، فاذا ما حان وقت العمليات فى الجبهة
المصرية يكون هذا الجيش قد استنفد كثيرا من صبره وقدرته .
والثانية : أن يكون الهجوم الاسرائيلى على مصر بعد أن تتحقق
اسرائيل من تجميد القوات الاردنية ..

وكان ممكنا لاسرائيل تحريك قواتها بسرعة من جهة الى أخرى نظرا
لوجود الطرق المعبدة التى سبق لبريطانيا أن أنشأتها مدة الحرب الثانية ،
ونظرا لقصر المسافات بين حدود اسرائيل الشرقية مع الاردن وحدودها
الغربية مع مصر .

وكان المفروض أن يكون دور اسرائيل فى هذه المعركة رئيسيا نظرا
للأمانى الكبيرة التى كانت تعلقها على نتائج هذه المعركة سواء من حيث
ابتلاع قطاع غزة وضمه اليها .. أو من حيث احلال شبه جزيرة سيناء
تحقيقا للحلم التقليدى الذى ينادى به زعماء الحركة الصهيونية وهو مد
حدود اسرائيل الغربية الى ضفاف النيل كما هو مدون على اللوحة المثبتة
بمد مدخل الكنيسة .. أو حيث التحرير المطلق من الحصار العربى
والفوز بحرية الملاحة فى قناة السويس ..

وأخيرا كان أهم الاهداف التى تتحمس لها اسرائيل هو القضاء على
القوات المصرية المسلحة بعد أن وصلت الى مستوى ممتاز فى التسليح
والتدريب والتنظيم حتى أصبحت فعلا أخطر وأكبر قوة عسكرية فى
الشرق الأوسط .. وكان هذا الأمل الأخير هو حجر الزاوية فى استقرار
اسرائيل وسلامتها بل وفى بقائها كدولة .. ولذلك بدأت تستعد لدورها
الكبير فى المعركة المنتظرة . وكان يراودها أمل النجاح فى عملياتها ، اذ
كانت تعلم أن وراءها شريكتين، هما فرنسا وبريطانيا ، وأن لهما دورا
خاصا .. متمما للدور الذى ستقوم به .. وكانت مزهوة بهذا الانتساب
للدولتين الغربيتين بعد أن لمنست منهما 'جدية الاتجاه العدوانى' ، وخاصة
بعد أن أرسلت فرنسا لها طائرات المستير والطيارين والخبراء ، وبعد أن
حشدت بريطانيا قواتها فى قبرص استعدادا للبدء فى القتال . وبعد أن

وقعت الاتفاقية العسكرية السرية بين اسرائيل وبين فرنسا وبريطانيا في ١٦ أكتوبر . وبذلك لم يعد هناك مجال لتراجع اسرائيل اذ لن يوجد لها الزمان بفرصة مثل هذه الفرصة . . لانها كانت تقدر أن النصر معقود سلفا لقوى العدوان الثلاثي لا محالة ، نظرا للتفوق العسكري الهائل الذي كان لبريطانيا وفرنسا ونظرا لتوقعها انهيار المقاومة المصرية أمام قوى الدول الثلاث التي نشد من أزرها الاساطيل الانجليزية والفرنسية في البحر والجو . . ونظرا لان هذه الدول كانت تتوقع قيام ثورة داخلية في مصر ضد الرئيس جمال عبد الناصر ، كما كانت تفيد بذلك كل التقارير السرية الاسرائيلية والفرنسية والبريطانية . لهذا كان حلم اسرائيل هو أن تلتصق نفسها بعملية عسكرية ناجحة ماصلة ضد مصر . . فتستريح الى الابد وتبدأ في تنفيذ خططها التوسعية شرقا الى الفرات . . وبذلك يكون دور اسرائيل في المعركة القادمة هو املها الوحيد وفرصتها الذهبية للانطلاق من بورتها المحاصرة الى افقها الرحيب .

وفي ١٧ أكتوبر . . اى اليوم التالي لتوقيع الاتفاقية العسكرية بين دول العدوان . . خطب بن جوريون في الكنسيت خطبا مطولا دعا فيه الى أن يدرك كل مواطن في اسرائيل أن العدو الحقيقي القوي له هو مصر بقواتها المسلحة الضخمة التي جعلت من سيناء قاعدة عسكرية للانقضاض منها على شعب اسرائيل . وأفاض بن جوريون في أن سبب هذا الاتجاه العدواني في مصر هو رغبة حكامها في القضاء على اسرائيل وانهم عقدوا العزم على ازالتها ، الامر الذي يحتم على كل اسرائيلي أن يستعد للجولة القادمة مع مصر . . وأن الصبر على أعمال الفدائيين المصريين الذين يتسللون الى قلب اسرائيل انما ينذر بأخطار كبرى تقتضي اليقظة والاستعداد للبذل من أجل سلامة البلاد .

ومرت على ذلك أيام قليلة ، استكملت فيها اسرائيل وضع خططها النهائية في ٢٩ من أكتوبر بعد أن يمهّد للعمليات بإذاعة مبررات شكلية حول اسنمرار نشاط الفدائيين في قطاع غزة ، بقصد التمويه والتضليل عن حقيقة النوايا المرسومة مع بريطانيا وفرنسا . . وكانت الخطة العليا تيا في العملية اشتراكا فعليا حتى تقع الذي أعد لها لكي نتجمع في شبة جزيرة
هـ العدوان الاسرائيلي . . وكان هناك احتمالان :

١. أولهما : اما أن تنجح اسرائيل في القضاء على القواب المسلحة المصرية ، وبذلك يخف العبء كثيرا عن فرنسا وبريطانيا ، اذ قد لا يحتاج

الامر عندئذ الى الاشراك بقواتهما العسكرية المسلحة فى بلوغ هدفهما من حيث السيطرة على القناة وفرض شروطهما ، الى غير ذلك .

وآخريهما : واما أن تعجز اسرائيل فى الوصول الى نجاح ما أمام القوات المسلحة المصرية ، وعندئذ ستقوم مصر باستغلال انتصارها على اسرائيل بأن تباشر العمليات العسكرية الى داخل اسرائيل نفسها . وهذه ، كما نعلم كل من فرنسا وبريطانيا واسرائيل ، أمنية كل مصرى بل وكل عربى للقضاء النهائى على اسرائيل . ومعنى ذلك أن مصر ستقذف بقواتها الضاربة وبأسرع ما يمكن الى قلب اسرائيل ، وبذلك يبقى ميدان القناة مفتوحا أمام قوات الغزو بلا مقاومة تذكر . . . فسهل بذلك تحقيق هدفين فى وقت واحد وهما :

١ — سرعة النزول فى القناة واحتلالها والسيطرة عليها .

٢ — عزل القوات المصرية الضاربة فى معركة سيناء مع اسرائيل عن قاعدتها الخلفية ، مما يعجزها عن مواصلة الحرب مع القوات الاسرائيلية . بل وسيؤدى هذا العزل للقوات الى انهيار شامل فى القوات المسلحة بصفة عامة ، سواء فى الميدان أو فى القاعدة الخلفية . . . بل والى انهيار آخر فى الشعب نفسه بعد أن يرى تبحر أمنيته بذوبان قواته بين رمال سيناء وتلال يهوذا .

وكان معنى ذلك أن عوامل النصر أمام القوات الثلاثية كانت أكثر ترجيحاً . . مما ضاعف من همتهم وثبت عزيمتهم على المضي فى الخطة الى نهايتها .

وفى يوم ٢٥ أكتوبر — بعد أسبوع من خطاب بن جوريون فى الكنيست — أعلن متحدث رسمى اسرائيلى أن :

« المفدائيين المصريين الذين يعملون فى قطاع غزة وفى سيناء قد استأنفوا نشاطهم وهجومهم على الاراضى الاسرائيلية » .

فكان هذا التصريح بمثابة اشارة البدء فى تنفيذ خطة العدوان . . كما كان الجبرر لتصرفات اسرائيل التى اتخذتها منذ تلك الليلة . . وبدأت تعبئة مواردها وقواتها بصورة عملية ، وأن كان اعلان التعبئة قد صدر فى يوم ٢٨ أكتوبر قبل بدء العدوان بأربع وعشرين ساعة .

ولقد كان المفروض — كما أوضحنا — أن يكون موعد الهجوم قبل نهاية الاسبوع الاول من نوفمبر وقت انشغال الولايات المتحدة فى

انتخاباتها الرئاسية ، ولكن حدث أن الرئيس ايزنهاور كان قد أرسل الى بن جوريون نصيحة عدم الاتجاه الى سياسة العدوان . . اذ كان يأمل الرئيس الامريكى — كما كان يقال — أن تتم تسوية أزمة القناة عن طريق المفاوضات في جنيف بين مصر وبريطانيا وفرنسا كما كان مقررا . . وإذا كانت هذه النصيحة المنسوبة الى الرئيس الامريكى دليلا على رغبته الشخصية في الابتعاد عن العدوان ، فإن الظواهر والاجراءات الاخرى التى اتخذتها الولايات المتحدة بالنسبة لرعاياها دلت على علمها باتجاه حملاتها الى سياسة العدوان ، فعملت على ترحيل رعاياها بالسفن الامريكية فى حراسة الاسطول السادس ، مما يعتبر دليلا ماديا على علم الحكومة الامريكية بالمؤامرة . . بصرف النظر عن مدى الماهية بتفاصيلها .

ولذلك بدأت قوات اسرائيل عملياتها بسرعة قبل أن يعرف شيء عن نصح ايزنهاور التى وجهها الى بن جوريون ، مما قد يجرح رئيس وزراء اسرائيل أمام الراى العام الامريكى . . فبعد الى الاسراع فى بدء عدوانه لى يخلق أمرا واقعا لا يجوز بعده التراجع ، وخاصة أنه قد سبق أن ارتبط مع فرنسا وبريطانيا فى هذا العمل المشترك .

وحدث عامل آخر كان له اثر بعيد المدى فى تعجيل اسرائيل بهجومها على مصر وهو أن (اللواء) عبد الحكيم عامر قائد عام للقوات المسلحة كان فى زيارة رسمية للأردن وسورية قبل العدوان ببضعة أيام وكان قد أهدى باسم القوات المصرية المسلحة بعض الطائرات المنقاة للقوات الاردنية المسلحة ، وكان الاتفاق بين كل من مصر وسورية والأردن على أن تعمل قواتها المسلحة تحت قيادته المباشرة ، وأن ينشأ فرع للقيادة العربية المشتركة فى كل من دمشق وعمان ، وصدر تصريح رسمى بذلك يوم ٢٨ أكتوبر ، وهو يوم اعلان اسرائيل تعيبتها الجزئية . .

وقد تحدد يوم ٢٩ أكتوبر موعدا لعودة القائد العام للقوات المسلحة الى القاهرة . وكان معلوما أن عودته من دمشق ستكون بالطائرة . ومعه طائرتان توأمين ، احدهما له ولهيئة أركان حربه على حين خصصت أخرى لضباط الحرس والصحفيين المرافقين له . .

وشاعت الظروف أن تتأخر عودة القائد من دمشق لبضع دقائق عن موعد قيامه المنتظر فسمح للطائرة الاخرى أن تقلع أولا . . وما لبثت طائرة القائد العام أن لحقت بها ، ويبدو أن المخابرات الثلاثية لبريطانيا وفرنسا واسرائيل كانت تتبج حركات القائد العام . .

ولكن كانت تنقصها الدقة في استكمال أخبارها . . فحدث أن وصلت طائرة القائد العام للقاهرة بعد اعلان الهجوم الاسرائيلى على الحدود المصرية ، في حين اختفت الطائرة الاخرى في ظروف غامضة لم تعلم حتى الآن . . ويبدو أن المؤامرة الثلاثية استهدفت اسقاط تلك الطائرة على أمل أن يكون فيها القائد العام للقوات العربية المشتركة ومعه هيئة أركان حربيه وبعض أعضاء مكتبه ، وأن تعلن قوات العدوان نبأ اسقاط طائرته في الوقت الذي يبدأ فيه العدوان فيكون ذلك النبأ ضربة كبرى على معنوية القوات المسلحة في مصر والاردن وسورية والمملكة العربية السعودية على السواء .

ولهذا كانت رحلة القائد العام للقوات العربية المسلحة وعودته للقاهرة يوم ٢٩ أكتوبر من ضمن الاسباب التي عجلت ببداية العدوان ليكون في ذات اليوم ولبس في ٧ نوفمبر كما كان مقدر له من قبل .

وكانت رحلة القائد للاردن ضرورية جدا وخصوصا بعد أن روجت دعاية بريطانية في الاردن القول بأن مصر ستتهم دائما بأموها وحدها ، وانها لن تنوى مساعدة الاردن ، بل تريد مصر أيضا توريث الاردن في قتال مع اسرائيل بسبب أزمة القناة ، هذا الى نجاح نوري السعيد في تقريب وجهات النظر بين السعودية والعراق بناء على توصية وتوجيه انجلترا ، وذلك لعزل مصر مقدما من جيرانها حتى تواجه مضاعفات الازمة وحدها بدون أى حليف . ولهذا سافر عبد الحكيم عامر وأهدى باسم مصر للاردن هدية رمزية تحمل معنى القوة والكنها المشترك . . وكانت الهدية هي الطائرات النفاثة . . فشلت دعاية بريطانيا كما فشلت محاولة اسرائيل للهجوم على الاردن من قبل . . ولهذا تربصوا به لاصطياد طائرته . وقد ظن في بادئ الامر بعد تأخر وصول الطائرة المصرية الثانية أنها سقطت في البحر فأرسلت عدة دوريات لاستكشاف المنطقة . . كما ثبت وجود عدة طائرات بريطانية وفرنسية تقوم في المنطقة نفسها بأعمال الاكتشاف . . فكان هذا الاهتمام الغريب من جانبهم مثار شكوك كثيرة ، فسرتها الاحداث التي أعقبت ذلك فيما بعد .

استعدادات مصر قبل العدوان :

حدثت كل هذه الاستعدادات ، ودبرت تلك المؤامرات على مصر التي ظلت حتى تلك اللحظة حافظة للعهد ، محترمة لقرارات مجلس الأمن وقرارات لجنة الهدنة بأنها لم تبدأ أى عدوان من جانبها على اسرائيل بالرغم من تعدد اعتداءات القوات اليهودية على غزة والصباحة والكوتلا.

والعوجة وخان يونس ودير البلح ورفع ، وان كان ذلك لم يمنع القيادة المصرية أن تتخذ الحيطة تجاه نوايا إسرائيل الفاعرة التي كشفت عنها كل خططها العدوانية طوال المدة من ١٩٤٨ الى ١٩٥٦ فاستمرت مصر تمارس استعدادها الوقائي وتقدر موقفها العسكري على ضوء التطورات والعوامل السياسية والعسكرية المختلفة التي كانت تتطور يوما بعد يوم منذ اعلان الرئيس جمال عبد الناصر لقرار التأميم .

وكانت القيادة العامة للقوات المسلحة قد اتخذت احتياطاتها المبكرة منذ اعلان التأميم ، وشملت مظاهر الاستعداد كل القطاعات ، سواء في محيط القوات المسلحة النظامية . . . أو في محيط القوات الاحتياطية . . . أو في تشكيل جيش التحرير الشعبي الذي ضم الفدائيين والحرس الوطني ، وكل المتطوعين من أبناء الشعب . . . وكذلك تناول الاستعداد اعادة تنظيم علاقات الادارات والمصالح والمؤسسات الحكومية والأهلية ، من أجل تنسيق خطة الانتاج لمصلحة المجهود الحربي ، وتنمية طاقة الخدمات العامة ، وحصر جميع موارد الدولة من جميع الوجوه ، علاوة على انشاء خطوط الاستحكامات الدفاعية غرب النيل ، تمتد بين القاهرة ووادي النطرون والاسكندرية لصد أي احتمال من انزال قوات معادية (بريطانية) غرب الاسكندرية واتجاهها صوب القاهرة ، وقد وضع هذا الاحتمال موضع الدراسة باعبار وجود قوات بريطانية جاهزة في برقة . . . ولقرب الاسكندرية من مالطة وخاصة ان قبرص لم تكن صالحة تماما لاستقبال حشود كبيرة لثقل مواردها وخصوصا في الماء ، ولنشاط جماعة أيوكا الوطنية ضد بريطانيا .

ومع ذلك قامت مصر بدراسة جميع الاحتمالات التي قد يتمخض عنها الموقف السياسي الملبد بالغيوم ، فاستمرت في تنسيق خططها الوقائية والدفاعية ضد المطارات ، والمرافق الحيوية وخصوصا قناة السويس والموانئ بالاسكندرية وبور سعيد والسويس ، والتوسع في انشاء شبكة الانذارات عن طريق الرادار مع اجراء تجارب للغارات الجوية لتهيئة الرأي العام مقدما لتوقع أية غارة جوية من جانب العدو ، وكذلك للتيقن من صلاحية أجهزة الانذار ومراقبة مدى تنفيذ قواعد ونظم الدفاع

مساعدة العناية الخاصة بشئون التدريب الفني على
سه الحديثة التي كان بعضها قد وصل قبل بدء المعركة
وسريع معدودة . . . كما بدى في صناعة الطائرات الخمسينية

الهيكلية وتوزيعها على المطارات المختلفة علاوة على التوسع فى زيادة كفاية المطارات الفرعية والمطارات الجديدة التى كان قد سبق انشاؤها فى مناطق منفردة بين ربوع البلاد فى الوجهين البحرى والقبلى ومناطق الموانىء .

ولقد ظل موضوع صناعة هذه الطائرات الهيكلية مجهولا حتى من صنعها ، اذ كانت تصنع اجزاء هذه الطائرات فى أماكن متفرقة وتجمع فى أماكن أخرى وتوزع على المطارات بواسطة أفراد آخرين .

وبجانب هذا الاجراء الخداعى الذى تم بخصوص توزيع الطائرات الخشبية على المطارات الحقيقية والمطارات الهيكلية .. توسعت صناعة المدافع الخشبية وتوزيعها على طول الساحل الشمالى الشرقى لتمثل طوابى وقلاع المدفعية الساحلية اذ كان معلوما تماما لبريطانيا بصفة خاصة كل مواقع المدافع الساحلية .

فان البعثة العسكرية البريطانية التى خدمت فى مصر مع الجيش المصرى من عام ١٩٣٦ منذ توقيع المعاهدة القديمة حتى ما قبل الثورة بأعوام قليلة ، كانت قد رصدت كل أماكن هذه القلاع الثابتة التى لم يكن ممكنا بأى حال من الاحوال نقلها .. انما كان ممكنا تضليل المعتدين باتشاء قلاع جديدة هيكلية علاوة على القلاع القديمة الحقيقية مما يشتمل جهود المعتدين ويقلل الخسائر بين المدافعين .. باعتبار أن مثل هذه القلاع الساحلية انما تعتبر فى حقيقة الامر من الاسلحة الدفاعية البحتة .

وبدأت حملة التدريب تسرى فى كل المناطق العسكرية وفى كل الوحدات ، فى الجيش وفى القوات البحرية والجوية .. وبدأت فى تنظيم الجيش الفلسطينى فى قطاع غزة وتم تسليح لواعين منه ، وبدأت اطقم زوارق الطوربيد تمارس تمرينها الليلية على الزوارق الجديدة ووزعت بعض أسراب الطائرات النفاثة المقاتلة من طراز الميج والقاذفة للقنابل من طراز البوشن على بعض المطارات السرية التى انحصر العلم بها على عدد قليل من المسئولين .

وتم توزيع المدافع المضادة للطائرات على جميع أنحاء الجمهورية ووضعت خطط النيران بالدقة التى اشتهرت بها المدفعية المصرية فى هذا الميدان منذ ما قبل الحرب العالمية الثانية .. وأضيفت واجبات جديدة الى هذه الوحدات من المدفعية المضادة للطائرات لكى تكون مستعدة للعمل كمدفعية مضادة للدبابات ومدفعية ساحلية وذلك بالنسبة للوحدات الموزعة على الشواطىء لحماية الموانىء والمخازن والمرافق الهامة بها ..

ووضعت خطط متبادلة لكى تمارس من بينها الخطط الملائمة لكل احتمال قد يقع .. وبذلك عبأت الدولة كل قواها لمواجهة كل الاحتمالات ، اذ كان كل فرد فيها يشعر أن المعركة القادمة هى أول معركة حقيقية تخوضها البلاد والجيش مع الشعب فى صعيد واحد ، ولحساب قضية الوطن وقضية كل فرد فيه .. ولم تكن المعركة كسابقاتها التى خاضتها القوات المسلحة فى الحرب العالمية الثانية لمصلحة القوى الأجنبية الاخرى ..

وكننت ترى ظاهرة الاستعداد للمعركة على وجه كل مواطن وهو سعيد بأن الفرصة أتت له ليثبت قدرته على القيام بواجبه أمام التحدى. الاستعماري الذى كان يتربص بنا من كل جانب .

وبجانب كل هذه الاستعدادات الادارية والتكتيكية والفنية والتعبوية كان هناك استعداد آخر استراتيجي خططته القيادة العليا للقوات المسلحة فى يوم ٢٠ سبتمبر ودأبت على تنفيذه فى الايام التالية لذلك .

وكان من بين هذه التعليمات والتخطيطات : —

— أن تظهر القوات الموزعة حول القتال لحراستها بأقل من حقيقتها.

— على حين تظهر قوات المناطق الأخرى المعرضة للغزو المباشر فى الاسكندرية مثلا .. بأكثر من حقيقتها لأغراء العدو على تركيز هجومه فى منطقة القتال لاصطياده فيها حيث تقل فيها حرية المناورة وتصعب فيها سرعة الحركة .

وأن تجهز مناطق لتجميع الطائرات « الهيكلية » حول القتال وحول القاهرة ، على أن تجهز هذه المناطق بعربات وأدوات صيانة مختلفة للتموين فقط بالمياه ، وخيام كاملة للمعسكرات ، وتجرى حولها أعمال الحفر والتبويه وتنتشر بعض المصابيح الخافتة حول تلك المناطق .

وكان طبيعيا أن تصدر الاوامر الصارمة لقوات سلاح الحدود بمنع اقتراب الاهالى والبدو من هذه المناطق حتى لا تكتشف حقيقتها وحتى لا تتسرب أسرار هذه الاستعدادات الخداعية .

بل وقد أعدت بعض الدبابات الحقيقية لكى تتحرك فى أوقات مختلفة بين هذه المواقع وتثير سحباً من الغبار يضىء عليها مظهراً حقيقياً، بل ويخصص لها أيضاً شبكة لاسلكية ، يكون لها تردد خاص وأذاعات منظمة متقنة تتصف بالواقعية ، وذلك حتى يمكن التقاط اشاراتها وهى تحصل كل هذه المعانى الجدية مما يزيد فى خداع العدو .

ومن هذا يرى كيف امتدت العناية بتأمين كل المرافق وتدبير الاستعداد لكل احتمال . . وعلى الاخص فيما يتعلق بسلامة الموانى التى رأت أيضا أن نزيد كثافته الدفاع المضاد للطائرات عنها باشتراك السفن الحربية فيها بواجبات خاصة فى خطة النيران بأن تستخدم بطارياتها للمدفعية فى تغطية الغلات المخصصة للدفاع عن مرافق الميناء ، وذلك بجانب مضاعفة النشاط الخاص بهذه السفن فى أعمال الدوريات وعلى الاخص بعد أن تواترت الانباء بزيادة نشاط العدو فى ارسال دوريات الى حافة المياه الاتلبيه لنا وعلى طول امتداد الشاطئ من غزة الى غرب الاسكندرية .

وكانت كل هذه العمليات والاستعدادات تستكمل نضجها واستقرارها يوما بعد يوم . . كما تم تشكيل مجلس القوات المسلحة برئاسه القائد العام ومعه قائد جيش التحرير الوطنى ورؤساء هيئة أركان حرب الجيش والبحرية والطيران ، وقد قرر المجلس اهمية الدفاع عن منطقة القناة ، ووضع فى الاعتبار اعطاء أهمية خاصة لبناء السويس بالذات وأن ينسق الدفاع عنها برا وبحرا وجوا على أن يحرم العدو من الاستيلاء عليها بأى ثمن وخاصة أن السويس معرضة للغزو البحرى والجوى والانزال الارضى ، وأنها مفاج الطريق البرى القصر الى القاهرة غربا والى الاسماعيلية وبور سعيد شمالا وأن من يستولى على السويس يملك السيطرة العاجلة على جميع المرافق الحيوية ، وخاصة معامل التكرير ، ومحطات دفع وضغط البترول الى القاهرة . . وذلك علاوة على اتصال السويس بالبحر الاحمر المفتوح الى خليج العقبة ، وأن المسافة بين العقبة والسويس حوالى ٣٠٠ ميل وكذلك فالطريق مفتوح أمامها الى عدن والى ما وراءها دون أى تعرض ، كما وضع فى الاعتبار منع أى نزول للقوات المعادية فى بور سعيد . وإذا فرض ونجح العدو فى اسقاط قواته من الجو وانزالها من البحر فلتكن الخطة بحرمانه من التحرك الى الاسماعيلية . . وتجميده فى مواقعه مهما كان الثمن . .

وبجانب ذلك فقد أعطيت عناية خاصة لتأمين مطارات منطقة القتال فى كبريت وأبو صير وفنايد وكسفرية .

الفصل الثالث

بدء الهجوم إسرائيل

سبق قيام إسرائيل بهجومها على الحدود المصرية إجراء تحركات سريعة من قواها ، فنشطت الحشود والتجمعات في بئر السبع وبناتيا واللد والطورون وبيسان واستولت على سيارات النقل المدنية للمساعدة في إجراء عمليات التحركات المطلوبة . . ونشطت حركة الاستطلاع الجوي . . كما نشطت الدوريات البحرية الفرنسية والبريطانية أمام شاطئ إسرائيل ، وعلى الأخص أمام ميناء حيفا .

وبدأت العمليات الفعلية قبيل غروب شمس يوم ٢٩ أكتوبر في خمسة قطاعات وذلك :

١ — باستقاط قوات المظلات عند ممر مقل وشرق سدر الحيطان ، وقدرت هذه القوة بمجموعة كتبية .

وكان الغرض من اسقاط هذه القوة احتلال ممر ممثلا الذي يسيطر على الطريق الجنوبي الذي يعتبر أقصر الطرق المؤدية الى السويس . . اذا أرادت إسرائيل أن تصل بأسرع مايمكن الى الضفة الشرقية لقناة السويس بأمل التظاهر بقدرتها على تهديد سلامة مصر . . وتمكنها من المشاركة في السيطرة على الملاحة في القناة . . وخصوصا بعد أن كانت فكرة تدويلها قد سبق أن وضعت ضمن المقترحات التي عرضتها الدول الغربية .

كما كان محتملا أن يكون ضمن أهداف إسرائيل في سرعة وصول

طلائع قواتها الى مياه قناة السويس عن هذا الطريق القصير الذى كان نسبيا أقل الطرق كثافة فى الدفاعات القائمة عليه . . وأن وصول هذه الطلائع الاسرائيلية الى مياه القناة كان يعتبر سببا كافيا لتدخل القوات الفرنسية والاجنبية المتربصة للعدوان بحجة أن تدخلها إنما يحول دون استمرار العمليات الحربية بين القوات المصرية والاسرائيلية مما تتعطل معه سلامة الملاحة فى القناة .

ولكن لم تكن هذه القوات التى أسقطت بالمظلات فى غروب يوم ٢٩ أكتوبر بمنطقة سدر الحيطان وممر ممثلا ، كافية وحدها للوصول الى مياه القناة . . بل كانت بمثابة الطليعة الامامية التى كان عليها أن تحتل معبر وادى ممثلا الذى يعتبر بمثابة عنق الزجاجة التى تعترض طريق الكونتلا . . نخل . . سدر الحيطان . . السويس .

وعلى هذه القوة أيضا (وهى مجموعة الكتيبة ٨٩٠ احدى كتائب اللواء ٢٠٢) أن تتشبث بمواقعها التى أسقطت فيها ، وتدافع عنها ضد أى تدخل من جانب القوات المصرية التى قد ترسل اليها من منطقة قيادة خليج السويس ، ريثما تنحرك القوات الباقية من مجموعة اللواء ٢٠٢ من الحدود الى ممر ممثلا بعد أن تجتاح منطقة مراقبة الحدود المصرية عند الكونتلا .

وكان المفروض لو نجحت خطة هذه القوة أن تصل الى ضفة قناة السويس عند السويس .

٢ - بينما تقوم القوة الاسرائيلية الثانية المسماة بالمجموعة ٣٨ والمكونة من :

- اللواء السابع المدرع .

اللواء الرابع المشاة .

اللواء السابع والثلاثين المشاة .

وتمثل هذه المجموعة اقوى المجموعات الضاربة فى كل جيش اسرائيل . . ولهذا اختيرت اختيارا خاصا ، سواء من حيث عناصر الأفراد، من ضباط وبقاى الرتب . . أو من حيث مستوى التدريب . . أو من حيث استكمال التسليح مع تخصيص معونة جوية للعمل المباشر مع هذه القوة باعتبارها القوة الضاربة الرئيسية التى يتوقف على نجاحها فى العمليات التى ننظرها مستقبل الحملة الاسرائيلية كلها . .

وكانت خطة هذه المجموعة أن :

تستولى على القسيمة .

ثم تنجھ للاستيلاء على أم قطف وأبو عجيلة .

ثم المتقدم غربا عن طريق (أبو عجيلة — الاسماعيلية) للوصول إلى ضفة القناة عند الاسماعيلية .

يبقى اللواء السابع والثلاثون بعد انتهاء الاستيلاء على أبو عجيلة .
بمئابة الاحتياط .

٣ — وتتحرك القوة الثالثة المسماة بالمجموعة ٧٧ والمكونة من :

- اللواء السابع والعشرين المدرع .

اللواء الأول المشاة .

الكتيبة ٩٦٦ احتياط .

ويكون تحريكها على محور (رفح — العريش — القنطرة) .

وتكون الخطة العامة لهذه القوة هي احتلال رفح والعريش .

٤ — تقوم القوة الرابعة المكونة من :

اللواء ١ مشاة

اللواء ١١ مشاة

اللواء ١٢ مشاة

اللواء ٢٧ مدرع

بالاستيلاء على قطاع غزة بعد احتلال رفح والعريش توطئة لعزل القطاع .

٥ — بينما تقوم القوة الخامسة المكونة من :

اللواء التاسع المشاة

وموج من المدفعية

كتيبة دبابات شيرمان

واللواء ٢٦ المشاة ، وقد تجمع فى بئر السبع بمثابة قوة احتياطية ،
وحدات ادارية معاونه من المهندسين والنقل .

بالتحرك من بئر السبع الى ايلات استعدادا للاستيلاء على : رأس
نصرانى وشرم الشيخ .

وفى غروب ٢٩ أكتوبر أسقطت قوات المظلات فعلا فى سسدر
الحيطان ..

واجنات قوات العدو منطقة الحدود عند نقطة الكونتلا وهى
احدى نقط مراقبة سلاح الحدود المصرى المنتشرة على طول الحدود ،
وكانت تحرسها جماعة من رجال الحدود مسلحة بالبنادق والرشاشات
الخفيفة ومجهزة بوسائل الانذار ، وقد بررت اسرائيل هجومها على هذه
النقطة بأنها كانت وكرا لنشاط الفدائيين المصريين .

ولكن .. استمرت النقطة ثابتة فى موقعها ، وواصلت ارسال
المعلومات عن موقف العدو سواء من حيث قواته أو تحركاته .. وكان لهذه
المعلومات الانذارية أهمية بالغة فى تصوير الموقف فى هذا القطاع .
استكبالا للصورة العامة عن موقف العدو ونشاطه فى الجبهة ..

وكانت القوات المصرية الموزعة فى منطقة الجبهة .. حنى حدوث
العدوان ، لا تزيد عن القوات التى وضعت لتأمين الحدود ضد أية
غارات عدوانية .. وان كان هذا الاجراء لم يمنع فعلا استمرار اليقظة
والاستعداد وراء سيناء فى منطقة القناة من أجل مواجهة أية مفاجآت قد
يقوم بها العدو ، وبخاصة بعد أن أصبح الغدر هو أسلوبه التقليدى
المعروف .. وكانت القوات المصرية الموجودة بالمنطقة عبارة عن :

أولا — فى قطاع غزة :

الفرقة الثامنة المشاة والمكونة من لوائين من الحرس الوطنى ولواء
فلسطينى تحت الانشاء والتدريب .

ثانيا — فى قاعدة رفح :

اللواء الخامس المكون من كتبتين مشاة (١٤ ، ١٥) والاسلحة
المعونة ، وكانت الكتيبة ١٣ هى الباقية من اللواء بالقاهرة .

ثالثا — فى قاعدة العريش :

كان بها اللواء الرابع المشاة ومدفعية مساعدة .

رابعاً — فى قاعدة (أم قطف) :

كان بها اللواء السادس من كتينين (١٧ ١٨) عدا الكتيبة ١٦ اذ كانت بمنطقة القتال ، ومدفعية مساعدة .

خامساً — فى قاعدة الجنوب بمنطقة شرم الشيخ :

كتيبة مشاة واحدة (رقم ٢١) وبطاريات مدفعية ساحلية من عيار ٦ بوصات مكونة من مدفعين فقط .

سادساً — قيادة خليج السويس :

اللواء الثانى . . وأرسل منه الى مصر ممثلا الكتيبة السادسة ، وسريتين من الكتيبة الخامسة والسريتين الساقيتين فى وادى سدر ، وأما الكتيبة الرابعة فكانت فى بور سعيد .

ومن توزيع هذه القوات يضح أن مصر لم تكن فى ملك الفترة فى الوضع الذى يسمح لها باتخاذ سياسة هجومية على اسرائيل . . كما رعت الدعايات الصهيونية لتضليل الراى العام العالى من أجل تبرير مسلكها العدوانى المفاجىء ، اذ كانت مصر فى موقف حتم عليها تركيز كل قواها من أجل بناء جبهتها الداخلية فيما يتعلق بتنمية الانتاج وتحسين مرافق الخدمات العامة لرفع مستوى الشعب والتغلب على سياسة الحصر الجماعى المفروض عليها ، الذى تعاونت عليه كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا كمحاولة للضغط الاقتصادى على مصر التى صمدت أمام السياسة الغربية بعناد ظاهر لنهاضتها فكرة الانضمام لحلف بغداد . . واستمرار حركة المجاهدين فى الجزائر . . ولدعوتها الصريحة لسياسة الحباد الإيجابى والتعايش السلمى ونبذ فكرة الانطواء أو الانتماء للأحلاف العسكرية على أية صورة كانت . . كما كانت مصر دائما تشد من أزر كل الحركات التحررية ، وعلى الأخص فى محيط الكتلة الآسيوية الأفريقية ، الامر الذى كان دائما يقلق بريطانيا وفرنسا على وجه الخصوص .

ولأجل هذا نسجت السياسة الغربية ستارا كثيفا من الحصار حول مصر ، وهبط معدل النشاط التجارى من جانب الدول الغربية معها . . وكل هذا لعزل مصر اقتصاديا حتى تشد فيها الأزمة الى أن تدفعها الحاجة الى « التفاهم » مع الدول الغربية بصورة مرنة تحفظ للدول الغربية كرامتها فى منطقة الشرق الأوسط وفى الكتلة الآسيوية الأفريقية .

ولذلك كانت مصر مشغولة فعلا بتنظيم كيانها الاقتصادي وحمايته ورفع مستوى معيشة الشعب .. وجاءت أزمة سحب الولايات المتحدة وبريطانيا والبنك الدولي لعروض المساعدة في بناء السد العالي .. ومما ترتب على ذلك من الاصرار على المضي قدما في السياسة الانشائية التي رسمها الرئيس جمال عبد الناصر .. وجاء تأميم القناة كوسيلة من وسائل تحقيق هذه الاهداف الانشائية .

كل هذا يبين كيف كانت مصر مشغولة فعلا بالخطة الانشائية الشاملة لتنمية مرافقها واقتصادها وامكانياتها .. ولم يكن في تقديرها البدء بأية سياسة عدوانية هجومية .. اذ كان من المعلوم أن مثل هذه السياسة تتعارض فعلا مع خطتها الانشائية .. وان كان ذلك لم يمنع استمرار استعدادها ومضاعفة قواها والمضي بخطوات ثابتة سريعة في مضمار الاستعداد العسكري الشامل لتأمين أراضيها وتأمين خطتها وسياستها بل ولتأمين السلام في منطقته الشرق الاوسط وللوقوف جديا امام خطط اسرائيل العدوانية ضد القضية العربية ، سواء على حساب الاردن أو سورية أو مصر أو أي بلد عربي آخر .. اذ ان سلامة الوطن العربي ضد المؤامرات الاستعمارية الصهيونية انما هو في الحقيقة سلامة مباشرة لمصر وشعبها وقواتها المسلحة ..

فاستمرت الاستعدادات في طريقها المرسوم .. وضوعفت العناية بها بعد تأميم شركة القناة .. اذ كان منتظرا أن تتطور الامور الى صدام مسلح يشنه الاستعمار الذي طعن بضربة التأميم .. وكان تصرفه الجنوني يعد ذلك سواء في مؤتمرات لندن أو في مجلس الأمن أو في مقر الشركة المنحلة بباريس أو في مقر وزارتي الخارجية في لندن وباريس .. كانت كل هذه التصرفات التي انعكست من نوايا الاستعمار .. توحى بأن شيئا ما سيحدث ولكن لم يكن معلوما .. ما الذي سيحدث بالضبط ؟ وكيف يقع ؟

ومتى سيكون ذلك ؟

والى أي مدى ستتطور نتائج ما ينتظر حدوثه ؟

ومن الذي سيشارك في تنفيذه ؟

الى غير ذلك من هذه الاسئلة والتكهنات .. ولكن كان المفهوم أن بريطانيا أولا ومعها فرنسا .. ستكونان هما القوتين المنتظر قيامهما بأى مسلك عدوانى .. وكان هذا الاحتمال يضعف أحيانا .. كلما ازداد فهم

الرأى العام العالى لقضية القناة .. وثانوية مسلح مصر بالنسبة للتأميم وقدرتها على ضمان سلامة الملاحة فيها حتى بعد مؤامرة سحب المرشدين الاجانب بضغط وتحريض الدولتين والشركة المنحلة .. فكان لاحتمال قيام حرب بسبب هذه القضية يضعف كلما ازداد عدد الاحداث الدولية التى أبدت مصر فى سياستها ..

وبالرغم من كل هذا .. قامت مصر بتغطية كل جبهاتها بوسائل الانذار والدفاع المسلح .. وكان التركيز الاساسي فى منطقة القناة التى كان يخشى عليها من احتمال قيام فرنسا وبريطانيا بمحاولات تخريبية فعلا لتعطيل الملاحة فيها وادعائهما عجز مصر عن تأمين القناة مما يبرر لهما اتخاذ أية سياسة عدوانية بحجة المحافظة فقط على سلامة القناة .. وكان من بين احتمالات تخريب القناة اسقاط قوات مظلات على مداخل القناة ، وعلى طول امتدادها ، من أجل السيطرة السريعة عليها ، وفرض الامر الواقع قبل أن تتحرك الجمعية العامة للأمم المتحدة أو مجلس الأمن .. أو حتى قبل أن تعبى مصر قواتها ومواردها لاستعادة السيطرة على القناة .

وتم تجهيز المواقع المصرية وتسليح القوات فيها بكل ما كان يلزمها من متاد ، وتموين ، اذ كانت هذه القوات برغم قلة عددها (للاعتبارات المسالفة) كافية للقضاء على أية قوة اسرائيلية مهما كان حجمها قضاء كاملا ، وبخاصة أن الاحتياطى الضارب كان مستعدا للانجاء الى أية منطقة مهددة ، وكان الجيش بمنطقة القناة يواصل تدريبه مع بقائه تحت السلاح وفى حالة الطوارئ .

أما بالنسبة للقوات الجوية فقد كانت تمارس نشاطها التدريبى مع قيامها بالواجبات الوقائية ودوريات الاستطلاع أمام الشواطىء وفوق منطقة الحدود استعدادا لأى طارئ .

واعترضت القوات البحرية فى حالة طوارئ من صباح يوم ٢٧ يولييه وهو اليوم التالى لاعلان قرار التأميم ، وأعيد توزيع القطع البحرية بين قواعد الاسكندرية وبور سعيد والسويس .. ونشطت أعمال الحراسة والمراقبة والدوريات على امتداد الساحل من غزة الى السلوم ، وكذلك بالنسبة للوحدات البحرية فى البحر الأحمر .

ومن ذلك نرى أن القوات الفعلية التى كانت فى شبه جزيرة سينا وقت بدء العدوان لم تكن فى حجمها وعددها متعادلة مع حجم وعدد القوات المعتدية . ولكن كانت تفوقها فى التدريب وفى الاعداد الفنى

والمعنوى . . كما كانت الانشاءات والتحصينات التى قامت بها قواتنا فى مواقعها قد بلغت درجة عالية جدا من الكفاية والقوة ، وقد كان ذلك نتيجة لحسن اختيار مواقعها وتنسيق خطط النيران لمختلف الاسلحة مع درجته صلاحية هذه الاستحكامات التى تضمنت حقول الالغام والموانع المضادة للدبابات والعربات المدرعة وللأفراد كذلك .

ولا شك ان أهمية الاستفاده بطبيعة الارض ودراسة خصائصها الطبيعية من حيث اشرافها على خطوط اقتراب ، وطرق التحرى ، انما يساعد كثيرا فى السيطرة على المنطقة كما يؤثر على حسن اختيار الاسلحة المناسبة للدفاع . . ولهذا بذلت القوات المصرية مجهودا باهرا فى دراسة خصائص الارض دراسة مستفيضة ، حتى استطاعت فعلا التحكم تلمها فى كل المرات وطرق التقدم التى يتحتم على أية قوة تريد التحرك غربا او شمالا داخل سيناء من اجتيازها والمرور فيها ، ولقد مارست القوات المصرية فى تلك المواقع كثيرا من المناورات والتدريب الواقعى الذى يشبه فى طبيعته وظروفه جو المعركة الطبيعية ، واسنهرت مشروعات التدريب بالخبرة الحية طول الفترة السابقة للعدوان ، مما غرس فى الافراد صورة حقيقية لعنى القتال فى الصحراء . . ولذلك استطاعت تلك القوات القليلة نسبيا فى اعدادها أن تصمد أمام مفاجأة القوات المعتدية التى عاونتها فى الجو والبحر أساطيل فرنسا وبريطانيا ، بل استطاعت تلك القوات أن تكبد المعتدين أفدح الخسائر التى سجلتها يوميات الحرب فى اسرائيل وكذلك اذاعتها وتقارير قادتها التى أذيع عنها الكثير عقب انتهاء العدوان .

وبينما نشطت تحركات القوات الاسرائيلية التى تجمعت بمنطقة الحدود قامت قواتنا الجوية بأول غارة لها فى مساء يوم ٢٩/١٠/١٩٥٦ بضرب هذه التجمعات ضربا مباشرا مؤثرا . . واستمرت غارات السلاح الجوى المضرى حتى منتصف الليل مما ترتب عليه تأخير تحرك القوات الاسرائيلية . . وبعد أن هدأت الغارات الجوية استأنف العدو نشاطه على أمل ان يحقق أى كسب سريع قبل انبلاج صباح اليوم التالى ، من أجل تقوية معنوية قواته التى أسقطها بالمظلات فى قلب سيناء بمنطقة سدر الحيطان كما أشرنا . . ومن جهة أخرى كان العدو يتلطف على الحصون على أى مظهر من النجاح بأن يحرز أى تقدم فى شبه جزيرة سيناء ، ولو فى القطاع الجنوبى الخالى من القوات المصرية ليشد أزر قواته الأخرى التى كانت لانزال تتجمع أمام القطاع الاوسط وعلى حافة قطاع غزة . وفى « سعت ٢٢٣٠ » طلبت سورية رسميا أن تشترك قواها اشتراكا فعليا مع

القوات الأردنية في المعركة، بعد أن اتضحت نوايا إسرائيل النهائية، وبعد أن تحدد اتجاه عدوانها ليكون صوب قناة السويس .

كما حدث في تلك الليلة أيضا أن طرد اليهود مراقبي الهدنة من منطقة العوجة واحتلوها بالرغم من كونها منطقة محايدة . . ورفعوا عليها علم إسرائيل ، وكان ذلك سترا لاستمرار تجمعات قواتهم في بئر السبع ليسهل منها توجيه بعض هذه القوات إلى غزة وبعضها الآخر إلى العوجة لاستمرار دفع موجة العدوان إلى قلب سيناء باعتبار أن العوجة كانت مفتاحا لكثير من طرق التقدم التي تربط النقب الجنوبي بشبه جزيرة سيناء . .

واستمرت ليلة ٢٩/٣٠ أكتوبر مشحونة بهذه التحركات والمناورات تمهيدا لاستئناف نشاط كبير قبل صباح يوم ٣٠ أكتوبر . . وقبل أن تستكمل مصر تعبئة قواتها وتحريك احتياطها المدرع المضارب إلى قلب سيناء . . اذ كان كل هدف إسرائيل هو كسب أكبر دعاية في أقل وقت . . وكانت تعتقد في هذه الاثناء أن الطائرة التي كانت تنقل القائد العام للقوات العربية المشتركة قد سقطت أو فقدت في الطريق بين دمشق والقاهرة . . كما نشطت أجهزة بريطانيا السياسية في الأردن وسورية في تلك الفترة بالذات فعمدت السفارة البريطانية في دمشق إلى توزيع منشورات كثيرة بخصوص إثارة الرأي العام السوري ضد فكرة التورط مع مصر في مشاكلها التي خلقتها . . وأنه من مصلحة سورية (كذا) أن تبأثر سياستها وفقا لمصلحتها دون أي ارتباط أو تقيد بمصير السياسة المصرية التي قد تجلب في أثرها أخطارا كثيرة .

وفي الأردن اجتمع سفير بريطانيا بوكيل وزارة الخارجية الأردنية وصرح له بأن حكومته قد تدخلت في أمر العدوان الإسرائيلي على مصر وأن بريطانيا طلبت من إسرائيل تأكيدات رسمية لعدم التعرض للأردن وعدم توجيه القوات اليهودية التي حشدت في النقب والتي أعلن عن تعبئتها رسميا إلى حدود الأردن .

وكان بدبها أن يفهم القصد من هذا الاجتماع . . فقد أريد به تخدير الأردن وتهديئة سياسته وقواته المسلحة كظهير لاغرائهم بعدم التورط في قتال مع إسرائيل بسبب الازمة المصرية . . فيكون تعهد إسرائيل وبريطانيا بعدم التعرض للأردن بمثابة الثمن المقدم الذي تشتري به القوات المعنوية عدم تدخل الأردن في المعركة الدائرة بين مصر وإسرائيل . .

وفي دمشق كان توزيع المنشورات البريطانية سببا في رد فعل سريع حاسم ، إذ كانت نتيجة هذه المنشورات أن استعدت قوات الفدائيين في

همشق وفى الجبهة الجنوبية لدخول اسرائيل ومباشرة أعمالهم فى اليوم التالى بعد أن تحدد لهم الاهداف النهائية وفقا لما تراه القيادة العربية المشتركة حتى يكون التنسيق بين أعمال هذه القوة من الفدائيين متممًا للخطة العسكرية العليا التى تولت القوات المسلحة تنفيذها . ولقد شعرت بريطانيا بوقوع هذه النتيجة العكسية لما أرادته بتوزيعها لتلك المنشورات ، وأدركت بأن التقدير الذى بنت عليه خطة العمل فى سورية قد انهار من أساسه ، وبدأت الأمور تتعقد وان لم تصل الى درجة الخطورة ، ولكنها أوحى بأن المعركة لن تكون سهلة أو قصيرة كما كان مفروضاً . . فصدرت الاوامر من مركز قيادة القوات البريطانية فى قبرص بعد منتصف الليل بساعة لاستدعاء كل قوات المظلات بالجزيرة ، التى كان بعضها مشغولاً بمطاردة الثوار اليونانيين من جماعة أيوكا . . وتضمنت أوامر القيادة البريطانية فى تلك الليلة . . « الاستعداد للتحرك الى الشرق الاوسط » . . وصحب هذا الاجراء انطلاق اشاعة مدبرة مقصودة ، هى احتمال التحرك الى منطقة فلسطين أو ما حولها ، واحتمال الاشتراك فى أية عمليات حربية بقصد ضمان تنفيذ التصريح الثلاثى الذى تعهدت بريطانيا بالارتباط به من أجل اقرار السلام فى المنطقة اذا ما نشب أى قتال بين اسرائيل والدول العربية .

ولقد وصلت انباء كل هذه الاستعدادات والتطورات الى مركز القيادة المصرية بالقاهرة من عدة مصادر . . ولذلك اتخذت عدة اجراءات مضادة واحيائية لمواجهة التطورات المنتظرة .

فى فجر يوم ٣٠ أكتوبر وعلى التحديد فى الساعة الخامسة صباحاً والدقيقة الخامسة عشرة صدرت الاوامر بتحريك بعض القوات التى كانت موزعة فى غرب الدلتا الى منطقة شرق القناة لمواجهة الموقف الجديد ، وخاصة بعد أن اتضحت النوايا الاولى للمعدوان . . ليكون هدفه الوصول الى ضفة القناة لتحقيق فوز معنوى سريع .

فصدرت الاوامر بتحريك . .

١ - اللواء ٢٨ من قوة الحرس الوطنى ومعه بطارية من الصواريخ عدا تروب منها .

من الاسكندرية . . الى المنسط . . شرق قناة السويس .

٢ - مجموعة اللواء الثانى المشاة من منطقة غرب القاهرة الى منطقة القناة ويكون مركز رياستها فايد .

وأن يتحرك اللواء الأول المشاة من القاهرة الى الشلوة .

٣ - والالاي الأول مدفعية ميدان ، عدا بطارية من القاهرة الى العريش . والبطارية الثانية الى ابو عجيلة .

وكانت هذه التحركات هي أول اجراء يتناول تعديل توزيع القوات المصرية لتواجه التطور الذى سلكته الاحداث منذ بدء الهجوم على الحدود .

واستطاعت قوة الحدود الصغيرة فى الكونلا أن مصد فى مواقعها حتى صباح يوم ٣٠ أكتوبر وكانت اشاراتها المرسلة فى الساعة ٦ صباحا اجراء سبب تعديل خط سير القوات الاسرائيلية المهاجمة لى لتفادى واقع هذه الجماعة وتستمر فى طريقها فى اتجاه نخل .

وكانت رئاسة قوات الحدود المصرية بمنطقة خليج السويس قد أحيطت عليها بنبا سقوط قوات المظلات فى سدر الحيطان ، فأرسلت قوة خفيفة الحركة للاشباك مع هذه القوة لمنعها من تثبيت أقدامها ولارهاقها فى أماكن سقوطها ريثما يتم ازالتها والقضاء عليها .

وفى صباح ٣٠ أكتوبر نشط طيران العدو فى اكتشافه وفى محاولة ضرب قواتنا فى الحسنه والقسمية ورفح والعريش . كما حاول ضرب قواتنا المشتركة برجاله فى منطقة نخل ، غير أن قواتنا الجوية كانت اسبق فى السيطرة على جو المعركة بأكمله ومارست نشاطها الاول فى هذا اليوم بقصف كل التجمعات الموجودة بمنطقة العوجة ونخل ، وتمت اباداة كل قوة العدو بتلك المنطقة نهائيا وصدر البلاغ الرسمى التالى :

« بدأ العدو يستخدم قواته الجوية للضغط على قواتنا البرية ، وقد تدخل سلاحنا الجوى فى الحال فأسقط طائرتين نفائتين للعدو كما دمر ١٢ عربة مصفحة » .

وقد أصيبت قوات العدو بخسائر جسيمة فى منطقة التمد . وهكذا أوقف تحرك العدو تماما .

وأستمرت قواتنا طول اليوم فى معركة تطهير منطقة نخل ، ونشط الطيران المصرى فى هذا اليوم نشاطا غير عادى بالرغم من قلة عدد الطيارين الذين كانوا قد أتموا تدريبهم على طائرات القتال الجديدة من طراز الميج . . وكان يحدث أحيانا أن يقوم الطيارون بعدة طلعات متتالية بعد أن يستبدلوا طائراتهم بطائرات أخرى حتى يتم دائما الكشف الفنى

على الطائرات أولا بأول ضمتنا وابتداء على صلاحيتها .. وامكن تحقيق السيادة المطلقة على جو المعركة طول اليوم وفشلت كل محاولات العدو فى احرار أى تقدم فى أى قطاع من الجبهة .. وصدر البلاغ التالى عقب تطهير منطقة نخل .

« تمكنت قواتنا بعد ظهر اليوم من تطهير قوة العدو غرب «نخل» وقضت عليها تماما . واشتبكت أربع طائرات من قواتنا الجوية بثمانى طائرات اسرائيلية من طراز ميسير . وقد تمكنت طائرتنا من اسقاط طائرة من هذه الطائرات الاسرائيلية الثمان ، ويحتل أن تكون طائرة قد أصيبت اصابة مباشرة .

كما اسقطت نيران المدفعية المضادة لطائرة للعدو من طراز « أوجون » واسقطت طائرة أخرى فى قطاع غزة .

وجارى تطهير باقى قوات العدو فى أرض العمليات » .

وكان من جراء فشل محاولات العدو فى استئناف تقدمه من نخل الى ضفة القناة .. أو حتى فى الثبات بمواقعه الى أن تسفقه القوات الزاحفة على طريق الكونتلا .. ثخل .. وتوقف هذا الزحف بسبب تدخل الطائرات التى ظلت طول اليوم ترهق العدو بغاراتها المتواصلة .. كان من جراء ذلك أن عاد العدو يركز هجومه على منطقة الحدود تجاه العوجة فى منطقة القسيمة والحسنة ، حيث كانت قواتنا المدافعة فيها قد بدأت تعيد تنظيم وحداتها وتخرج دورياتها لتواجه الموقف الجديد ، وبدأت تمارس نشاطها الهجوى الذى ارتكز على الخط الدفاعى الاصيل وهو الذى ربط المواقع بعضها ببعض ، ولذلك اضطر العدو أن يواجه هذا النشاط المفاجئ الذى قامت به القوات المدافعة .. دون أن يكون ذلك فى حساب أو تقدير القيادة الاسرائيلية، واستعمل العدو فى هجومه على القسيمة دباباته ومدفعية التى عاونتها بعض الطائرات المغيرة ، ولكن فشلت كل هذه المحاولات وردت قواته بعد أن تركت فى أرض المعركة بعض الدبابات والعربات والخسائر التى اعترف العدو بفداحتها فى تقاريره الرسمية عن سير المعركة ، وبلغ عدد الطائرات الاسرائيلية التى اسقطت فى هذا اليوم ٧ طائرات .

ولم يتحقق للعدو غرضه من وراء هذه العمليات التى قام بها فى منطقة القسيمة والحسنة لقطع خطوط المواصلات الرئيسية التى كانت تربط خطوط الدفاع بلك المنطقة مع باقى المناطق الاخرى فى سيناء ،

وذلك بأمل عزل المناطق الدفاعية بعضها عن بعض مما يسهل معه القضاء عليها بالتجزئة . . ومن ثم مما يقطعها كلها عن قاعدتها الرئيسية فى منطقة القناة التى كانت حتى تلك اللحظة محنفظه بسلامتها وبالقوات الرئيسية الضاربة ، والتى لم تكن قد اشتركت فى المعركة بعد .

وكان تركيز نشاط العدو على المنطقة الدفاعية فى القسيمة والحسنة ايدانا باتجاه هجومه الرئيسي على قواتنا فى تلك المنطقة وفى أم قطف لعزل قواتنا فى رفح والعريش ، وبذلك يسهل طى قطاع غزة دون حاجة الى قتال عنيف بسببه ، بالرغم من قلة القوات التى كانت موزعة على امتداد جبهته .

وصدرت الاوامر الآتية لمواجهة تطور الموقف :

١ — تتحرك مجموعة لواء مشاة ومعها مجموعة مدرعة الى الجفجافة والغرض هو حماية الجنب لآى تقدم الى منطقة سدر الحيطان والتهد لمواجهة أى احتمال بمحاولة جديدة لاسقاط قوات اضافية لاسـتـتـنـاف الوصول الى ضفة القناة .

٢ — ارسال مجموعة لواء مشاة ومعها مجموعة مدرعة الى الحمة لمنع أى تقدم لقوات العدو من نخل والحسنة على الطريق الاوسط .

٣ — ارسال قوة الى مر مثلا لتطهيره من بقايا قوة المظلات ومنع أية محاولة للعدو من البقاء فيه .

أما بالنسبة للطيران :

١ — فقد خصص لأسراب الطائرات المقاتلة ضرب المطارات المعادية طول النهار .

٢ — وأعطيت للطائرات المتيور والفامير ضرب التجمعات .

٣ — وخصص لأسراب الطائرات من قاذفات القنابل (الاليوشن) تصف منطقة العوجة وبئر السبع ومناطق التجمع الخلفية المعادية بالقنابل ، والقيام بالغارات الليلية على المطارات ومراكز التجمع والمبيت .

وقد حدث فى الليلة نفسها أن تم اخلاء مطار عمان العسكرى من القوات البريطانية التى انتقلت الى الميرق ، واجتمع مجلس الوزراء الاردنى وقرر الوفاء بالالتزامات العسكرية التى تضمنها الاتفاق الثلاثى « المصرى



كوبرى الفيدان على قنال السويس بسفته عارات الطائرات الممادية

الاردنى السورى » وترك توقيت البدء فى ذلك للقائد العام ، وارسلت حكومة الاردن البرقية التالية الى رئيس مجلس الامن والى حكومات النرويج الثلاثى ، بريطانيا وفرنسا وأمريكا .

« ان الحكومة الاردنية التى ترقب باهتمام شديد الاعتداء الاسرائيلى على مصر ، تطلب من مجلس الامن التدخل فورا لوقف هذا الاعتداء الذى يهدد السلم فى الشرق الاوسط ويهدد سلم الاردن نفسه ، والحكومة الاردنية تلفت نظر مجلس الامن الى أنها ترتبط مع سورية ومصر باتفاق ثلاثى معقود بموجب حق الدفاع الجماعى والاقليمى المشروع ، وهو اتفاق يضع عليها التزامات ستؤديها كاملة » .

وكان ذلك ايدانا ببدء تطور الموقف فى الحقل العربى تجاه العدوان الاسرائيلى . وسنرى اثره فيما بعد .

أما بالنسبة للقوات البحرية فقد صدرت الاوامر لقطع الخيفة فى العريش بمضاعفة نشاطها فى أعمال الدوريات لمراقبة أية محاولات لانزال قوات من البحر وعلى الاخص بين العريش والحافة الشرقية لبحيرة البردويل ، اذ كان ممكنا أن تكون هذه المنطقة موطنًا لانزال قوات من البحر لقطع المواصلات الحديدية والبرية فى القطاع الشمالى بين العريش وما حولها وبين القاعدة الرئيسية فى القناة ، وخصوصا أن هذا الخط الحديدى هو الخط الوحيد الذى يجتاز شبه جزيرة سينا ويصل بين مصر وفلسطين .

كما أعطيت واجبات وقائية أخرى لبعض الوحدات البحرية لمراقبة القطاع بين غزة والعريش خشية انزال أية قوات فيه لقطع المواصلات بين غزة ورفع والعريش .

وصدرت الاوامر الى السفينة الحربية ابراهيم بضرب ميناء حيفا ، وأن يكون التركيز بصفة خاصة على مخازن الميناء وصهاريج البترول فيها .

وأبحرت السفينة من ميناء بور سعيد « سعت ١٨٣٠ » يوم ٣٠ أكتوبر واتفق مع القوات الجوية على تقديم معونة من الطائرات الميج فى أول ضوء صباح اليوم التالى عندما تكون المدمرة ابراهيم قد وصلت الى منطقة الهدف . . وتضمنت الخطة أن تظل الطائرات فوق منطقة المعركة لمدة ١٥ دقيقة ، وتكرر هذه العملية كل نصف ساعة ولدة ساعتين .

وكانت الاشارة المتفق عليها بين السفينة ابراهيم وبين طائرتنا عبارة

عن سحابة كثيفة من الدخان تطلقها السفينة من مدخنتها مع اضاءة المصباح الكشاف الكبير من مقدمة السفينة في اتجاه للطائرة .

ولقد تم الاتفاق على هذه الاشارة الرمزية كوسيلة احتياطية للتيقن من التعارف المباشر بين الطائرات والمدمرة ، والتي كان عليها أن تحدد مكانها لاسلكيا أولا بأول .

وكانت السفينة ابراهيم تضم ١٢ ضابطا و ١٣٨ من الرتب الاخرى وتحركت صوب حيفا . . معقل الاسطول الاسرائيلي ومركز رياسته .

وبعد ذلك بساعتين اقلعت السفينة الحربية طارق من قاعدة بور سعيد البحرية ومعها ٣ زوارق طوربيد في اتجاه قطاع العريش / غزة لحراسته وتأمينه من تدخل القوات المعادية .

وبذلك بدأت قواتنا البحرية تمارس نشاطها الايجابي في المعركة . . بالتعاون مع القوات الجوية والجيش . . فكان ذلك أول تجربة في تاريخ مصر الحديث تمارس فيها قواتها المسلحة هذه الرسالة الضخمة تأمينا لكيانها ومصالحة البلاد .

واتجهت القطع الاربعة شرقا الى البردويل والعريش ، غير انها اضطرت في آخر لحظة الى تغيير وجهتها طبقا للتعديل الجديد الذي تناول الخطة العامة للقوات المسلحة على ضوء الموقف المفاجيء الجديد الذي ترقب على اعلان « الانذار الفرنسي البريطاني » كما سيأتي الحديث عنه فيما بعد . . ولم يقتصر نشاط البحرية على ما قامت به وحداتها العاملة من قاعدة بور سعيد ، بل نشطت قاعدة السويس كذلك منذ اعلان التأميم وأصبحت القاعدة في حالة طوارئ مستمرة الى أن بدأت العمليات العدوانية من جانب اسرائيل . . فازدادت يقظة المسئولية عن مساعدة السويس ، وبخاصة انها كانت هي الهدف الظاهري الاول لنشاط العدو . . علاوة على انها كانت تعتبر نسبيا أكثر تعرضا للغارات البحرية والجوية بسبب قربها من ابالات من جهة . . وبسبب وقوعها على البحر الاحمر المفتوح أمام أي احتمال لتدخل القوات البحرية البريطانية التي سبق أن أكدت المعلومات بحشدتها في ميناء عدن من جهة أخرى . .

وفي مساء يوم ٣٠ أكتوبر نشطت دوريات القاعدة من زوارق الطوربيد في عملياتها الاستطلاعية « بخليج السويس » وبخاصة بعد أن افادت بعض نقط الفنارات المسعرة على الحزر المرجانية في خليج السويس

والبحر الاحمر بأنها شاهدت بعض السفن الحربية متجهة الى الشمال . . .
وقد اكدت هذه الانباء تقارير الطيران فى ذلك اليوم .

ووضعت خطة احتياطية لبث الالغام الوقائية لمنع اقتراب أية سفن
معادية لانزال اية قوات من البحر . . . **اذ كانت السويس هدفا مغريا بسبب
خصائصها الاستراتيجية** التى تنفرد بها بالنسبة الى كونها :

— مدخل قناة السويس من الجنوب .

— اقرب الموانئ المصرية الى موانئ اسرائيل (المسافة بين ايلات
والسويس ٣٠٠ ميل) .

— مركز رئيسي لتكرير البترول وشحنه ودفعه بالمضخات الى
القاهرة عن طريق الانابيب .

— قربها من القاهرة (المسافة بينهما ٨٠ ميل) .

— مركز صناعى .

— قاعدة رئيسية لتموين حامية شرم الشيخ وجزر سنافر وتيران
وميناء الطور ومراكز التنقيب عن البترول فى شبه جزيرة سيناء . . وفى
منطقة خليج السويس بصفة عامة .

— اسمها التاريخى القديم الذى اطلق بصفة عامة على القناة وعلى
كل المنطقة الممتدة منها الى بور سعيد بل والى جانبها .

— الميناء المصرى الوحيد الذى يتعامل مع الشرق الاقصى ومع الكتلة
الآسيوية الافريقية . . بعد أن تم حصار مصر فى البحر الابيض وشلت حركة
النشاط التجارى البحرى فى بور سعيد والاسكندرية .

وأما بالنسبة **لقاعدة الاسكندرية** . . فقد كانت كخليج النحل اذ
كانت بها رئاسة القوات البحرية . . وكان المفروض أن تكون هدفا رئيسيا
لنشاط العدو بسبب أهميتها الاستراتيجية وما تحتويه من المخازن
والمرافق . . ولذلك كانت خطة تأمينها والدفاع عنها موضع عناية خاصة
تناسب أهميتها الكبرى .

فقد خصصت لها قوة جوية تكتيكية للقيام بأعمال الدفاع
والاستطلاع .

واعطيت واجبات للسفن الراسية فى الدفاع المضاد للطائرات

(٦٥٥) معركة سيناء — ٦٥

الخفيفة والثقيلة التي سبق توزيعها على الميناء وفقا لخطة مدروسة من قبل العدوان .

كما وضعت خطة الدفاع الأرضي ضد عمليات الغزو من البحر أو الاسقاط بالمظلات ، واشتركت في هذه الخطة كل الوحدات الموجودة بالمنطقة الشمالية من المشاة والمدركات والحرس الوطني ومشاة البحرية . كما نسفت شبكة وسائل الإنذار بالرادار سواء بالبحرية أو بالدفعية .

وبجانب ذلك وضعت خطة التحكم في مدخل الميناء والبوغاز بإغلاقه بالشباك الحديدية والسلاسل في أثناء العمل لمنع محاولات التسلل الى داخل الميناء سواء بواسطة الضفادع البشرية أو قوارب المطاط الخفيفة التي قد نسقطها الطائرات أو الغواصات أو السفن خارج الميناء .

وتم تنسيق التعاون بين غرف العمليات لقيادة البحرية والطيران والدفعية الساحلية والدفعية المضادة للطائرات .

وصدرت الأوامر لبعض القطع الخفيفة بالتحرك للقيام بأعمال الدوريات الى منطقة أبي قير ورشيد شرقا وإلى برج العرب غربا . . باعتبار أن هاتين المنطقتين هما أكثر المناطق تعرضا للغزو البحري وبإزالة القوات الى البر فيهما . . كما وزعت مدافع هيكليّة كثيرة على امتداد الساحل بقصد النهويه والخداع لكي تظهر أنها مدافع ساحلية . . مما قد يضلل العدو في خطته . .

كذلك وضعت خطة احتياطية لاغراق بعض السفن القديمة التي حملت بالأسمنت « السايب » وقضبان الحديد بقصد اغراقها عند مدخل البوغاز إذا حاول العدو اقتحام الميناء . . وحددت الأماكن التي خصصت لكل سفينة من هذه السفن ، وكان لابد من التفكير في هذا الاحتمال . . كإجراء ضروري لصمد أي اعتداء ولو كان ذلك على حساب تعطيل الملاحة في الميناء لمدة مؤقتة من إجراء الالتجاء الى سد مدخل الميناء . . كما خصصت جماعات فنية مدربة للقيام ببعض الأعمال التدميرية لنفس بعض المرافق التي كان يخشى وقوعها في يد العدو إذا حاول الاستيلاء عليها بالقوة .

وكانت أهم المرافق الحيوية بمنطقة الاسكندرية هي الحوض الجاف . . ومستودعات البترول . . ومستودعات الاختساب ومحطات الرادار والفنارات . . ومخازن وأرصعة الفحم . .

ومن هذا نرى أهمية العبء الذىلقى على عاتق القوات البحرية ومعها باقى القوات التى أعطى لها واجب الدفاع عن الميناء ضد جميع الاحتمالات .. بالرغم من أن الاتجاه لسير العدوان الذى كان قد تحدد صوب منطقة القناة .. انما كان لا بد منه لوضع كل احتمال موضع التقدير والدرس .

اما فى منطقة خليج العقبة وشرم الشيخ فقد كانت هناك السفينة رشيد راسية امام شرم الشيخ وكانت بمثابة نقطة حراسة عائمة لضيق سنافر وتران علاوة على كونها سفينة امداد وتموين لحماية الشرم وكان الوقود الذى فيها كافيا لمدة ٤٨ ساعة ننتهى يوم أول نوفمبر اذ كان مفروضا أن يتم تغييرها بسفينة أخرى قبل هذا التاريخ ، ولكن بعد أن وقع العدوان .. رأى التبكير فى تغييرها خشية احتمال تعذر استبدالها بغيرها .. ولهذا صدرت الاوامر ليلة ٣٠/٣١ أكتوبر بأن تستعد سفينة التدريب « دمياط » التى كانت راسية وقتئذ بميناء السويس لتحل محل « رشيد » .

وكانت الواجبات العامة التى تعطى عادة للسفن الحربية التى تعمل بمنطقة شرم الشيخ هى :

الحراسة لدخل خليج العقبة .

مراقبة الشاطئ لمنع أى انزال للقوات المعادية .

القيام بأعمال التفتيش للسفن الاجنبية المشكوك فيها ،والتى تتجه الى ايلات .

تموين القوة العسكرية فى شرم الشيخ وجزيرة نيران وسنافر وفرعون .

واذا عدنا الى العمليات الاصلية فى شبه جزيرة سيناء يوم وليلة ٣٠ أكتوبر لرأينا تجميدا كاملا لحاصلات اسرائيل فى التقدم غربا او شمالا .. مما دعاها الى مضاعفة نشاطها فى حشد قوات جديدة من القطاعات الشرقية والشمالية التى كانت قد شغلها ببعض القوات فى مواجهة الحدود الاردنية والسورية .. فاضطرت الى سحب كثير من قواتها فى هذه الجبهات وتوجيهها الى الحدود المصرية .. واستعانته اسرائيل ببعض العناصر المقاتلة الفرنسية والسنغالية للعمل مع قواتها البرية علاوة على استخدامها للطيارين الفرنسيين فى اسراب الطائرات

الفرنسية المقاتلة من طراز مستير التي صبغت بألوان الطيران الاسرائيلي .
وفي البحر .. عملت بعض القطيع الفرنسية في حراسة الشاطئ
الاسرائيلي وعلى الاخص امام خيفا كما نشطت البحرية البريطانية في
القيام بأعمال الدوريات في شرق البحر الابيض المتوسط وامام الشاطئ
المصري بصفة خاصة .

وكذلك تحركت ٢٤ دبابة بريطانية من العقبة الى اتجاء الحدود
المصرية لتكون جاهزة للعمل مع قوات اسرائيل التي تجمعت في ايلات لبدء
عملياتها في قطاع نصراني وشرم الشيخ .

وبدأت الدعاية الاسرائيلية تجدد في أسلوبها واتجاهها بعد ان
فشلت المرحلة الاولى من حملتها العسكرية في سينا ، واستطردت تحت
قواتها للعمل المستمر الشاق الذي ينتظرها .. والذي بنت عليه اسرائيل
أجسادها ومستقبلها للبقاء والاحتفاظ بكيانها كدولة . وبدأ قادة الوحدات
يحتون جنودهم بأنهم يخوضون معركتهم الجديدة من أجل هدفهم المقدس
الذي عاشوا دائما من أجل تحقيقه وهو « العودة الى مصر في أعقاب
النبي موسى عليه السلام وانهم بذلك يسطرون تاريخهم لبناء دولتهم
الموعودة التي تمتد حدودها من النيل الى الفرات » .

وكان هذا التحول في دعاية اسرائيل راجعا الى توقف عملياتها في
القطاع الجنوبي بعد القضاء نهائيا على قواتها في نخل واستحالة امداد
العناصر التي هبطت بالمظلات في منطقة التمد وممر متلا ، مما أعجز تلك
العناصر عن القيام بأي نشاط ، بل اضطرت الى دفن نفسها في حفر
دفاعية بين كثبان الرمال وجدران الممر حتى تقى نفسها من غارات القوة
الجوية المصرية التي ظلت سيدة الموقف ، وحالت فعلا دون وصول أي
امداد من منطقة الحدود الى متلا .. الامر الذي أرغم اسرائيل على
الاعتراف بتفوق القوة الجوية ، وكان هذا الاعتراف الرسمي الاسرائيلي
بمثابة الاعتذار الذي قدمته القيادة الاسرائيلية وبررت به سبب عجزها
عن التقدم في اتجاه القناة .

وحاولت اسرائيل في اثناء المعركة .. بل وما بعدها الا تشير الى
اشتراك القوات الفرنسية والبريطانية معها اشتراكا فعليا ، وذلك لكي
توهم رجالها .. بل وتوهم العرب بأن الجندی الاسرائيلي هو وحده الذي
استطاع خوض المعركة امام الجندی المصري ، ولكن هذه المحاولة المضطلة
من جانب قيادة اسرائيل ذابت وتداغت عندما اضطر الجنرال موسى ديان
لاعلان تصريحه الذي نقلته وكالة انباء اليونيتد بريس العالمية من لندن

بعد انتهاء العمليات فى سيناء بثلاثة أشهر عند ما أديع فى ١٥/١٢/١٩٥٧
اذ قال « ان اسرائيل قد قامت بمجازفة محسوب حسابها بصدد تلقيها
معونه بريطانية فرنسية فى هجومها على مصر .. وانه يفضل أن يحارب
مع انجلترا وفرنسا ضد مصر على أن يحارب وحده أمام مصر » .

وكان عجز اسرائيل فى التقدم صوب القسيمة والحسنة وأم قطف
وجنحاه دليلا اضافيا على افلات خاصية المباداة من يد اسرائيل ، وثبوت
عجزها عن استمرارها فى المضي فى تنفيذ خطتها ، أو على الاقل فى
تنفيذ نصيبها من الخطة الشاملة التى افق عليها قادة العدوان الثلاثى ..
مما اثار كثيرا من القلق فى لندن وباريس وقبرص ونل أبيب .

وكانت الخطة المصرية بصفة عامة أمام كل هذه التطورات
تهدف الى :

استمرار السيطرة على المنطقة الدفاعية المحصورة بين الحسنة ..
ونخل .. وسدر الحيطان منعا لبقاء العدو فيها .

وكانت الطريقة التى حددت لتنفيذ هذه الخطة تقضى بأن تقطع
مواصلات العدو وتضرب مراكز نجمعه مع استمرار السيطرة الجوية
على جو المنطقة والبدء فى تحريك القوة المضاربة المدرعة من منطقة القناة
الى أرض المعركة لقتل قوات العدو المبعثرة بين العوجة والكونتلا
وطريق أم قطف الى وراء الحدود والاستمرار فى المطاردة الى قلب
اسرائيل ..

وبدأت القوة المضاربة تعبر القناة فعلا ليلة ٣٠/٣١ أكتوبر شرقا
فى اتجاه ميدان المعركة .

كما حددت واجبات صريحة واضحة للقوة الجوية المصرية « بسرعة
للقضاء على القوة الاسرائيلية الجوية » وخاصته بعد أن تحقق تكبيد
اسرائيل خسارة ربع طيرانها الحربى فى اليومين الأولين من بدء المعركة ،
بالرغم من استعانة اسرائيل ببعض الطيارين الفرنسيين بطائرتهم .

**وروعيت مبادئ كثيرة فى توزيع القوات المصرية بسيناء بعد أن
اتضحت نوايا اسرائيل .. وأهم هذه المبادئ هى :**

١ — توريث العدو فى معارك ثانوية على أطراف المنطقة الدفاعية
الرئيسية لاستنزاف قوته المادية والمعنوية ولتكشف مدى صلابته وعزمه .

٢ — تعطيل العدو بهذه المعارك الثانوية لكسب الوقت اللازم الى

أن تصل القوة الضاربة من منطقة غرب القناة التي كان عليها أن تقوم بالضربة القاضية والمطاردة .

٣ — عدم التورط بقواتنا الأساسية بالمنطقة الدفاعية الرئيسية في قتال عنيف في بادئ الأمر إلا بعد أن تخور قوى العدو وخاصة بعد فشل ثلاث مرات في الهجوم على مواقع أم قطف التي كانت تمثل مفتاح المنطقة الدفاعية كلها .

٤ — الاستفادة لأقصى درجة ممكنة من الموانع والألغام التي وضعت في نطاقات متعددة أمام المواقع الدفاعية ، وبذلك يمكن توفير وقت وجهد وإخائر وقوات كثيرة بنلك المواقع . . وأن تنسق خطط النيران لجميع الأسلحة بما يكفل تغطية هذه الموانع حتى لا يتيسر للعدو فرصة إزالتها أو تجنبها . . وهكذا كان حسن الاختيار لمواقع الموانع والإمادة منها عاملا رئيسيا لتوافر عدد القوات التي تولت تأمين تلك المنطقة أمام قوات العدو المتفوقة عليها كثيرا في أعدادها وتسليحها .

وهكذا بدت طبيعة وأسلوب التنظيم والتكتيك الذي روعي تطبيقه في هذه المعركة ، التي لو ظلت إلى نهايتها المقدرة لها دون تدخل بريطانيا وفرنسا بإثذارهما المفاجيء ، لتغير وجه التساريف في منطقة الشرق الأوسط بأكمله . . بزوال إسرائيل التي أخفت مجزها بالانتساب إلى حلفائها ونسبت إلى نفسها احتلال الأرض التي تخلت عنها قواتنا . . بعد فشل القوات الإسرائيلية في التقدم خطوة واحدة لأكثر من أربعة أيام كاملة . . وكان طبيعيا أن يكون انسحاب قواتنا من هذه الموانع فداء لانقاذ القوة الرئيسية للجيش . . وانقاذا للقناة من وقوعها من جديد تحت احتلال أجنبي . . وانقاذا لكرامتنا السياسية والإدبية . . وتدعيمها لما حققناه من تأمين القناة حتى لا ينهار فجأة أمام ضربات وغارات المعتدين الذين كانوا يهدفون إلى احتلال القناة والإطاحة بجهاز الحكم الذي حقق لنا كل انتصاراتنا السياسية والعسكرية والاقتصادية والمعنوية .

ومرت الساعات الثقيلة من ليله ٣٠/٣١ أكتوبر بعد أن انكشبت القوات الإسرائيلية وتراجعت أمام مواقعنا الدفاعية . . تراجعت لتستعيد بعض قوتها ، ولتعيد جمع شتاتها ولتعدل خططها ، وخاصة بعد قتل قائدها في المعركة . . واستبداله بقائد آخر لقي المصير نفسه مما دعا إلى حضور الجنرال موسي ديان بنفسه ليخطط للمعركة من جديد .

اليوم الثالث للمعركة

٣١ أكتوبر

بعد أن استمرت العمليات الحربية شرق قناة السويس يومين كاملين .. وبعد أن تأكدت لمصر نوايا اسرائيل فى رغبتها فى الوصول بأية قوات ، ولو رمزية ، الى ضفة القناة بأمل تحقيق دعائية سياسية ، كما كشفت عن ذلك اذاعات تل أبيب وصوت بريطانيا فى قبرص .. بعد هذا كله كان ضروريا أن تؤكد مصر قدرتها وعزمها على سلامة الملاحة فى القناة ، بعد أن كسبت الموقف وملكت زمام الامور فى السبر والبحر والجو ، وبعد أن انزعجت المباداة وصارت هى المتحكمة فى اتجاهات المعركة وتطوراتها .. فصدر البلاغ التالى :

« ان القوات المصرية قد سيطرت على الموقف الذى نشأ عن العدوان الاسرائيلى المفاجيء فى خلال الس ٢٤ ساعة الأخيرة. وأن قناة السويس غير مهددة على الاطلاق بأى تهديد عسكرى ، وليس هناك ما يهدد سلامة السفن المارة بالقناة او حرية الملاحة فيها .

والقوات المسلحة المصرية قادرة فى كل الظروف على حماية القناة » .

وكان رد الفعل لهذا البلاغ الذى كشف حقيقة موقف الملاحة الى القناة بل وحقيقة نتيجة المعركة التى بدأتها اسرائيل .. وادعت فيها وصولها الى ضفة القناة .. كان رد الفعل أن جازفت اسرائيل مرة أخرى بقذف كل قواتها على منطقة أبو عجيلة وأم قطف املا فى رفع معنويات القوات الاسرائيلية التى منيت بالفشل والخسائر فى جميع محاولاتها السابقة .. واستمرت هجمات العدو مركزة فى هذا الميدان .

وفى الوقت نفسه كانت السفينة ابراهيم قد أتمت مهمتها فى قذف ميناء حيفا بالقنابل ، وسببت فيها خسائر مروعة اعترفت بها اذاعة اسرائيل ، وساد الذعر فى الميناء ، وخاصة ان الهجوم كان مفاجئا تماما للقيادة البحرية الاسرائيلية التى لم تستطع أن تواجه الموقف .. وان كانت عملية ضرب حيفا بدأت تماما فى الساعة ١٨:٠٠ صباح الاربعاء ٣١ أكتوبر واستمرت السفينة وحدها فى مياه العدو تصله نارا حامية حتى الساعة ٣:٥٠هـ عندما أحاطت بالسفينة ثلاث سفن من طراز المدمرات ، فاضطرت السفينة المصرية للاشتباك معها .. فخف بذلك العبء كثيرا عن كاهل البحرية الاسرائيلية التى بدأت بعد اشتباك السفينة المصرية

بالسفن الفرنسية وايضاها الضرب على حيفا .. بدأت السفن الاسرائيلية تتحرك للاشتراك فى المعركة ، ولكن حدث فى الساعة ٦ر٥٦ أن فعملت السفينة المصرية بعد ففاد الذخرة ، وبدو وصول الطائرات الفرنسية للاثبتاك مع السفينة ابراهيم ، الامر الذى دعا قائد السفينة المصاغ حسين رشدى طمازين الى الاتصال بالحديث اللاسلكى المفتوح برياسة البحرية فى الاسكندرية ليعطى الصورة النهائية عن الموقف .. وصدف له الامر باغراق السفينة ، وكان نص الاشارة التى ارسلت له فى هذا الصدد فى السابعة صباحا والدقيقة الواحدة كما هو مسجل بيومية الحرب : —

« غادروا السفينة بعد التيقن من اغراقها » .

واجاب قائدها بالاشارة الآتية فى الساعة ٧ر٢٩ .

« جارى اغراق السفينة » .

والحقها بالاشارة التالية « سعت ٧٤٣ » .

« فتحت بلوف التفريق » .

وبدأت ابراهيم تهوى بطبنا الى القاع .. غير أن بطء تدفق الماء بسبب اختلاط الزيت بالماء فى الموتور لم تعجل باتهام عملية الاغراق مما اتاح الفرصة للعدو ليسحبها الى الميناء .. ويعلن نبا أسره لها دون أن يشير الى العملية الباهرة التى خاضتها أو الى الاهداف التى حققتها .. وقد حاولت اسرائيل أن تتحل لنفسها دور البحرية الفرنسية والطيران الفرنسى فى معركة المدمرة ابراهيم بأن أعلنت أن السفن الاسرائيلية (يافو — وايلات ومزنك) هى التى بولت عملية مطاردة السفينة المصرية الى خارج ميناء حيفا لمسافة ٣٢ ميلا من رأس الكرمل عقب انتهائها من ضرب مرافق الميناء ..

وكان هذا النص هو البيان الرسمى الذى أذاعته قيادة اسرائيل عقب انتهاء المعركة ، كما أرادت أن تضى مظهرها حقيقيا على اشتراك السفن الثلاث فى معركة ابراهيم بأن أشارت الى « أن هذه السفن استطاعت بعد صعوبة كبيرة اكتشاف موقع السفينة المصرية ابراهيم فى الساعة الخامسة والدقيقة السابعة » أى عقب ضرب ميناء حيفا بساعة ونصف . وكان نبرير منطق القيادة الاسرائيلية فى تأخير اكتشاف موقع السفينة المصرية هو كثرة عدد السفن التى كانت موجودة فى ذلك الوقت بمنطقة المعركة .

وهكذا كشفت القيادة الاسرائيلية بدون قصد منها عن وجود السفن الحربية الأخرى بمنطقة عمليات السفينة ابراهيم . ولم تشأ أن تذكر شيئاً عن حقيقة هذه السفن . . والتي لم تكن بطبيعة الحال سفناً مصرية بل كانت هي السفن الفرنسية التي دارت المعركة الحقيقية بينها وبين السفينة ابراهيم .

وقد تضمن تقرير القيادة الاسرائيلية عن هذه المعركة أيضاً الملاحظات الآتية من وجهة نظرها الخاصة ، وقد اضطرت في هذا التقرير للاعتراف بسالة المدمرة المصرية ومسلكت رجالها . . الذين ظلوا يقاتلون وحدهم وبإمكاناتهم المحدودة طول مدة المعركة ، وحققوا أهدافهم الأصلية كما حددت لهم ، حتى نفذت الى آخر طلقة منهم . ولم يتركوا سفينتهم الا وهى فى طريقها الى قاع البحر دون أن يفرطوا فيها ، فجاء فى التقرير الاسرائيلى ما نصه : —

١ — حاربت السفينة ابراهيم بهمة كبيرة ، وفقاً لإمكاناتها المحدودة وكان تسليحها عبارة عن أربعة مدافع عيار ١٠٢ ملميمتر ، ولم يكن بها أى أنابيب لقذف الطوربيد .

٢ — وكانت نيران السفينة التى أطلقتها على أهدافها مضبوطة .

٣ — فى الساعة ٦ والدقيقة الرابعة صباحاً نقصت سرعة السفينة وبدأ الهجوم الجوى عليها بالطائرات من طراز أوراجون .

٤ — وفى تمام الساعة السابعة صباحاً توقفت الماكينات وبدأت فى تغريق نفسها .

٥ — أمكن قطرها وانقاذها ودخلت ميناء حيفا وهى مقطورة فى الساعة ٣.٠٤ الرابعة والنصف بعد ظهر يوم ٣١ أكتوبر .

٦ — يعتبر ارسال المدمرة ابراهيم للقيام بهذه العملية مظهر الكبرياء غير العادى والاستخفاف بقوات اسرائيل والاستهانة بأمرها .

هذا ما شهد به الاعداء عن موقف المدمرة ابراهيم . وهو بالرغم من تجاهله لكثير من الحقائق التى تهمل عادة فى مثل هذه التقارير الرسمية المعادية بقصد عدم التأثير المعنوى على قواتهم . . فإنه يعتبر شهادة نخار للبحرية المصرية .

ولقد فسرت اسرائيل ما تضمنته الفقرة السادسة السابقة من أن قيام المدمرة ابراهيم بهذه العملية بدون أن يكون معها سفن أخرى للعمل

معا ولتأمين عودتها انما كان بمثابة الاستخفاف بقوات اسرائيل .. وفى الحقيقة .. كانت باقى السفن الحربية المصرية قد كلفت بواجبات أخرى على طول امتداد الساحل الممتد من غزة الى غرب الاسكندرية .. علاوة على الاعمال التى جرت فى البحر الاحمر .

ومن جهة أخرى فان ارسال سفينة واحدة لهذه العملية كان من مظاهر المفاجأة المقصود تحقيقها .. اذ لو أرسلت عدة سفن لهذه العملية ، فقد كان احتمال اكتشافها ممكنا جدا ، وكان من شأن هذا أن يؤثر على نجاحها .

ولقد كانت سرعة المدمرة ابراهيم ٢٧ عقدة ، أى أنها سرعة تسمح لها بتحقيق أهدافها والعودة مرة ثانية .

ولكن تحدث عادة فى المعركة مفاجآت لم تكن متوقعة .. اذ تأخر وصول المعونة الجوية للسفينة وفقا للترتيب السابق الاتفاق عليه بين قيادة القوات البحرية والجوية ، بالرغم من ارسال الطائرات فعلا الى منطقة العمليات أمام حيفا ، الا أن ظرف تطور القتال أمام حيفا واضطرار السفينة المصرية للقيام ببعض المناورات لتضليل السفن الفرنسية والطائرات التى كانت تهاجمها علاوة على ظهور كثير من السحب المنخفضة حالت دون تحقيق المعونة الجوية المطلوبة للسفينة ابراهيم ، ومن جهة أخرى كانت السفينة راسية بقاعدتها البحرية منذ ما قبل العدوان فى بور سعيد ، فلما أقلعت منها لم يكن ممكنا تزويد السفينة بالمواد المتفجرة لاستعمالها فى حالة الطوارئ لنفسها .. اذ أن المفروض أن كل السفن تزود بمثل هذه المواد بكميات تكفى لاغراقها بأسرع ما يمكن حتى لا تتاح الفرصة لوقوعها فى قبضة العدو .. ولذلك لم يكن هناك بد من تغريقها بالطريقة العادية ، وهى فتح الصمامات الخاصة بذلك للماء الجيوب السفلى بالماء .. ولكن هذه الطريقة تأخذ عادة بعض الوقت ، وخاصة أنه من الممكن لأية سفينة أن تظل عائمة لمدة طويلة بالرغم من امتلاء بعض جيوبها السفلى بالماء اذ أن تصميمات السفن قد روعى فيها ذلك من أجل سلامتها فى حالة أصابتها وتدفق الماء فيها .. ولهذا تمكن العدو من الاستيلاء عليها .. ويمكن أيضا تصور ظروف هذه المعركة الجريئة من حيث مدى الارهاق الذى عاناه رجال السفينة فى مخاطرتهم الكبرى فلم يكن هناك أى مجال زمنى للقيام بمحاولة تغريق السفينة فى وقت مبكر اذ كان الامل قويا لدى رجالها فى امكانهم الانلات من مطاردة

السفن والطائرات الفرنسية لهم .. وكان لديهم الامل فى احتمال وصول المعونة الجوية لهم .

وقد راودتهم فكرة نسف المدمرة باستخدام بعض القنابل المخصصة لدافعها . ولكن كانت قيمة هذه القنابل كبيرة جدا فى الامادة منها فى ضرب السفن المستبكة معها .. علاوة على أن عدد القنابل الذى يلزم لنسفها كان كبيرا .. كما كان الامر يحتاج مع ذلك الى وقت طويل لفك اجزاء القنابل لاستخراج المواد المتفجرة فيها وتجهيزها فى الصورة المناسبة ، وكان عامل الوقت هاما لدرجة أنه رأى عدم القيام بهذه المحاولة توفيراً لكل ثابته .. وبجانب ذلك كانت السفينة تعمل تحت وابل متصل من نيران السفن والطائرات الفرنسية ، فكان من المحتمل جدا أن تتعرض المواد المتفجرة الى كان مفروضا استخراجها من القنابل .. لشظايا أو نيران العدو مما يؤدى الى اشتعال أو انفجار هذه المواد وهى لا تزال فى ايدي الرجال على سطح المدمرة .

كان ذلك هو تبرير عدم نسف الباخرة .. اذ أن المفروض أن يكون النسف هو الوسيلة النهائية التى يلجأ اليها طاقم السفينة فى حالة عجزها عن القيام بالعمل وهى أمام قوات تفوقها عددا وتسليحا .

وهللت اذاعة اسرائيل ، ووصفت معركة السفينة المصرية ابراهيم بأنها انتهت بأسرها وضمها الى قطع الاسطول الاسرائيلى ، واطلق عليها اسم « حيفا » .. ولقد غنمت اسرائيل حديد السفينة بعد أن أفسد طاقم مدافعها الاربعة وبعد أن حطمت كل أجهزتها الفنية وبعد أن احترقت جميع الأوراق والخرائط والمستندات التى بها .. لقد غنموا حديدها ولكنهم خسروا مقابل ذلك المعركة وخسروا ما أتلفته قذائف مدفعيتها فى مرافق الميناء .. وخسروا اسم المعركة .. وخسروا ثقتهم بوحدانهم البحرية التى ذابت تحت وطأة المواجهة الجريئة التى قامت بها ابراهيم .. وظلت آثار هذه المعركة ماثلة أمام بحرية اسرائيل التى استنجدت بعد انتهاء العدوان بخلفائها فيه لكى يزودوها بقطع اضافية جديدة بعد أن لمسوا مدى الاثر الضخم الذى حققته سفينة واحدة قامت بواجبها الطارىء تحت الظروف الخاصة غير العادية التى اشرفنا اليها .

عود .. الى سيناء

وعلى رمال سيناء وتحت ظروف المعركة التي اشتد أوارها كانت
ملائع قواتنا الضاربة قد وصلت الى منطقة .. بير روض سالم .. وهى
منطقة النجم التي حددت لحشد القوة الضاربة قبل توجيهها الى ميدان
المعركة .. واختير موقع هذه المنطقة لكثير من الاعتبارات ، لعل أهمها
هو صلاحيتها لاستيعاب القوة الضخمة من الدبابات والسيارات المدرعة
والتي كان قوامها :

مجموعة من الدبابات (ت ٣٤) التشيكية .

ومجموعة من الدبابات الروسية ومدافع (سى ١٠٠) .

وسبب آخر لاختيار هذا الموقع هو توسطه بين المناطق التي وجه
العدو محاولاته الهجومية اليها منذ بدأ العدوان . فالمنطقة تقع غرب
ابو عجيلة والقسيمة وأم قطف .

وجنوب الطريق الشمالى المؤدى الى العريش .

وشمال الطريق الجنوبى المؤدى الى نخل وممر متلا .

وكان قرار ارسال هذه القوة الضاربة بتلك السرعة الى قلب سيناء
لمواجهه المعركة بصورة جديّة وتصفيته قد اتخذ بعد أن أعلنت بريطانيا
رسمياً فى اليوم السابق .. « أنها لا تنوى استغلال القتال الذى نشب
فجأة فى سيناء لمصلحتها » .

ولم يكن من المتوقع أن يكون هذا الاعلان. أو التصريح الرسمى مجرد
تضليل وخديعة رسمية كبرى قامت بها بريطانيا أمام العالم من أجل اخفاء
حقيقة خطتها الى سبق أن اشتركت فى وضعها مع كل من فرنسا
واسرائيل .. فكان مجرد اذاعة هذا البيان الرسمى كافياً لربط بريطانيا
بالتزامات وقبود أدبية وعسكرية أمام كل العالم .. ولكن مع ذلك ..
لم يكن ارسال القوة الضاربة الى روض سالم لانتهاء معركة سيناء على
حساب تخفيف الدفاع أو اهماله بمنطقة القناة ، فقد أجرى تعديل فى
توزيع القوات بين غرب الدلتا والقاهرة والقناة لكى تظل الملاحه فى القناة
جارية فى أمان بعيدة عن التأثير أو الموقف بسبب العمليات فى سيناء التى
حاولت اسرائيل أن 'نحوها الى أزمة سياسية وفنية يتعرض الملاحه
فى القناة الى التوقف أو الخطر ، ولكن باعت كل هذه المحاولات بفشل
كامل ..

وما لبث العدو أن لمس من اكتشافاته الجوية تحرك القوة الضاربة إلى قلب سيناء .. حتى ضاعف من نشاطه وضغطه على كل من :

القسيمة وأبو عجيلة وأم قطف .

« وكان العدو قد دخل القسيمة فعلا بعد اخلائها من قواتنا خفيفة الحركة (أورطة السيارات الخفيفة) صباح يوم ١٩٥٦/٧/٣٠ واستمرارها في القتال التعطيلي حتى انضمامها إلى قوات أبو عجيلة » .

وكان هدفه القضاء على هذه القوات نهائيا قبل أن تستكمل قواتنا الضاربة استعدادها للعمل الإيجابي في المعركة .. فحشدت إسرائيل كل ما استطاعت من قواتها المدرعة ومدفعتها وجميع وسائل النقل بما في ذلك السيارات المدنية . فقد عبأتها من أجل نقل الإمدادات والتموينات والمشاة إلى أرض المعركة بأمل احراز هدفها بأسرع ما يمكن ، بعد أن فشلت طول اليومين السابقين ، إذ كان عامل الوقت يتطور في مصلحة القوات المصرية ، وتجمعت قوات العدو أمام أبو عجيلة مكونة من :

لواء مدرع كامل

ولواعين من المشاة

وأسلحة معونة من المدفعية والهندسية والأسلحة الإدارية .

وواصلت هجومها على أبو عجيلة التي كان بها كنيبتان من المشاة فقط وأسلحتها المعونة .. وكان في القسيمة كتيبة واحدة من كتائب الاستطلاع ولم يكن معها قوات أو عربات مدرعة . إذ كانت هذه الكتيبة تستخدم السيارات، الجيب وكان واجبها الحصول على معلومات تفصيلية عن العدو من حيث قواته وتوزيعها وتسليحها وأماكن تجمعها واتجاهات تحركها .. وكان عليها من أجل الحصول على هذه المعلومات أن يقتصر اشتباكها مع العدو على الأعمال التعطيلية لتكشف قوته ونصيبه دون النورط معه في قتال جدي ، إذ ترك ذلك للقوة المدافعة عند أبو عجيلة وأم قطف والتي حاولت شن هجومها نهائيا عليها بعد أن فشلت كل محاولاته الليلية التي تكبد فيها خسائر بالغة ، كما وردت الإشارة عنها في التقارير الرسمية للعمليات الإسرائيلية ، ولا شك أن محاولة العدو شن هجومه نهائيا إنما بمثابة المحاولة اليائسة الباقية له بعد أن ضاع كل أمله في احراز أي نجاح بعملياته الليلية المتكررة .

ولذلك ركز هجماته الجوية على مواقع أبو عجيلة وأم قطف ورنح

لأرهاق قوائنا وتكبيدها أكبر ما تستطيع من الخسائر حتى يسهل عليه
نسن هجومه الأرضي الأخير .

ولكن كانت المفاجأة الكبرى التي أذهلته هو إمكان القوات المدافعة
من إسقاط ثمانى طائرات فى أرض المعركة بوساطة الاسلحة الصغيرة
والمدفعية الخفيفة المضادة للطائرات . وكانت هذه المفاجأة ذات أثر كبير
على قواته التى لم يكن فى تقديرها أو تصورها أن ترى هذه الخسارة
الكبيرة تتحقق بتلك الصورة السريعة وعلى رأى من الفريقين المتحاربين .

وأدر يوم ٣١ أكتوبر وأدبر معه العدو مرة رابعة من أمام أشواك
المعركة القاصصة التى كبده ٤١ دبابة ومدفعه تركها فى أرض المعركة
وترك حولها خسائره من الأفراد الذين لم يتمكن من سحبهم لدفعهم فى
فلسطين ، وقد استعمل العدو فى هذه المعركة التى بدأها منذ ٢٩ أكتوبر
كل ماله من الاسلحة الثقيلة والمتوسطة من مدفعية ٢٥ رطلا وهاونات
عيار ١٢٠ ملليمتر وباقى الاسلحة المعاونة الأخرى لشد أزر المشاة
والدبابات ، وقد اشتركت القوات الجوية البريطانية والفرنسية بجانب
الطيران الاسرائيلى ، وبلغت جملة القوات التى استخدمها العدو فى قطاع
أم قطف وأبو عجلة :

- أورطة دبابات شيرمان .
- أورطتين دبابات فرنسية من طراز XMA .
- كتيبتين مشاة ، منها كتيبة محمولة فى مصفحات مدرعة .
- كتيبة مشاة من يهود العراق والدروز .
- بطارية مدفعية متوسطة .
- بطارتين مدفعية من طراز ٢٥ رطلا .
- بطارتين من الهاونات الثقيلة من عيار ١٢٠ ملليمتر .
- وقوة الطيران المختلطة / يهودية / بريطانية / فرنسية .
- فى حين أن قواتنا التى ظلت طول المدة تدافع بهذا القطاع مؤلفة من
كتيبة المشاة ١٧ .
- وكتيبة المشاة ١٨ .
- الألاى الثالث مدفعية ميدان .

— أورطة سيارات خفيفة .

— بطارية مدفعية مضادة للدبابات ١٧ رطلا .

— بطارية مدفعية خفيفة مضادة للطائرات عيار ٣٠ ملليمتر .

— كتيبة من الحرس الوطنى (عددها ٢٠٠ فرد) .

ولقد ظهرت كفاية الجندى المصرى فى هذه المعركة بصفة خاصة وتجلت مهارة الضباط فى قيادة المعركة وخاصة فى العمليات الليلية التى تحتاج الى يقظة وصبر وسيطرة وسيادة على جو المعركة فى الظلام ، ولقد استطاعت احدى سرايات المشاة من الكتيبة ١٧ بمعاونة المدفعية لها بصدد هجوم العدو الذى تركز على أحد التلال الذى كان يعرف « بالتبة الحمراء » لانها كانت مفتاح الموقع كله ، وقد استطاعت هذه السرية صد كل محاولات العدو امام هذه التبة وكلفتها فى آخر محاوله له ليلة ٣١/٣٠ أكتوبر ٢ دبابات شيرمان و ٤ سيارات مصفحة بخلاف القتلى .

ولقد كان لشدة غارات الطيران المعادى اثر فى اماكن افلات وحداته المدرعة من نيران المدفعية المضادة للدبابات . . ومن ذلك تمكنت البطارية المضادة للطائرات الوحيدة من اسقاط ١١ طائرة علاوة على ما أصابته الاسلحة الصغيرة .

وكان من اثر ذلك أن حاول العدو استخدام اساليب الحرب النفسية فى هذه المعركة بأهل اضعاف روح المقاومة . فاستخدم مكبرات الصوت من الطائرات . واللقى كثيرا من المنشورات من الجو داعيا القوة المدافعة الى التسليم بحجة أنه قد اعتزم حشد كل قواته الرئيسية لشن هجومه الكبير، مما سيؤدى الى اجتياح المواقع المصرية مرة واحدة . وكان ضروريا لهذه الطائرات المعادية أن تطير على ارتفاعات منخفضة حتى ينيسر لها اسقاط المنشورات فى خنادق وخفر المدافعين . . ولا مكانها اسماعهم الاذاعات الصوتية الموجهة من الطائرات . فكان ذلك خير فرصة للأسلحة الصغيرة لكى تتصيد الطائرات التى سبق الإشارة الى اسقاطها . .

وفى هذه الاثناء عدل العدو عن فكرة الهجوم المباشر على هذه المواقع بعد أن جرب حظه فى خلال محاولاته السابقة . . فبدأ يركز هجومه بنيران المدفعية والهاونات على مراكز الريباسات للوحدات . . وفى الوقت نفسه اطلق طابورا ميكانيكيا لتطويق المواقع من الخلف لقطع مواصلات المدافعين مع طريق الاسماعيلية والعريش ، وكان يهدف من وراء هذه الحركة التطويقية الى عزل القوات المصرية حتى اذا أصبح

اليوم النالى ووجد المدافعون أنفسهم محاصرين ، فان ذلك ربما ينال من معنوياتهم ويخفف من مقاومتهم ...

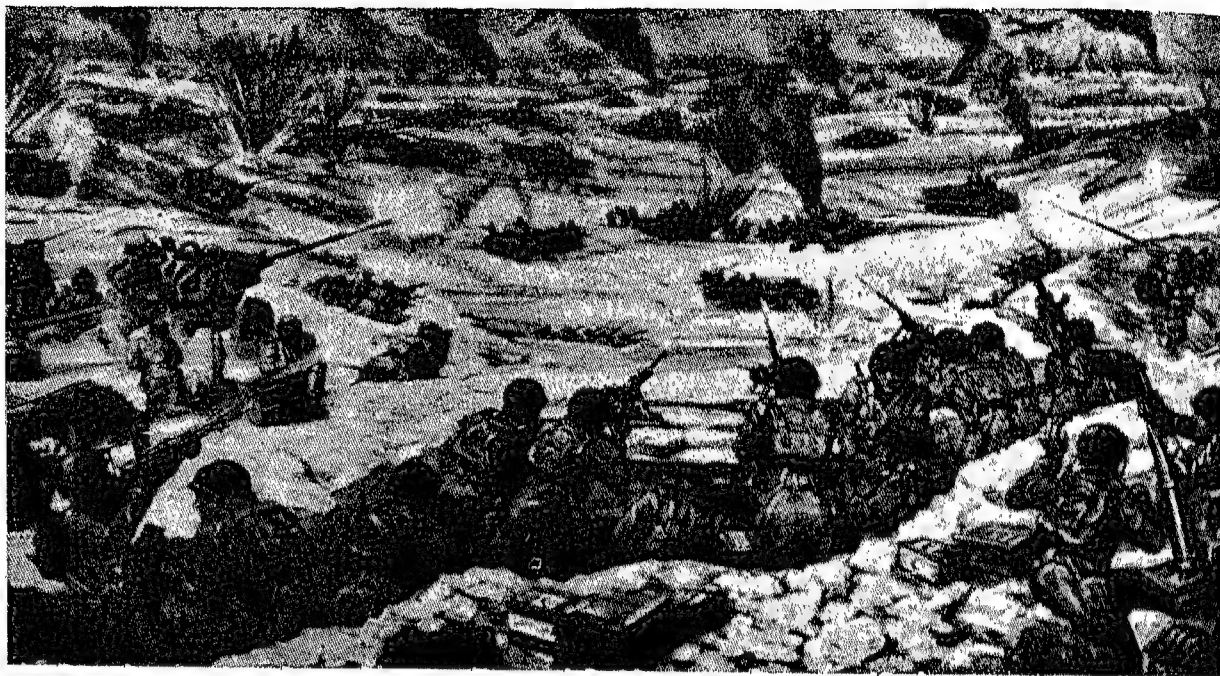
وقد فطنت القوات المصرية الى ما يهدف اليه العدو فقابلت مناوخته باطلاق نيرانها من جميع مواقع القطاع .. حتى ظن العدو أن امدادات جديدة قد وصلت اليهم .. ، وكانت أطقم المدفعية والرشاشات تغير مواقعها بين الحين والحين امعانا فى خداعه ولايهله أن المواقع قد تغيرت نتيجة لوصول الامدادات الجديدة .. ومن جهة أخرى فان العدو كان قد استطاع رصد محال المدفعية ونقط الملاحظة التى يدير معركة المدفعية وتضبط وتصحح نيرانها .. ولهذا عاود تركيز ضربه على هذه المحال التى سبق أن رصدها .. فكان ضروريا أن تتغير المحال من وقت لآخر نأمننا لسلامة المدافع وأوكار الرشاشات ولتضليل العدو عن حقيقة القوة التى أصبحت موجودة فعلا فى المواقع ..

وفى فجر يوم ٣١ أكتوبر عاود العدو هجومه وقذف فيه كل ماله من المدرعات التى قدرت بلواعين ، وكان يأمل انتهاء هذه المعركة بالقضاء السريع على قوة أم قطف ، واستمرت محاولته طول هذا اليوم .

ولا بأس من استمرار وصف هذه المعركة التى استمرت بعد ذلك يومين آخرين .. على أن نعود الى التسلسل الزمنى وتتابع الحوادث فى باقى القطاعات .. فيما بعد .

وبعد فشل محاولاته فى هذا اليوم .. عاد مرة أخرى يوم أول نوفمبر مستخدما مدرعانه أيضا بعد أن تغير قائد الهجوم بسبب مصرع القائد الاصلى فى المعركة واستطاع العدو بعد كل هذه الحشود التى قذف بها فى أرض المعركة أن يفتح ثلاث ثغرات فى سرايا المشاة الامامية التى ظلت أربعة أيام متواصلة تقاتل فى محالها ولم يكن ممكنا تغييرها . أو امدادها برجال جدد لسد خسائرها من القتلى والجرحى بسبب الاتجاه العام الى حشد القوة الضاربة فى منطقة روض سسالم كما اشرنا فى الحديث من قبل من أجل القيام بالهجوم المضاد الرئيسى بتلك القوة .. اذ كان المفروض أن القتال فى أم قطف وأبو عجيلة كان بمثابة عملية دفاعية تعطيلية بقصد كسب الوقت اللازم لوضع القوة الضاربة فى تنظيم وتشكيل المعركة الرئيسية المتوقعة .

ومع ذلك .. فبالرغم من امكان فتح العدو للثغرات الثلاث فى خط السرايا الامامية .. قامت الفصائل الاحتياطية لتلك السرايا بالهجوم المضاد المحلى السريع ، واستخدمت هذه الفصائل القنابل اليدوية ، ودار



معركة أم قطف

القتال عنيفا مريرا بالسلاح الابيض (بالسونكى) ، وبذلك تمكنت قواتنا من السيطرة الكاملة على الموقف وتم طرد العدو من الثغرات التى كان قد تسلل منها . . ولم تدم هذه المعركة السريعة أكثر من نصف ساعة اثبتت أن اهم ما يتميز به التدريب الجيد على استخدام السلاح الابيض من الثقة والثبات هو فى مدى تمكنه من « اللعب » بالسونكى والمبارزة به ، فان منظر السلاح الابيض فى القتال المتلاحم انما يقذف بالرعب فى نفس العدو ، وكذلك فان المهارة فى استخدام القنابل اليدوية بالطريقة الصحيحة . . وفى الظروف الملائمة قد حققت مفاجأة كبرى بالنسبة للصوت الرهيب الذى أحدثه انفجارها القريب . وقد ترك العدو فى هذه المعركة القصيرة فى زمنها ، والعميقة فى أثرها ٢٥٠ قتيل ، كان معظمهم من ضحايا القتال بالسلاح الابيض والقنابل اليدوية ، وترك ٥ دبابات شيرمان و ١٥ عربة مصفحة .

وكانت هذه آخر محاولة للعدو فى هجومه على موقع أم قطف وأبو عجيلة بعد أن ظل أمامها أكثر قليلا من أربعة أيام كاملة بلياليها استخدم فيها كل قواته الرئيسية المدرية التى عاونتها قوات جوية متفوقة فى عددها وتسليحها من طيران فرنسي وبريطاني وخاصة أن المرحلة الأخيرة لهذه المعركة التى سبق وصفها كانت قد دارت بعد أن رفضت مصر الانذار الفرنسي البريطاني لها إتاحة الفرصة « الرسمية » للقوات الجوية الانجلو فرنسية للمشاركة العلنية مع طيران اسرائيل بتركيز شديد نفاق حد التصور ، وخاصة فى تلك الظروف القاسية التى احاطت بالقوات المصرية التى ظلت تدافع فى أماكنها طول المعركة منذ بدء العدوان تحت الارهاق المتواصل وبدون أية فرصة للراحة أو التوقف أو تغيير القوات . ومما زاد هذه الظروف دقة وخطورة . . توجيه الانذار الفرنسي البريطاني الذى أوحى بأن المعركة لم تعد معركة مصر مع اسرائيل ، بل أضحت معركة غير متكافئة . ومع كل هذه الظروف . . كان مسلك القوات رائعا مثاليا اعترف به الجنرال موسي ديان رئيس أركان حرب اسرائيل الذى اشترك بنفسه فى قيادة المعركة بعد مصرع القائد الذى قام بالهجوم الاول ، وبعد تغيير القائد الثانى الذى قاد مراحل الهجوم الأخيرة وانتهت بفشل الذين قاموا بالهجوم فى مائة الساعة التى عجزت فيها قوات اسرائيل المدرعة والمشاة والطيران عن تحقيق أى نجاح أمام القوة التى لم يزد حجمها عن ١/٤ القوة المهاجمة مع اختلاف الظروف العالمة التى كانت فى ظاهرها فى مصلحة المهاجمين الذين اختاروا وقت ومكان الهجوم ، وكانت وراءهم امبراطوريتان تشد أزهرهم وتمدهم بكل المساعدات ، ولكن كان

هناك نقص رئيسى واضح فى الاعتبار المعنوى الذى خاضت قواتهم القتال من أجله .. فبالرغم من تلقين القوات الاسرائيلية المهاجمة مدى قدسية هذا الهجوم الذى سيقودهم الى سينا والى النيل فى أعقاب النبى موسى .. الا أن صدمه الفشل التى حاقت بالمهاجمين كانت مفاجأة كبيرة غير متوقعة وخصوصا بعد أن بالغت اسرائيل وقادتها فى التقليل من شأن الجندى المصرى والضابط المصرى .. ولم يكن هناك بد من الاعتراف بكفاية المصريين فى تقدير اسرائيل فاعترفوا « بأن هذه الكفاية تطهر تماما فى الدراسات النظرية والثقافة العامة ، أما فى المعركة فان الموقف يختلف » ولم تشر تقارير اسرائيل الى المقصود بهذا الاختلاف ، وان كان المقصود هو أن يفهم من ذلك أن الجيش المصرى كان ينقصه التدريب العملى .. ولعل هناك مظهرا لتقليل ما وصفته اسرائيل ، لأنها كانت تعلم أن الجيش المصرى قد أعيد تسليحه بعد عقد صفقة الاسلحة التشيكية ، والتى كانت قد بدأت نصل تباعا دفعة بعد أخرى .. وكان طبيعيا ومنطقيا أن يكون التدريب لجميع القوات على استخدام هذه الاسلحة محتاجا لوقت كاف .. ولهذا كانت اسرائيل تمارس سياستها وخطتها التقليدية وهى استثمارها فى العدوان لارهاق قواتنا حتى لا تتفرغ للتدريب الكامل وتطبيق أصوله وبرامجه .. فظلت تنفذ خططها العدوانية بصورة جديدة ، مرة على غزة وتارة على الصابحة ومرة أخرى على الكونتلا ، وهكذا كان هدفها من وراء ذلك كله حرمان القوات المصرية من الاستقرار الزمنى الذى يتيح لها فرصة التفرغ للابداع فى اتقان استخدام الاسلحة الحديثة التى تسلمتها .. اذ كانت هذه الاسلحة بطبيعة الحال أحدث كثيرا وأقوى مما لدى اسرائيل .. ولهذا كان تقدير اسرائيل هو أن مستوى التدريب فى القوات المصرية كان متأثرا بنتائج عدوانها المتكرر منذ عام ١٩٥٠ ، حتى وقت العدوان .. اذ أن عقد صفقة الاسلحة كان فى خريف ١٩٥٥ ، وكان العدوان الثلاثى فى خريف عام ١٩٥٦ حيث تعرضت فيه قواتنا بمنطقة الحدود الشرقية الى أربعة اعتداءات رئيسية بخلاف الاشتباكات العادية التى دأبت اسرائيل على القيام بها منذ حرب عام ١٩٤٨ كوسيلة لاطهار قدرتها على العدوان .. وكوسيلة أخرى لجذب أنظار واهتمام الرأى العالمى وخاصة فى أمريكا الى أن السلام على حدود اسرائيل لم يزل مهددا ، وبذلك تثير عطف المتبرعين لها والداعين لها والعاطفين عليها ..

وفى الحقيقة كانت مصر قد بدأت تتسلم شحنات الاسلحة التشيكية على فترات .. وكانت تقدر أهمية عامل الوقت ، وكان معلوما أيضا

أن التدريب الجيد يحتاج الى وقت وتفرغ واستقرار .. وأن وصوله
الاسلحة الجديدة لم يكن دفعة واحدة .. **ولذلك كانت سياسة التدريب
المصرية فريدة في أسلوبها** .. اذ ظلت القوات فى الميدان تمارس أعمالها
العادية فى حين نم تدريب قوات معينة فى القاعدة الخلفية على الاسلحة
الحديثة ، وبذل اهتمام خاص خلال عام ١٩٥٦ من أجل انقار استخدام
نلك الاسلحة ، وصار استبدال بعض الوحدات تدريجيا .. وفى يولييه
عام ١٩٥٦ بدأت عملية « تحرير » وهى التسمية التى أطلقت على تخفيف
قوات سيناء بسحب القوات التى كانت تعمل بها قبل وصول الاسلحة
الجديدة الى منطقة القناة لممارسة التدريب عليها وتقرير إبقاء بعض
الوحدات الرمزية فى المواقع الدفاعية فى سيناء .. لتقوم بأعمال حراسة
الحدود .. وفى الوقت نفسه لتقوية وتحسين مرافق وتحصينات الدفاع
لتلك المواقع .

وكانت من أهداف عملية « تحرير » الخاصة بتخفيف قواتنا فى سيناء
ترحيل بعض القوات الزائدة الى غرب القناة للتدريب كما أوضحنا ..
وكان المطلوب أيضا عدم استهلاك الاسلحة الحديثة فى أغراض التدريب
العادية .. اذ كان لابد من التحفظ على هذه الاسلحة بحالة عالية من
الصلاحية والكمية لحين استخدامها فى الوقت المناسب ، ولذلك كانت
قواتنا التى واجهت العدوان أقل كثيرا مما كان يجب أن يكون .. وخاصة
أن العناية الرئيسية كانت قد وجهت لمنطقة القناة بعد اعلان قرار الناميم ،
فكان الحشد الرئيسى بتلك المنطقة ضرورية لتأمينها من جهة .. ولاتاحة
الفرصة الزمنية والمكانية والمعنوية لهذه القوة لمكى تتمكن من مواصلة
تدريبها وفقا لما قرر لها من برامج ومناورات ومشروعات بعيدا عن ظروف
المعركة التى كان العدو يحرص دائما على خلقها وإيجادها بقصد ازعاج
وأرهاق قواتنا حتى لا تتفرغ للتدريب من جهة أخرى .. ولابقائها دائما
تحت السلاح مما يؤثر على معنوياتهم .

وهكذا واجهت القيادة المصرية ظروف المعركة قبل ابتدائها بشهور
عدة .. ، واستطاعت أن تتغلب على كل هذه الظروف .. فتمكنت من :

- توفير الاسلحة .
- وتوفير الوقت اللازم للتدريب عليها .
- وتوفير القوات اللازمة لحراسة وتأمين الجبهة .

— وتوفير القوات اللازمة لتكوين الاحتياطي الرئيسي العام المدرب على الاسلحة الحديثة .

— وتوفير تأمين القناة بعد تأمينها دون أن يؤثر ذلك على سلامة الجبهة في سيناء أو سواها .

وكان من أبرز ما اتصفت به معركة أبو عجيبة وأم قطف ، ما اعترف به العدو وعلم به العالم بعد أن تكشف حقائق المعركة :

١ — فقد حققت أبداع صورة من التعاون الوثيق بين المدفعية والمشاة إذ استطاعت المدفعية بكل أنواعها الميدانية للدبابات الثقيلة والخفيفة المضادة للطائرات أن تسيطر تماماً على المعركة وأن تخلق جواً كاملاً من الثقة . . ثقة المشاة المدافعة في قيادتها التي نسقت خطط نيران المدفعية لتحطيم كل محاولات المدرعات الاسرائيلية لمائة ساعة أو أكثر قليلاً .

٢ — ولقد كان التصميم في الاستمرار بالمواقع والقتال حتى النهاية هو الملع ظاهرة . . وكان سبب ذلك هو ايمان كل الأفراد بالدافع الى القتال وإلى الرغبة الجارفة في أن يمنع العدو من تحقيق أي فوز مهما كان . . فكانت الروح المعنوية العالية التي بدت طول مدة المعركة هي : العامل الوحيد الذي تغلب على متاعب المعركة وتسويها للشاذة التي اتصفت بها بالنسبة للظروف الدقيقة التي أحاطت بها منذ بدايتها . . وكان اصرار المدافعين على القتال هو أساس قدرتهم على الصمود وأساس قدرتهم على الإبداع وأساس رضاهم بكل ما حملته اليهم مفاجآت المعركة وأساس ذوبان متاعبهم ونضحياتهم وأساس نصرهم الباهر .

٣ — أثبتت هذه المعركة بأن الضبط والربط في استخدام الاسلحة والتحكم في إطلاق النيران يعتبر من أهم الأسس لمفاجأة العدو . . والقضاء عليه . . فلقد تكررت محاولات العدو في اقتحام الحافة الامامية للمواقع الدفاعية من مختلف أطرافها ، وكان يفاجأ كل مرة بنيران الاسلحة تطلق عليه وهو على بعد ياردات معدودة من هذه المواقع . . ولولا تحكم الجنود في أعصابهم وثقتهم بأنفسهم وقدرتهم على استخدام أسلحتهم . . واحتفاظهم بثباتهم الى آخر لحظة لما أتيحت لهم فرصة اقتناص العدو واصطياده في الوقت وفي المكان الملائمين للقضاء عليه تماماً .

ولأ يمكن تحقيق أو ضمان السيطرة على استخدام الاسلحة بتلك الصورة المثالية إلا اذا شعر كل فرد . . بقيمته وعلم مدى كفايته . .

وأدرك الهدف الذى يقاتل من أجله .. وفى مثل هذه الظروف تتكشف حقائق وبواطن الكفايات ومعادن الرجال ومعنوياتهم .

٤ — كما اتصفت عمليات أم قطف باقتنان اختيار أماكن المواقع التى وضعت فيها الألغام والأسلاك الشائكة وموانع الدبابات ونقط مراقبة نيران المدفعية .. وكان ذلك كله بسبب الامادة الكاملة من الهياكل الأرضية والارتفاع بخصائص هذه الهياكل وتنسيق خطط النيران لتحمي هذه الموانع حتى لا يتمكن العدو من الاقتراب منها لازالتها أو تدميرها .

وكان ذلك عاملا رئيسيا فى تكبيد العدو خسائره الضخمة التى اعترف بها .. وهكذا أثبتت هذه المعركة أن حسن الاستفادة من طبيعة الأرض قد يكون أهم كثيرا من وفرة العدد والعتاد ، بل قد يكون ذلك ضرورة تغنى عن استخدام الرجال والأسلحة التى لو توافرت فى بعض المواقع وفى بعض الظروف لتعذر أخفاؤها بما يكفل سلامتها ويحقق استخدامها بالدرجة المثالية وخصوصا إذا لم يتوافر الوقت اللازم لاعداد أماكن مستورة لها .

٥ — بدت روح الفداء بين كل الرتب بصورة انسانية مستظل دائما خالدة ، إذ تبادل الجرحى من الضباط والرتب المختلفة خدمة بعضهم البعض .. وكانوا حريصين على البقاء فى مواقعهم بعد استعائهم بالأسعافات الأولية ليشاركوا زملاءهم فى ادارة المعركة ، ولم يرحل للخلف الا من كانت اصابتهم خطيرة منعتهم من البقاء فى المواقع .. وكان لوجود هؤلاء المصابين بجانب اخوانهم عاملا مثيرا للحماسة والايانس فيما بينهم .

٦ — أظهرت المعركة ضرورة الاعتناء بتدريب قوات الاحتياط تدريبا منتظما حتى لا تكون فى مستوى أقل من مستويات الكتائب العاملة النظامية ، وخصوصا إذا كان تسليح الكتائب الاحتياطية مماثلا لتسليح الجيش النظامى ..

٧ — كان من نتائج هذه المعركة .. وموقف قواتنا فيها ، وكذلك موقف قواتنا فى ممر متلا وشرم الشيخ ورفع أن أعلن بن جوريون ، بعد ذلك بأسبوع ، فى يوم ٧ نوفمبر فى افتتاح دورة الكنيسة التصريح القالى الذى أذاعته اسرائيل :

« لم نكن نعرف أن الجيش المصرى بهذه القوة ولديه هذه الأسلحة . وأن الغنائم التى أخذناها تدل على أن الجيش المصرى كان مسلحا وممتزا .

ومن أجل الحقيقة فأنا مضطر أن أقول أن هناك ضباطا مصريين حاربوا في شجاعة وعناد ، وهم يستحقون الإعجاب والتقدير . ثم قال « وأنتم تعلمون أن السلاح الجوي المصرى وصل الى حيفا » . كما قالت إذاعة اسرائيل بتاريخ ١٩٥٦/١١/٢١ عن لسان اللواء حاييم لاسكوف قائد المدرعات الاسرائيلى « ان القيادة المصرية كانت جيدة من الناحية الفنية ، كما ان مستوى التدريب لسلاح المدرعات المصرى كان مرتفعا ، الامر الذى بدا واضحا » .

الانسحاب الاستراتيجى

وكان قد تقرر سحب قوات أبو عجيلة وأم قطف في آخر مرحلة لعمليات سحب القوات المصرية كلها من سيناء بعد أن اشتركت بريطانيا وفرنسا في المعركة . . وهكذا ظلت قوة أبو عجيلة وأم قطف آخر من انسحب تنفيذًا للخطة العامة للقوات المسلحة من أجل تأمين القناة والبلاد أمام الهجوم الرئيسى الانجلو فرنسي . وقد كلفت قوات أبو عجيلة أن تقوم بأعمال حرس المؤخرة لكل القوات المنسحبة من سيناء ، وأن تستمر اشتباكاتهما مع العدو بقصد تعطيله من أجل تأمين سلامة القوات التى تقرر لها البدء في الانسحاب من رفح والعريش . . كما سيأتى ذكره فيما بعد ، وكذلك حدد ظهر ٢ نوفمبر موعد النهاية مدة الاشتباك بين هذه المؤخرة وبين العدو . وهى المدة التى رأتى أنها كافية لوصول القوات المنسحبة الى غرب القناة .

وفى الفترة نفسها كانت القوات الرئيسية الضاربة — التى كانت قد بدأت تتجمع فى منطقة « بير روض سالم » للقيام بهجومها المضاد الرئيسى — كما كان مفروضا ومقررا . . كانت هذه القوات قد بدأت تتجه مرة أخرى الى غرب القناة بعد أن تكشفت حقائق المفاجآت التى احتواها الانذار الفرنسى البريطانى . . ولم تستطع الطائرات الفرنسية والبريطانية التى بدأت هجماتها العنيفة منذ انتهاء فترة الانذار . . فى أن تدمر قواتنا المدرعة التى نجحت فى عبور القناة دون أن تعرض نفسها لغارات هذه الطائرات .

ودارت معركة تعطيلية عنيفة كلفت العدو أكثر من ٧٠ عربة نصف جنزير بخلاف الدبابات .

وتعذر عليه التقدم . . ونجحت العملية التعطيلية التى قامت بها

قواتنا واستطاعت ستر انسحاب قوات رفع والعريش .. وتسلمت بالتدريج الى طريق العريش تاركة وراءها ستارة من نقط التعطيل في المواقع التي لم يظن العدو الى حقيقة قوتها ، وظل يعتقد أن القسوة الرئيسية مازالت بمواقعها مما دعاه الى الاستعانة بقوات فرنسية وبريطانيا الجوية التي ظلت طول يوم ٢ نوفمبر تغير بشدة بالغة على المواقع لتدميرها ومنعها من الانسحاب .. ولكن تم الانسحاب بعد غروب ذلك اليوم .

وبذلك اسدل الستار على بطولة قواتنا على مسرح ام قطف وأبو عجيلة مما انتزع اعتراف اسرائيل وقادتها بالاشادة بها رسميا برغم محاولاتها في دعاياتها للفتيل من شأن قواتنا .. كمحاولة منها للابقاء على ما سبق لها أن ادعته عنا ؛ أملا في تقوية معنويات قواتها التي لمست بنفسها حقيقة معدن الجندي والضابط المصري في هذه المعركة كشأن باقي المعارك ، وإن كانت هذه المعركة قد اتصفت باعتبارات خاصة ، هو أن قوات اسرائيل المدرعة الرئيسية وطيران حلفائها اشتركت كلها ضد هذا الموقع الذي ظل محتفظا بسلامته حتى آخر لحظة ..

وقد تكررت اعترافات المسؤولين في اسرائيل ، سواء في محيط قواتها المسلحة أو من السياسيين بمدى الدور العظيم الذي قامت به قواتنا في البر والبحر والجو .

ولقد أذيع في تل أبيب في ١١ نوفمبر ١٩٥٦ هذا البيان : —

« استطاع الطيران المصري أن يعرقل مواصلاتنا في اليومين الاولين قبل تدخل طيران الحلفاء ، وأننا لو لم نتفاهم مع بعض الدول التي لها مصلحة في تدمير قوة مصر لما استطعنا أن ننجو من مخالب القوة المصرية الهائلة » . كما اعترف صوت اسرائيل أيضا في ١٧/١١/١٩٥٦ بما يلي : « قال شمعون بيرنس ، مدير عام وزارة الدفاع ان معركة سيناء قد برهنت على أن اسرائيل ينقصها سلاح جوى ، وينقصها قواعد جوية صالحة وشبكات رادار ، وبدون ذلك لا نستطيع أن نوازن السلاح الجوى المصري . »

وفي اذاعة لاسرائيل في ٦/١١/١٩٥٦ صرح اللواء شـمـوئيل ثاكوس بأن الطيران المصري تكبد خسائر ، ولكنه ما زال يملك عددا كبيرا من الطائرات يستطيع استعمالها في أى وقت .

واعترف مصدر اسرائيلى بمدى تأثير الطيران المصرى فى ضرب اسرائيل فقال :

ان غارات المطائرات المصرية على مطار رامات دافيد قد أحدثت اضرارا بالغة بالمطار وشبت حرائق كبيرة ، ودمر عدد كبير من الطائرات وقد نقل عدد من المطائرات المحطمة الى ميناء حيفا على ظهر احدى القطارات وكانت عربات القطار مغطاة بالمشمعات .

وفى الواقع لم تسنطع اسرائيل أن تشير الى ما قام به السلاح الجوى اليهودى فى العمليات سوى قولها أنه قدم مساعدات طبية للقوات البرية فكان ذلك الاعتراف الصامت منها كافيا لتحديد حقيقة قواتها الجوية التى قضى عليها الطيران المصرى فى الايام الاولى من المعركة قبل تدخل بريطانيا وفرنسا .

وقد تضمنت التقارير الرسمية للمعركة بما يفيد ان نسبة الخسائر المصرية للخسائر الاسرائيلية فى اليومين الاولين من المعركة هى :

١ من مصر الى ٥ من اسرائيل بالنسبة للطيارين .

١ من مصر الى ٣ من اسرائيل بالنسبة للطائرات .

ولقد جاء فى تقرير رسمى آخر كتبه الكولونيل عساف سمحونى قائد العمليات فى المنطقة الجنوبية بخط يده ، وسجل فيه ملاحظاته عن العمليات التى اشترك فيها اللواء (٢٠٢) ما نصه الآتى :

« اللواء يتقدم الى نمد ونخل ويطلب طائرات لاخلاء الجرحى » .
« القوات معرضة لضرب شديد من الجو — نشاط العدو مستمر طوال اليوم ولم نستطع نقل الجرحى » .

كما كتب عن اللواء السابع المدرع الذى يتقدم على أبو عجيلة يقول :

- ١ — لم تكن هناك أوامر ثابتة للعمليات .
- ٢ — لم يكن هناك أى تنسيق من الرئيس الاعلى .
- ٣ — غرفة العمليات لم تكن تخدم الفروع المختلفة .
- ٤ — لم يكن القائد ولا أركان حربه فى القيادة فى بعض الاوقات .
- ٥ — لم تكن هناك اتصالات مستمرة مع الوحدات ، ولم تكن هناك تقارير من القادة الكبار .

٦ — الاوامر كانت تصدر من القائد ولكن فرع العمليات لم يكن يتولى تنسيق النشاط .

٧ — ضابط فرع العمليات لم يقم بإدارة فرع العمليات .

٨ — جميع الضباط فى فرع العمليات هجروا أعمالهم ، ولم تكن لهم مهمة الا انهم أصبحوا مجرد ضباط اتصال .

٩ — غرفة ضابط العمليات الحربية تأخرت فى العمل ويجب ان تكون ملاصقة لغرفة الحرب .

١٠ — لم تكن هناك فائدة جدية من فرع المخابرات .

١١ — جرت محاولة للسيطرة على الوحدات بوساطة جهاز اتصال نجح ولكنه لم يواصل وعطب .

ملاحظة : لم يكن فى الوحدة أى سجلات أو ترفيه .

وهذا هو جيش اسرائيل . على لسان قائده .

تصفية معركة ممر متلا

ونعود الآن الى معركة الطريق الجنوبى عند ممر متلا والتي خاضتها مجموعة من كتيبة ونصف كتيبة من المشاة هي عبارة عن الكتيبة السادسة وسريتين من الكتيبة الخامسة . . بينما كانت السريتان الباقيتان من هذه الكتيبة فى منطقة وادى سدر لحراسة المرافق البترولية هناك .

وقد استطاعت هذه القوة تكبيد العدو خسائر ضخمة اعترف بها ، فى ممر متلا منع تقدم قوات المظلات بالرغم من عنف غارات الطائرات بصورة مستمرة على قواتنا ، وقد اشرنا الى نوايا العدو وأهـدافهـ من عملياته علاوة على أن نشاطه بهذا الطريق الجنوبى كان سيجذب حتما جانباً من قواتنا مما يخفف العبء والمقاومة على قواته المهاجمة فى القطاعات الاخرى ، ولكن كان الدور الذى قامت به قواتنا الجوية هو ابادـة العدو فى نـخل ابادـة تامة وحرمانه من امداد قواته التى أسقطها فى ممر متلا وفى شرقه ، وبذلك ظلت قواته داخل الممر مقطوعة من كل عون الا من الطائرات التى بدأت تظهر فى المنطقة عقب الانذار الفرنسى البريطانى . . فكان العبء جسيماً على قواتنا التى كانت قد أرسلت من منطقة خليج السويس لتصفية موقف القوات الرابطة بمنطقة الممر من

حقا قوة المظلات وخاصة بعد أن استطاع العدو إمدادها في آخر الأمر بالطائرات الشراعية تحت أستار الظلام ، واستطاعت قواتنا المنتشرة في العراء حول المنفذ الغربي للممر بين الصخور والوهاد أن تحول دون تقدم العدو غربا . . . وكان موقفها حرجا من حيث تعرضها في العراء للضرب من الجو ، إذ لم يمكنها عمل أي استحكامات مائنة . . . وكان تعرض هذه القوات سببا في كثرة خسائرها النسبية ، ومع ذلك استماتت القوات في مواقعها التي استطاعت أن تجهزها بسرعة ، وحالت فعلا دون تقدم العدو الذي قد أثار إلى خسائره بدوره في هذه المعركة . . . وإلى عدم تمكنه من التقدم للقناة ، كما كان مقدرا له في بدء العمليات . . . وإن كانت حاجته في ذلك هو أنه ادعى أن هدفه كان مقصورا على الوصول إلى ممر متلا كاجراء خداعي لشغل قوات خليج السويس عن اتجاه الهجوم الذي كان مركزا على المحورين الأوسط والشمالي .

وقد اتصفت هذه المعركة بخصائص منيعة ميزتها عن باقي المعارك التي دارت في القطاعات الأخرى . .

١ — أذ برزت ضرورة وأهمية تدريب القناصة الذين استطاعوا وهم في العراء مستترين خلف بعض الصخور والرمال واصطياد رجال المظلات الاسرائيليين في داخل ممر متلا على مسافات زادت على ٥٥٠ متر .

٢ — ضرورة الأفادة من السواتر والهيئات الأرضية للوقاية من الضرب الجوي وخصوصا بالرشاشات والنابال (قذائف حارقة)

٣ — روح القتال والعزيمة في القيام بالواجب بالرغم من جميع الاخطار التي أحاطت بظروف العملية من حيث تفوق الطيران المعادي في المراحل الأخيرة للعملية بعد اشتراك بريطانيا وفرنسا .

٤ — الإصرار في الاستماتة في أداء الواجب من جميع الرتب بما فيهم الطبيب المرافق لقوات المشاة . فقد كان ذلك مثالا خالدا للبطولة الغدة التي عرفت منذ عصور التاريخ عن معدن الجندي المصري ومدى تقديسه لواجبه في كل وقت . .

معارك قطاع غزة

لقد كان هذا القطاع خاليا من القوات العسكرية النظامية ولم يكن به سوى :

- لوائين من قوة الحرس الوطني .
- ولواء فلسطيني تحت الانشاء والتدريب .
- ووزعت هذه القوات بين غزة وخان يونس وما بينهما .

وكان العدو يعلم بظروف هذا القطاع التي خضعت لقيود اتفاقية الهدنة التي احترمت مصر نصوصها ، فلم تسلح هذا القطاع بالقوات النظامية ولا بالتسليح الثقيل ، واكتفت بوحدة الحرس الوطني وبالأواء الفلسطينية الذي كان قد رُئي تشكيله والبدء في تدريبه ، وشاعت الظروف أن يبدأ العدوان ولم يكن هذا اللواء قد استكمل معداته أو تدريبه .

وكان الامر طبيعيا في أن يكون قطاع غزة خاليا من القوات النظامية نظرا لضيق العمق اللازم لهذه القوات وما يلزمها عادة من وحدات معاونة ووحدات ادارية كثيرة لاتطيقها سعة هذا القطاع . . وذلك علاوة على الالتزامات القانونية والادبية التي ارتبطت بها مصر بصفة رسمية منذ توقيع اتفاقية الهدنة عام ١٩٤٩ في رودس .

وصحيح أن اسرائيل لم تلتزم من جانبها بأى وفاء للتعهدات التي أخذتها على نفسها أو الارتباطات التي شذتها بها اتفاقية الهدنة . . فكانت تكثر من اعتداءاتها وتمعن في استهتارها بكل هذه الاعتبارات . . وكان الامر يتطلب من جانب مصر أخذ الشدة بمثلها . . وفعلًا كانت الاعتداءات تقابل بمثلها أو بأشد منها . . ولكن دون أن يكون ذلك على حساب سلامة القوات من وجهة النظر الاستراتيجية . . فكانت وحدات الحرس الوطني الخفيفة بتشكيلها ونسليحها كافية فعلا للقيام بكل هذه اللطامات الوقائية والدفاعية المضادة . . مما أثار الفزع الحقيقي في اسرائيل وعلى الاخص في مستعمرات الجنوب المناخمة للقطاع .

حتى ان اسرائيل لم تجد عذرا او سببا قويا تبرر به حملتها العدوانية على مصر سوى زيادة نشاط الفدائيين والحرس الوطني من قطاع غزة على مستعمرات ومرافق اسرائيل . . ولعل في هذا الايضاح عن سبب

عدم ارسال قوات نظامية الى قطاع غزة ما يكفى للرد على من يراوده
هذا السؤال . .

وجواب آخر هو أن القوات النظامية الرئيسية كانت تمارس تدريبها
المواصل في منطقة القنال منذ أيام التأميم . . ولم يبق كما سبق أن
أوضحنا في سينا سوى الوحدات الرمزية اللازمة لتأمين طرق الاقتراب
ومناطق العبور التي تشرف على مسالك سينا والقنال من جهة الشرق . .

وكان قرب المستعمرات الاسرائيلية من قطاع غزة سببا آخر حال
دون ارسال الاسلحة الثقيلة الى القطاع مع أية وحدات نظامية تسرعى
النظر حفظا للسرية والامان ، بل رأى الاحتفاظ بها للظرف المناسب في
توقيته ومكانه . .

وكان العدو يعلم دقة موقف هذا القطاع بالنسبة لكثرة عدد اللاجئين
فيه وازدحامه بالمدنيين ، الامر الذى يمكن استغلاله في اثاره الذعر
والاضطراب فيه بسرعة بالاغارة عليه لضعاف معنوياته مما يزيد في
متاعب الادارة المصرية المشرفة على هذا القطاع . . ومن ثم مما يزيد في
حرج الحكومة المصرية امام سكان القطاع من أهل فلسطين ، وعلى
الاخص لعدم توافر القوات النظامية التي قد يكون وجودها — لو تحقق —
سببا في ائناس اللاجئين والابقاء على معنوية المدنيين .

ومن جهة أخرى فإن طبيعة القطاع الطبوغرافية لم تكن تسمح اطلاقا
بانشاء خطوط بمعناها التكتيكي الفني المفهوم نظرا لعدم توافر العمق
اللازم لخطيط مثل هذه المواقع بصورة عملية مما دعا الى اتباع نظام
الدفاع بوساطة الجزر الدفاعية التي تتعاون بعضها مع بعض بقدر
ما تسمح به طبيعة الارض ومدى الرؤية ومرامي الاسلحة .

وكانت قوات العدو التي حشدتها للعمل في هذا القطاع مكونة
من :

اللواء الحادى عشر المشاة .

اللواء الثانى عشر المشاة .

والاسلحة المعاونة من المدفعية ووحدات المدرعات والنقل
والمهندسين ، علاوة على المساعدات المستمرة من الطيران والاسطول
الفرنسي البريطاني .

وكانت خطته العامة مبنية على اساس :

١ — تثبيت غزة بالمناشات والاشتباكات التي تقوم بها المستعمرات المحيطة بها من الشرق والشمال .

٢ — عزل غزة ودير البلح وخان يونس ، كل منها على حدة لقطع المواصلات فيما بينها . . ولسهولة الاستيلاء عليها .

٣ — ثم تطويق قطاع غزة بأكمله من الجنوب والغرب بعد الاستيلاء على رفح والعريش .

وبدأت الغارات الجوية على القطاع لاثارة الذعر والفوضى كما اشتركت سفن أساطيل دول العدوان في قصف كل الساحل بقذائف مدفعية الاسطول . .

ونشطت مناوشات العدو في شمال وشرق غزة ، على حين اتجهت قواته الرئيسية الى خان يونس للهجوم عليها ، ومثل في الاستيلاء عليها مما دعاه الى استخدام أساليب الحرب النفسية باستعمال مكبرات الصوت والاذاعة من الطائرات والسيارات من أجل التأثير على معنوية الأفراد . وقد وجهت اذاعات خاصة الى قوات اللواء الفلسطيني بقصد اثارته والايقاع بينه وبين باقي القوات من الحرس الوطني المصري التي كانت تقاتل معه جنبا الى جنب .

ولم يحقق العدو أى نجاح عن هذا الطريق أيضا مما دعاه الى شن هجوم عام على خان يونس بالقوات التي احتلت رفح بعد اخلائها . وبدأ الهجوم في نوفمبر ، واستخدمت فيه المدرعات والمشاة المحملة في العربات ذات نصف الجنزير . . وفشلت هذه المحاولة أيضا بالرغم من تفوق قوة العدو الساحقة التي كانت مكونة من مجموعة لواء مشاة ومعه لواء مدرع . . ولذلك أعاد العدو تنظيم قواته وأجرى بعض التغييرات في الضباط الذين تولوا القيام بالمحاولتين الفاشلتين . . وعاود الكرة الثالثة يوم ٤ نوفمبر من اتجاه دير البلح أى من الشمال الشرقي بعد أن يؤس مرتين من جهة الغرب والجنوب الغربي . . وفشل أيضا للمرة الثالثة .

فضاعف جهده في غاراته الجوية المركزة على أوكار ومحل المدفعية المضادة للدبابات ، واستطاع أن يدمرها ، واستشهد أفرادها بجوار مدافعهم وبذلك استطاع العدو أن يقذف بمدفعاته في اتجاه خان يونس التي كانت قد خلت وقتئذ من المدفعية المضادة للدبابات التي استطاعت صد الهجمات السابقة . .

وأما بالنسبة لغزة . . فلم يدر فيها قتال بالمعنى الصحيح ، بالنسبة

للظروف الخاصة بها من حيث ازدحامها بالمدنيين (بالرغم من انسحاب
الرعيا الامريكيين وموظفي هيئة الأمم المتحدة) كما دعا الحاكم الادارى
الى تجنب المدنيين والتعرض للحرب ، وخاصة بعد أن انسحبت القوات
الرئيسية للجيش الى غرب القناة لتواجه الخطر الاكبر والعدوان الرئيسي
من بريطانيا وفرنسا ..

ولكن بالرغم من سقوط غزة ، وشدة بطش القوات الاسرائيلية
بالاهالى واطراد السلب والنهب .. فقد ظلت أعمال المقاومة الشعبية
ونشاط الفدائيين مستمرة مما أزعج فعلا السلطات الاسرائيلية ،
واستمرت هذه الحركات حتى تم الجلاء .

ومما يلاحظ أن أول قوة عدوانية دخلت غزة كانت من **الفرنسيين**
والانجليز ، وبعد ذلك دخل اليهود الذين لم يجزعوا أن يكونوا هم أول
الداخلين للمدينة . ثم ما لبثوا أن مارسوا حملتهم الانتقامية — جزاء
مشلهم من الاهالى .. وقد جاء فى التقرير الرسمى للمستتر هنرى لاويس
مدير وكالة غوث اللاجئين التابعة لهيئة الأمم المتحدة الذى رفعه الى
سكرتير عام هيئة الأمم المسيو داج همرشولد .. جاء فى هذا التقرير
مانصه بالحرف الواحد :

« ان مصادر معلومات هيئة الاغاثة التى حصلت عليها بالرغم من
شدة قسوة القيود التى فرضتها عليها السلطات الاسرائيلية التى تحتل
قطاع غزة قد أثبتت أن قوات اسرائيل قد قتلت من اللاجئين : —

١٤٠ فى خان يونس عقب انتهاء المعارك فى ٤ نوفمبر .

١٠٣ معسكر رفح يوم ١٢ نوفمبر .

٤٨ معسكر نواح متفرقة من القطاع فى ٢٠ نوفمبر .

فتكون جملة الشهداء من اللاجئين ٢٩١ .

وقد تضمن التقرير أيضا

« ان المنظمة — ولو أنه لا شأن لها بالظروف السياسية لقطاع
غزة — الا انها لم تجد مفرا من الاحتجاج لدى السلطات الاسرائيلية على
هذا القتل بالجملة وبذلك الصورة الوحشية الشاذة .

وقد أشار التقرير بصورة مهذبة غير مباشرة الى الاعمال الاجرامية
التي قامت بها قوات اسرائيل بالنسبة لقتل العجائز والنساء وهتك
اعراضهن واعداد الاطفال الذكور وغير ذلك كاصابة الشبان فى اقدامهم

بالرصاصة ليعجزوا في مستقبلهم عن حمل السلاح والقتال ضد هؤلاء المغنصبين .

ولم يكن اجرام القوات الفوضوية التي حاربت بها اسرائيل ضد اهالى غزة واللاجئين امرا شاذا ، بل كان مطابقا لما قامت به قواتهم ايضا فى العريش وأبو عجيلة . . اذ كان الانتقام من هؤلاء الإبرياء هو الذى دفع المعندين الى ذلك تغطية لمرارة الفشل الذى حاق بهم فى عملياتهم الحربية .

وكانوا يفسرون احتلالهم لسينا على اثر انسحاب القوات المصرية منها . . كانوا يفسرون ذلك نصرا لهم . . وكسبا كبيرا . . وخاصة بعد أن اسنولوا فعلا على بواقي المخازن من المهمات والبتروال التى نعذر اعدامها أو حرقها لضيق الوقت الذى كان يحتم الاهتمام باتمام عملية الانسحاب وفقا للبرنامج الزمنى الضيق الذى حدد لها انقذا للجيش من الفخ الذى نصبه المعتدون للقضاء عليه بعد أن أعلنت فرنسا وبريطانيا نواياهما فى انذارهما المشهور . . وهلك اسرائيل كثيرا للغنائم المادية التى استولت عليها وهلك اكثر لوصولها الى أرض سيناء . . وبدأت أحلامها تسبق تفكيرها فيما ينتظرها نتيجة لما صممت عليه مصر من بقائها على موقفها واصرارها على تطهير سيناء وبور سعيد من قوى العدوان كاسساس مدنى لقبول وقف اطلاق النار .

ودارت عجلة الايام . . وانسحبت اسرائيل من سينا ومن قطاع غزة بالرغم مما أعلنه رئيسها ووزيرة خارجيتها وقائد جيشها من اصرار اسرائيل وتمسكها بالبقاء فى قطاع غزة وعدم التفريط فيه لمصر ، وبعد ان أنشأت فيه اسرائيل فروعا لبنوكها ، وقد بدأت ايضا تخطط لربط القطاع بجهاز دولتها اداريا واقتصاديا .

ولكن مع ذلك اضطرت اسرائيل للانسحاب من غزة بعد أن مهدت لذلك بتقديم بعض الشروط التى طلبت تحقيقها ثمنا أو ضمانا لهذا الانسحاب .

وكانت هذه المطالب أو الشروط : -

١ « لعقد اتفاق بين اسرائيل ومصر بشأن المرور » .

٢ « ضمان الدول الكبرى لاسرائيل فى حق الملاحة بقناة السويس »

٣ « عدم استخدام غزة قاعدة للهجوم عليها » .

وكان موقف مصر حازما وقاطعا برفضها هذه المطالب انسى كانت
اسرائيل قد اذاعتها ووجهتها بمعرفتها الى المسرداج همرشلد . . .
بل وانذرت مصر اسرائيل :

« بأن يتم الانسحاب نهائيا وفورا من سيناء ومن قطاع غزة وشرم
الشيخ والعقبة خلال خمسة ايام تنفيذا لقرارات هيئة الامم المتحدة التى
صدرت باجماع ٧٤ صوبا ، وان رفض اسرائيل لتنفيذ الانسحاب الى
ما وراء خط الهدنة انما سيؤدى حتما الى نتائج خطيرة تتحملها اسرائيل
وحدها . . »

وارسلت مصر هذا الانذار عن طريق الامم المتحدة التى اوضحت
بدورها فى موقف دقيق حرج ، اذ انها هى التى اوضحت طرف الاحتكاك
المباشر مع اسرائيل فى تلك اللحظة . . وفى الفترة نفسها طالبت دول
الكتلة الاسيوية الامريكية توقيع العقوبات الاقتصادية الدولية فورا على
اسرائيل اذا لم نحترم قرارات الامم المتحدة وتستجيب لمطالب الحكومة
المصرية .

ونراجعت اسرائيل . . عندما اعلنت جولدماير وزيرة خارجيتها
فى اول مارس سنة ١٩٥٧ قرار حكومتها بالانسحاب التام غير المشروط ،
وبدأت قوات اسرائيل تتسلسل من غزة فى ليلة ٤ مارس ، وكانت قوات
بوليس الطوارىء الدولية قد وصلت فعلا الى غزة فى اليوم نفسه .

واعلن همرشلد تطهير سيناء وغزة نهائيا من القوات المعتدية ،
واعلنت مصر رسميا « بأن قوات البوليس الدولية التى ارسلتها هيئة
الامم المتحدة قد قبلت مصر وجودها بعد انسحاب الانجليز والفرنسيين
من بور سعيد وهذه القوات قد حددت لها واجبات واضحة هى متابعة
انسحاب القوات المعتدية الى ما وراء خطوط الهدنة وأن مصر هى التى
مستقر وحدها هى الحاجة الى هذه القوات .

وأن مصر هى التى تحدد موعد انتهاء هذه القوات الدولية من مهمتها
وفقا لما تراه » .

وهكذا حددت مصر بوضوح كل الامور التى ترنبت على المعركة
وعلى انسحاب المعتدين بعد أن فشلوا فى الوصول الى اهدافهم . .
وكانت مصر نقدر سلفا أن دول العدوان سوف لا تسكت على هذه
النتائج ، وأنه لابد أن تستأنف مؤامراتها فى الميادين السياسية والاقتصادية،

فصلها العدوان الاسرائيلي من المدنيين من اهالي العرش قبل ان يهاجم قوات اسرائيل من سيناء



وان تنقذ عن طريق هديين الميدانيين بما يعوضها عن فشلها في المعركة العسكرية .

وفعلا .. بدأت المياريات السياسية المختلفة تمهد للدعاية بوضع قطاع غزة تحت الاشراف الدولي ، وأعلن سلوين لوبد وزير خارجيته بريطانيا :

« أن قطاع غزة له وضع خاص ، وأنه ليس لأبه دولة سيادة شرعية عليه ، ولذلك يجب وضعه عسكريا وإداريا تحت اشراف هيئة الأمم المتحدة في مرحلة انتقالية الى أن يتم الوصل الى نسويه نهائية بخصوصه ، وكذلك فإن خليج العقبة باعتباره ممرًا مائيا دوليا يجب الاحتفاظ بصبغته الدولية ومعنى ذلك فإن موضوع الحدود بين مصر وإسرائيل هو في الحقيقة موضوع لا معنى له ، وأن عدم البت في هذا الموضوع سيؤدي حتما الى منازعات محلية بين مصر وإسرائيل قد تؤثر على السلام ، ومعنى ذلك أنه يجب إعادة تخطيط هذه الحدود حتى يصبح لإسرائيل حدود معقولة . »

وهكذا بدأ الاسلوب الجديد لسلخ غزة والنمهد الى ضمها الى إسرائيل فيما بعد .. وكان الرد على ذلك تصريح الرئيس جمال عبد الناصر في وفد الصحفيين الصينيين بقوله :

« ان أية محاولة من جانب الدول الغربية لتدويل غزة أو خليج العقبة ستؤدي الى متاعب جديدة ، وأن أي تدخل فيها سيعتبر اعتداء صريحا على سيادة مصر . »

وبذلك وضعت الخطوط الواضحة لسياسة مصر واتجاهها في هذا المضمار .

معركة رفح والعريش

كانت رفح إحدى قواعد الارتكاز التي اعتمدت عليها قواتنا في سبيل تأمينها ضد أي تهديد أو عدوان من جانب إسرائيل ، وقد أعدت التحصينات وموانع الدبابات كما تم اعداد حقول الألغام حول المواقع بما يكفي لوقايتها . وكانت قواتنا مكونة من :

كيبيتين من اللواء المشاة الخامس : هما الكتيبة ١٤ ، والكتيبة ١٥ . على حين كانت الكتيبة الباقية (١٣) في القاهرة وذلك بجانب الوحدات

المعاونة من المدفعية المضادة للطائرات الخفيفة ومدفعية الميدان والمدفعية المضادة للدبابات .

وكانت خطة العدو لعملياته فى القطاع الشمالى الذى يعتمد أساسا على دفاعات رفح والعريش كالآتى :

١ - القيام بتطويق هاتين القاعدتين بصـفه عامة من الجنوب والغرب وقطع خطوط مواصلاتهما مع باقى المواقع الدفاعية الغربية فى أم تطف وأبو عجيلة . . وقطع المواصلات مع القنطرة والاسماعيليه .
واستخدام القوات المدرعة بصفة أساسية للقيام بهذه العمليات التطويقية .

٢ - الضغط على كل من القاعدتين بعمليتين مستقلتين بعد اتمام حركة تطويقهما . . وكان هدفه من ذلك ضمان القضاء على كل قاعدة على حدة بسهولة اذا انقطعت مواصلاتها مع الاخرى .

٣ - يكون الهجوم على رفح أولا والوصول الى أطرافها لاتمام عزلها تماما عن العريش من جهة الغرب ، وذلك بفتح ثغرة واسعة فى حقول اللغام الكثيفة التى أقامتها قوائنا قبل العدوان .

ثم مباشرة الهجوم الرئيسى على المواقع الدفاعية التى كانت فى مواجهه المستعمرات الاسرائيلية ، ويستخدم العدو فى الهجوم على رفح قوات مختلطة من المشاة والمدربين تعاونهما كل ما لديه من الاسلحة المعاونة .

٤ - التمهيد لهذه العمليات بضرب مركز من مدفعية الاسـسـطول والطيران للقضاء على أوكار الاسلحة المعاونة ولاضعاف الروح المعنوية .

٥ - بعد القضاء على قوات رفح بالاستيلاء عليها نتجه القوة المهاجمة غربا وبسرعة الى العريش للاستيلاء عليها ، ويكون فى الوقت نفسه قد تم للقوات المخصصة للهجوم على أبو عجيلة وأم تطف الوصول الى مشارف العريش . . وعندئذ تتعاون القوتان فى الاستيلاء على العريش بسهولة .

٦ - وبعد اتمام عمليتى رفح والعريش . . يطوى قطاع غزة من جهة الجنوب الغربى ، وبذلك يتم الاستيلاء عليه بدون جهد خاص له .
وقد بدا من خطة العدو التى رسمها للهجوم على رفح والعريش انه كان واتقا من انه سينهى عملياته فى أم تطف وأبو عجيلة بسبب تدخل

بريطانيا وفرنسا ، وأنه ربط مصر احتلال العريش وتأمين جناحه بعد احتلال رفح ، بانجاح قواه التي خصصت لعمليات المحور الأوسط .

وبذلك ظهر أول نقص فني في خطته التي افترقت الى المرونة والى حسن توزيع الواجبات والتوقيينات الدقيقة . . اذ كان نجاحه في العملية رهنا بنجاح آخر مشكوك فيه سلفا . . وقد طغت أطماعه على تفكيره وتدبيره . . ويبدو أن القيادة الاسرائيلية كانت تتوقع انهيارا كاملا سريعا للقوات المصرية المسلحة بمجرد اعلان اشتراك بريطانيا وفرنسا في العمليات ، أو حتى بمجرد اعلان الانذار الذي عرف أمره وصيغت ألفاظه باتفاق بين الدول الثلاث المعتدية .

وبدأت عمليات رفح مساء ٣١ أكتوبر بعد أن فشل العدو في تحقيق أي نجاح في عملياته بالقطاعين الأوسط والجنوبي . . مما دفعه الى الاتجاه الى القطاع الشمالي على أمل تحقيق أي نجاح فيه وخاصة بعد أن أعلن الانذار البريطاني الفرنسي فعلا . . ورفضه مصر . . وبدأت الأساطيل الحربية الفرنسية والبريطانية تشترك في خطة النيران العامة بالضرب المستمر على رفح والعريش وعلى ما فيهما من مرافق ومخازن ومواصلات .

وكان العدو ينفق الى إحراز أي تقدم أو نصر محلي في سينا قبل أن يكون يدخل فرنسا وبريطانيا طامعا عليه أو حاجبا لكيانه . . ولهذا ركز هجومه على رفح وحاول فتح ثغرة في حقول الألغام المحيطة بها حتى يندفع من خلالها الى أطراف القاعدة الدفاعية لتطويقها وعزلها عن العريش كما كان مفروضا . . وكان من نتيجة فشله في هذه المحاولة أن خسر معظم مدرعاته سواء بتدميرها أو تعطيلها ، وكانت قواته التي اشتركت في هذه المحاولة هي المجموعة ٧٧ المكونة من ٣ لواءات مشاة وفرقة مدرعة ، وهذا يفسر اهتمام العدو بهذه المحاولة في قطاع رفح وخصوصا لما كان فيها من مراكز تموين ومخازن ضخمة من المواد والامدادات التموينية .

ولم ييأس العدو من فشله في محاولته الاولى فعاد في الليلة نفسها يكرر هجومه بعد أن تغير قائد القوات المهاجمة بسبب مصرع قائد الهجوم الاول ونائبه الذي انتهى بالفشل . . وقد استعان القائد الجديد بكل احتياطاته لدفع قوائمه لفتح الثغرة ، واستطاع فعلا فتح الثغرة ، ولكن كانت نيران قواتنا الدفاعية تواصل تركيزها على الجانب الذي فتحت فيه الثغرة وبذلك استطاعت تثبيت العدو محصورا بين الألغام التي كانت

لا تزال تحيط به من جانبيه ، وبين المواقع التى ظلت تصلية نيرانها حتى اليوم التالى .

وفى الليلة نفسها صدرت أوامر القيادة العامة للقوات المسلحة بالانسحاب العام من سيناء . وكانت الأوامر التى خصت قاعدة رفح هى الانسحاب الى العريش ومنها الى غرب القناة .

وبدأت الحامية تسعد لعملية الانسحاب فى هذه الظروف الدقيقة وتحت ضغط عامل الوقت . . وبدأت عملية التخفيف . . فى الوقت الذى بدأت فيه عمليات تدمير المخازن التى تعذر سحبها ونقلها الى العريش .

واستطاعت قوة رفح الانسحاب بكامل معداتها وأسلحتها الخفيفة الى المجرنتين والعريش بالرغم من أرهاقتها بنيران الطيران والاسطول .

اخلاء العريش

وبعد انسحاب حاميه رفح حاول العدو الانطلاق بسرعة فى اتجاه العريش ، وكانت خطته الخاصة بهذه العملية تتلخص فى الآتى :

١ — سرعة دفع المشاة ومعها المدرعات غربا من رفح فى اتجاه العريش والاستيلاء عليها بالتعاون مع قواته القادمة من أبو عجيلة .

٢ — بعد الاستيلاء على العريش تنطلق قواته غربا الى القنطرة على قناة السويس .

٣ — نتعاون قوات حلفائه الجوية والبحرية فى ضرب العريش وخطوط المواصلات بينها وبين القنطرة لمنع أى امدادات يحتمل أن ترسل الى العريش .

وبدأ العدو فى التحرك من رفح بعد أن انسحبت قواتنا بنجاح فاجأ العدو . . اذ أشرق صباح أول نوفمبر وكان الموقع فى رفح قد تم إخلاؤه . . اذ استطاعت وحدات المؤخرة تضليل العدو طول الليل بعد أن توقف فى الثغرة التى فتحتها ، واستمرت وحدات المؤخرة التى سترت انسحاب قواتنا نناوشه حتى أول ضوء يوم أول نوفمبر . وقد حاول العدو مطاردة قواتنا غير أنه ظل غارقا بين جزر الألغام التى كان عليه أن يرفعها أو يتجنبها ليستطيع التحرك بالسرعة التى كان يريجوها . .

وكان من جراء هذا التعتيل أن تأخر تقدمه ، ولم يتمكن من مغادرة

رفع الا بعد ظهر اليوم .. واقبلت ليلة ٢/١ نوفمبر وكانت طلائع قواته لم نزل فى منتصف الطريق الى العريش .

واستطاعت قواتنا التى سبقته بالانسحاب الى العريش أن تنسق خطة تحركها فى الانسحاب الى القنال مع قوات العريش ، وتم اخلاء المدينة فى ذات الليلة ، أى قبل أن يصل العدو إليها .

وهكذا دخل العدو مدينة العريش فى اليوم الثانى (٢ نوفمبر) بعد أن تم انسحاب القوات منها .

ولقد كان المفروض أن تعطى الأولوية لسحب الجيش بأسلحته والاحتفاظ بها للإفادة منها فى العملية الرئيسية التى كانت تلوح مقدماتها فى أفق منطقة القناة .. ولهذا أعطيت العناية الأولى لنقل الامراد والذخائر والأسلحة .

وكان عامل الوقت هو الذى سيطر على خطه وأسلوب الانسحاب فلم تستطع بعض الوحدات تدمير مخازنها لحرمان العدو من الإفادة منها .

فقد وازن قادة الوحدات بين اعتبارات تدمير المرافق وبين تأمين وسلامة انسحاب الجنود والمعدات التى أعطيت لها الأولوية فى الانقاذ .. فى عمليات رفع والعريش وبلغت خسائر العدو التى أذاعها .

— ٤٥ دبابة .

— ٤٠ عربة مصفحة .

— ٨٥٠ فرد (منهم قائد القوة التى تولت الهجوم الأول ونائبه وبعض كبار الضباط من اللواء ٢٧ المدرع واللواء الاول المشاة) .

وقد حملت التقارير الرسمية كثيرا من الفظائع والأعمال الوحشية التى قام بها العدو فى رفع والعريش بصفة خاصة بالنسبة للمدنيين ، وعلى الأخص بالنسبة للشبان الذين كان يخشى احتمال جنديهم مستقبلا فقد قضي عليهم جميعا سواء بالقتل أو بالتشويه أو بالخطف الى داخل اسرائيل ولم يعرف عن مصيرهم شيء .

وقد جمع الاطفال فى مدارس العريش بحجة تأمينهم والمحافظة عليهم . وغدر بهم بالقتل أو النفى الى اسرائيل .

وهذا كله علاوة على أعمال الارهاب التي قامت بها السلطات الاسرائيلية ضد المدنيين الذين ارغمتهم بالسلاح على القيام بأعمال السخرة وأعمال التشويه فبما بينهم . . وجعل الاسرائيليون من هؤلاء الابرياء مادة للفاكهة والتسلية على حساب ارواحهم وأعراضهم وأموالهم .

ولم يقتصر ارهاب اسرائيل عند هذا الحد بل استمرت وتنوعت بعد أن فشلت محاولاتهم في الحصول على أى مظهر من التعاون من هؤلاء المدنيين .

معركة شرم الشيخ

كانت قوامنا التي بولت تأمين قاعدة شرم الشيخ — كما سبق أن أوضحنا — مكونة من مجموعه كتيبة مشاة ، وهى عبارة عن الكتيبة المشاة رقم ٢١ ومعها وحدات معاونة عبارة عن بطارمه من المدفعية الساحلية مكونة من مدفعين عيار ٦ بوصات ووحدات ادارية للخدمة الطبية ولصيانة العربات والأسلحة . . وكانت هناك السفينة الحربية رشيد مرابطة أمام الشرم في المدخل الجنوبي لخليج العقبة ، وكان العرض الرئيسى لهذه القوة هو حراسه مدخل الخليج وتأمين جنوب شبه جزيرة سيناء من أى تهديد يحتمل أن يقوم به اسرائيل في شبه الجزيرة أو تجاه خليج السويس .

ولقد كان هناك مشروع انشاء معدبة بين جانبى خليج العقبة لربط الشاطئ المصرى بالشاطئ السعودى ليكون ممكنا الانصال المباشر بين مصر والسعودية والأردن ، وخاصة بعد أن تم تعبيد الطريق من الشط على الضفة الشرقية لخليج السويس الى مناطق البترول فى سدر ومطامر الى الطور ثم الى شرم الشيخ .

وبدئ فعلا بتعبيد الطرق بالمنطقة بالدرجة التى تسمح بإجراء التحركات بين أطراف الجبهة التى امتدت على خليج العقبة الى نقطة رأس نصرانى وذهب . . وكانت هناك سفينة حربية بصفة دائمة للعمل تحت قيادة القطاع . . ونصادف أن السفينة الحربية رشيد كانت وقأت العدوان هى الموجودة هناك . . ولم يكن بها من الوقود مايكفيها الا لفترة محدودة . . وكان قد تقرر تغييرها بالسفينة دمياط التى خاضت معركةها المجيدة فى خليج السويس وهى فى طريقها الى شرم الشيخ ، وبذلك لم يكن أمام رشيد سوى البقاء فى المنطقه والاستمرار فى الاشتراك فى

الدفاع .. ولكن لدى محدود ، اذ أن ادارة ماكيناتها (حتى فى حالة الوقوف) من أجل تشغيل اجهزها الكهربيه والرادار والمدافع وتكرير ماء الشرب والطبخ وغير ذلك من الخدمات الضرورية العادية انما كان يتطلب تشغيل بعض المكينات ، ولم يكن ميسورا امدادها بأى مزيد من الوقود .. ولهذا تقرر أن تعود فى أول فرصة حتى لا تفوقف نهائيا وتصبح فريسة سهلة المنال للعدو الذى كان يتربص بها دائما وخاصة بعد أن انتهى من معركة دمياط ، وحشد معظم قطعه البحرية الكبيرة على مدخل خليج العقبة للاشتراك مع القوات الجوية المختلطة والقوات الاسرائيلية الهابطة من ايلات لاحتلال شرم الشيخ ..

ولذلك تقرر عودة السفينة رشيد فى أول فرصة لها الى ميناء الطور حيث يمكن هناك تدبير حاجتها من الوقود ومواد التموين .

ولكن تطور المعركة واشدادها مع اصرار العدو على احتلال شرم الشيخ لفتح طريق الملاحة فى خليج العقبة الى ميناء ايلات .. كان تطور المعركة سببا فى أن نعدل خطه سير رشيد لتنجه الى ميناء « شرم الوجه » بالمملكة العربية السعودية وخاصة أن موقف الوقود كان يسوء لحظة بعد أخرى .. وكان ميناء الطور قد اخلى من القوات المصرية تنفيذا لحطة الانسحاب العامة .. وكانت المسافة بين شرم الشيخ .. وشرم الوجه .. حوالى ١٢٠ ميلا .. وقد صدر هذا الامر الجديد .

ولكن ظهر الطراد البريطانى نيوفوند لاند ومعه المدمرتان الملازمتان له على بعد ٨ أميال من شرم الشيخ .. وبدأت السفن البريطانية الثلاث تتخذ اوضاعها لاتمام حلقة الحصار على السفينة المصرية رشيد حتى لا يفلت من أيديهم ، وكان هدف العدو الاستيلاء على السفينة الحربية المصرية ، او على الاقل تدميرها والقضاء عليها .

ولكن حدث أن وقعت غارة جوية على شرم الشيخ واشتركت السفينة رشيد فى الدفاع ، وكانت معركة رهيبه اختلطت فيها الاضواء بالنيران والدخان والسنة الحرائق الصاعدة للسماء .. كان هذا هو جو المعركة التى ضللت طائرات العدو بدرجة أنها أغارت على السفن البريطانية .. فكانت فرصة نادرة غير متوقعة ، ذلك لأن الطائرات الفرنسية والبريطانية ظلت تهاجم السفن الحربية البريطانية مما فاجأ رجال هذه السفن التى لم تكن تتوقع أن تكون هدفا سهلا لطائراتها .. وبالطبع لم تشنك السفن بهذه الطائرات فى بادئ الأمر .. ومرت فترة حرجة دقيقة اختلطت فيها الامور بين قوات العدو الجوية والبحرية ..

فكانت هذه الفترة هي التي اتحت للسفينة رشيد لتطلق الدخان للتمويه ثم تنسحب بين لفائف دخان الخديعة ودخان المعركة وذهول الافراد ، واتجهت السفينة رأسا الى شرم الوجه على الساحل السعودى .

وكان قد سبق الاتفاق مع الحكومة السعودية على خط سير السفينة منذ أن تقرر ذلك . . ووصلت رشيد الى ميناء الوجه فى الساعة ٩٢٨ من صباح يوم ٢ نوفمبر ، فكان ذلك ضربة مفاجئة لقوات العدو البحرية والجوية التي لم تسطع كشف انسحاب سفينتنا .

ولقد فوجئ العدو بعدم وجود « رشيد » فى ميناء شرم الشيخ بعد أن هدا جزو المعركة فيها فى اليوم التالى ، فاعتقد أن السفينة غرقت نتيجة للغارة التي دارت فى اليوم السابق ، ولذلك أعلنت اذاعات العدو فى بلاغاته الرسمية فى لندن وقبرص وباريس وتل أبيب نبأ غرق السفينة المصرية « رشيد » فى مياه شرم الشيخ . . وكانت هذه الأنباء تذاع فى الوقت الذى كان فيه رجال السفينة رشيد « يشوون الخراف » فى شرم الوجه ، ويستمتعون بوجبة شهية بعد نجاح خدعتهم فى تضليل السفن والطائرات المعادية وانسحابها بسلام الى الوجه . ولحسن الحظ أن الوقود الذى كان بالسفينة رشيد قبل اقلعها من مياه شرم الشيخ كان بمقداره ٣٨ طنا من المازوت وهى كمية تكفى لإدارة المكينات لمدة ٢٤ ساعة متواصلة أو ٤٨ ساعة فى إدارة بعض المكينات لخدمة المطالب الضرورية .

هذه هي الصورة العامة للجانب البحرى من معركة شرم الشيخ . . التي اعتبرت فى الحقيقة من أهم المعارك التي دارت فى سيناء ، والتي أشار اليها بن جوريون فى خطابه عند افتتاح دورة البرلمان الاسرائيلى « الكنيست » فى ٧ نوفمبر أى بعد انتهاء المعركة بساعات معدودة ، فقال بالحرف الواحد :

« أننا احتلنا فى ٣ نوفمبر باقى المواقع التي انسحب منها الجيش المصرى عدا موقع شرم الشيخ ، وهو موقع محصن بمدافع قوية ومجهز ببطار جيد ولقد أبدى المصريون شجاعة قوية عجيبة حتى كان من الصعب علينا أن نتصور أو نصدق أنه فى امكاننا القضاء عليها ، ولكن سقطت منا فى هذه المعركة الرهيبة ضحايا غالية جدا علينا ، ومن الصعب أن نعوضها .

ولقد أبدت قواتنا بطولة وبذلنا أعظم مجهود فى التاريخ اليهودى وكانت إيماننا فى هذه المعركة أيام فزع وذعر أمام هول القوة المصرية

وكان المطلوب من الشعب الاسرائيلي كله ان يصبر ويظهر شجاعة امام جيش مصر عدونا القدير » .

هذه شهادة رئيس وزراء اسرائيل الرسمية التي سجلها على نفسه امام التاريخ وعلى رعوس الأشهداء من أعضاء الكنيست ، وفي الحقيقة لم تكن معركة شرم الشيخ وحدها هي التي أرهقت اسرائيل ودوخت قواتها المسلحة ، ولكنها كانت أيضا المعركة المستمرة الوحيدة التي ظلت دائرة الرحي مع قوات اسرائيل وبريطانيا وفرنسا البرية والبحرية والجوية طول مدة العدوان .. حتى أوقف إطلاق النيران .

تفصيل المعركة

ولقد كانت خطة العدو في المعركة هي :

١ — تتحرك مجموعة اللواء المشاة التاسع الاحتياط بالسيارات من بنر السبع الى ميناء ايلات .

٢ — ننقل الدبابات من ميناء ايلات بحرا الى نقطة انزالها على شاطئ سيناء عند نقطة « ذهب » .

٣ — تستمر قوات المشاة والأسلحة الأخرى في طريقها برا من ايلات الى ذهب .

٤ — تتحرك كل القوات بعد تجمعها في ذهب الى شرم الشيخ .

٥ — اسقاط قوة من جنود المظلات (سريتين) عند الطور شمال غرب شرم الشيخ لتطويقها من الخلف وعزلها وقطع الطريق بينها وبين شرم الشيخ من جهة الغرب (باعتبار أن هذا الطريق هو خط مواصلات وتموين قوة شرم الشيخ برا مع الطور والسويس) .

٦ — تقوم البحرية البريطانية والفرنسية بمعاونة القوات البرية في هجومها .

٧ — تقوم قوات جوية مختلطة (فرنسية / بريطانية) بمساعدة الهجوم والتمهيد له بالغارات التدميرية على منطقة شرم الشيخ .

وكان أمل العدو في وضعه هذه الخطة هو سرعة الوصول الى شرم الشيخ والقضاء على حاميتها لكي يفتح له طريق الملاحاة أمام ايلات الى البحر الأحمر .. وقد حاول العدو تحقيق المفاجأة لقواتنا بأن يكون تقدم

قواته على طريق وعر غير مطروق .. وفى الواقع كان هذا الاختيار ضربا من الحماقة والمجازفة ، إذ أن هذه المفاجأة التى كان يرجو تحقيقها كانت معرضة للفشل باحتمال اكتشاف تحرك هذه القوات من الجو وإمكان إرهابها بالغارات فى أثناء تقدمها .. وكانت هذه المجازفة اضطراريه اذ لم يكن ممكنا فى الحقيقة نقل قواته كلها بحرا من ايلات الى ذهب أو الى أية نقطة أخرى على شاطئ خليج العقبة الغربى .. لعدم توافر وسائل النقل البحرى له .. ولعدم توافر وسائل الوقاية اللازمة لتأمين نقل هذه القوة ، حتى لو توافرت لها السفن ضد أى هجوم جوى أو تعرض بحرى لها .

كما لم يكن ممكنا إسقاط قوات كبيرة من جنود المظلات فى المنطقة وخاصة بعد توقف جنود مظلاته فى ممر متلا وفشلهم فى التقدم منه .

ولهذا فإن تحرك القوات البرية من ايلات الى منطقة شرم الشيخ إنما كان أمرا اضطراريا .. محفونا بالمخاطر .

وكانت هذه الصعوبة موضع تقدير سابق فى قيادة إسرائيل ، ولذلك رأت تعبئة رجالها من الناحية المعنوية والإشادة بأمجاد معتقداتهم الدينية وتبشيرهم باقتراب بلوغ كل آمانيهم التى وعدهم بها الله باعتبارهم شعبه المختار .. وأن المعركة التى سيخوضونها فى سيناء المقدسة إنما هى مفتاح هذه الأمانى الموعودة .

وفى الحقيقة كان لهذا **الأعداد النفسى** أثر كبير فى عدم تدمير القوات بعد أن اشتدت بهم محن الطريق والقتال ، وخاصة أنهم من القسوات الاحتياطية من أهل الريف السذج الذين استهوتهم الاثارة الدينية التى لمست شغاف قلوبهم ، فأعانتهم على الصبر والمضى فى المعركة الرهيبة التى وصفها بن جوريون كما سبق .

وكان بدء هذه العملية ليله ٢٩ من أكتوبر عندما تجمعت القوات فى نثر السبع وصار التعارف بين الوحدات التى كانت مكونة من :

اللواء التاسع الاحتياطى المشاة .

وحدة من الدبابات .

مجموعة أسلحة معاونة مكونة من وحدات المهندسين وسيارات نصف الجنزير وعربات خدمة الجيش للنقل ، وتم التجمع لهذه القوات ونم تلقينها واعدادها نفسيا للمعركة حتى فجر ٣١ أكتوبر ، وتحركت

من بئر السبع الى سادية بوكر — عبدت — معالبه هاعتسـماووت —
ودخلت وادى جرائى .

وقد سبقها فى الطريق الى ايلات بعض السفن الصغيرة الخاصة
بالنقل تم تحميلها برا من حيفا الى ايلات وذلك لتقوم بأعمال النقل البحرى
من ايلات الى ذهب .. علاوة على سابق وجود بعض السفن الفرنسية
والبريطانية فى ميناء ايلات من قبل العدوان .. وقد خصص لهذه السفن
واجب نقل المعدات الثقيلة والدبابات من ايلات الى ذهب .. كما جاء
فى الخطة .

ولكن كانت الفرصة سائحة لقواتنا الجوية لتدخل بغارتها على هذه
القوة وركزت عليها هجوما عنيفا بالرشاشات والقنابل مما اثر على معنوية
القوات الاسرائيلية وترتب عليه فقد سيطرة قائدها على رجاله ، الامر
الذى نجم عنه ضلال القوة عن الطريق الذى سلكته للوصول
الى ايلات .

ولكن أمكنها بعد مجهود طويل الاتجاه فى الطريق الصحيح قرب
الكونسلا مما اثر من ثم على معنوياتها .. قبل أن تشتبك فى المعركة .

ووصلت هذه القوات المعادية الى مشارف الكونسلا مساء ٣١ أكتوبر
ووصلت بعد ذلك الى رأس النقب صباح أول نوفمبر ومنه الى عين مرتجى
حيث وصلتها ظهرا وتموتت من مياها بعد أن كانت على وشك الموت ظمأ
بالنسبة للفترة التى ضاعت منها فى ضلالها عن الطريق واستهلاكها
لرصيداها من الماء ، وأمضت القوة ليلة ١ و ٢ نوفمبر بين عين مرتجى
وذهب .. وفى صباح ٢ نوفمبر وصلت مقدمة القوات الاسرائيلية الى ذهب
واشتبكت مع نقطة انتظار مصرية كانت مرابط بها ، وبدأت غارات العدو
تركز نيرانها على هذه النقطة الصغيرة .. وتحت ستار هذه النيران نزلت
قوات العدو من البحر بزوارق الانزال ومعها البترول والذخائر
والدبابات .

وواصلت القوة بقددها صباح ٣ نوفمبر الى مضيق وادى كبير
واشتبكت مع كمين مصرية كان قد أمر باعداده قائد شرم الشيخ لاستطلاع
مدى قوة العدو وتعطيله .. وتكبد العدو خسائر كثيرة نظرا للمفاجأة
التي لم يكن يتوقعها وخاصة أنه كان يوقع أن تتم عملياته الى النهاسيه
بسهولة وسلام ، اذ كانت القيادة العليا المصرية قد أصدرت أمرها
بالانسحاب من سينا الى غرب القناة لتأمينها ضد الهجوم الرئيسى من
بريطانيا وفرنسا .. وكان العدو فى خلال هذه الايام يركز غاراته بصفة

منتظمه على قاعدة شرم الشيخ وعلى السفينة المصرية رشيد التي كانت راسية بالميناء قبل ان تمكن من الاتجاه الى شرم الوجه .

وواصلت قوات العدو تقدمها في اتجاه شرم الشيخ ووصلت مساء ٣ نوفمبر .

وحدث ان استمرت القوة الاسرائيلية في مقدمها . حتى عثرت على خط تليفوني متروك متصل بقيادة القوة المصرية في شرم الشيخ . . . فأتصل القائد الاسرائيلي عن طريق هذا الخط . . . بالقائد المصري وطلب منه التسليم بعد ان تم انسحاب قوات الجيش المصري من سيناء وبعد ان « تعذر » على قوة شرم الشيخ البقاء في هذا المعزل دون توقع انتظار لاي امداد . . . وكان رد هذا الحديث من جانب القائد المصري ان امر باطلاق نيران الوحدات التي كانت تستتر عبلية ضم قوات نصراني الى قوة الشرم . . . على القوة الاسرائيلية التي ردت بدورها بالمثل .

وفي يوم ٤ نوفمبر بدأ الهجوم الاسرائيلي على شرم الشيخ . . . وكان القائد المصري قد اخلى الموقع من المدنيين والعمال والجرحى في احدى المراكب الشراعية (كما سيأتى بعد) وبعد ان اجري عدة تغييرات في المواقع لتضليل العدو الذي كان قد شن عدة غارات جوية حصل فيها بلا شك على صورته كاملة لتخطيط المواقع المصرية . . . والتي على اساس هذه المعلومات رسم خطته الهجومية !!

واستمر الهجوم الاسرائيلي بمعاونة الطيران والبحرية ، وفشل الهجوم نتيجة لاصرار المدافعين في القتال . . . مما لم يكن يتوقعه العدو وخاصة بعد تطور ظروف القتال العامة في سيناء واستحالة امداد القوة المصرية الأمر الذي كان ينتظر العدو نتائجها بأن نكون بصورة سهلة غير التي شهدناها مما اضطره الى إيقاف هجومه واعادة تنظيم قواته من جديد لاستئناف العملية بخطة اخرى مهد لها بغارة جوية التي فيها منشورات يدعو فيها المدافعين « المحصورين » الى التسليم . . . وبعد ذلك شن هجومه الثاني وبدأت التحصينات التي أقامها رجال شرم الشيخ تنهار أمام قصف **قنابل البحرية البريطانية وصواريخ الطائرات** ، وبدأ القتال من ركن الى ركن . . . ومن خندق الى آخر . . . وانتهى الهجوم الثاني دون ان يستطيع العدو احتلال القلعة .

ودار القتال ليلا ، واستمرت الغارات من الجو - وظل قصف البحرية مستمرا طول الليل بقصد ارهاق المدافعين الى أن حطبت كل المدافع والمرافق الادارية ومخازن التموين وصهاريج المياه بما في ذلك

مرشح التكرير للماء المالح .. مما استحال معه الصمود أكثر من ذلك .. وكانت أوامر القائد العام قد وصلت لنضع حدا لعناد قواتنا فى قتالها ضد العدو .. وسقطت شرم الشيخ يوم ٥ نومبر ، وصدر البلاغ الرسمى الاسرائيلى ينسب بدعنف القتال الذى أبدته القوة المصريه التى ظلت تقاوم من حفرة الى حفرة ومن خندق الى آخر حتى آخر رمق ، واعترف البلاغ أيضا بأن جميع مخلفات المعركة من بقايا الاسلحه البلى وجودها فى المواقع المصريه كانت غير صالحة .

وبذلك انتهت صفحة أخرى من أمجاد الكفاح المصرى فى سيناء . وقد رأينا أن نسجل بعض الاشارات الرسميه التى دارت بين قيادة قوه شرم الشيخ والقيادة العامة لا لنكتشف لنا عن بعض جوانب المعركة .. وإنما سجلناها فى هذا المقام لكونها صورة عبرت عن شعور وتفكير وسلوك أولئك الأبطال الذين ظلوا فى عزلتهم النائية يقاتلون تحت أشق الظروف طول مدة العدوان دون أن يغضب لهم جفن .

فقد حدث فى يوم ٣ نوفمبر أن أبرقت قيادة خليج العقبة من شرم الشيخ للقيادة العامة بما يفيد اتمام حصارها برا وبحرا وجوا بعد أن تجمعت كل السفن البريطانيه فى مدخل الخليج لمنع أى اتصال بحرى مع شرم الشيخ .. كما استمرت القوات الجوية المعادية فى غاراتها على القوة المصريه المدافعة فى الشرم .. واشتد الحصار لدرجة أن السفن الحربية البريطانيه كانت تأسر كل الزوارق الشراعية التى كانت تظهر فى المنطقة حول شرم الشيخ ، بما فى ذلك مراكب الصيادين المدنيين .. وقرر قائد شرم الشيخ فى الوقت نفسه أيضا إخلاء الجرحى بها فى ذلك جرحى الاسرى اليهود .. وكل المدنيين (وكاثوا عبارة عن بعض الموظفين الاداريين وعمال الصيانة والمهمات) ونم الاخلاء فعلا بمركب شراعى فى اتجاه الشيخ حميد والطور قبل أن نصل طلائع العدو لاحتلاله بعد أن صدرت الأوامر العامة للانسحاب .. من سيناء .. وقد أوضح قائد شرم الشيخ فى رسالته التى أبرق بها للقيادة باحتمال وقوع مركب الجرحى فى أسر البحرية البريطانيه .. اذ كانت هذه العملية بطبيعتها مجازفة كبيرة تحملها الضابط الصغير برتبة الملازم ثاتى (محمد فهمى) وفى مساء اليوم نفسه ٢٠٣٠ وردت اشارة القيادة العامة من شرم الشيخ هذا نصها بالحرف :

ظهرت طائراتنا فى الموعد المناسب وقامت بمعركة رائعة بينها وبين بوارج العدو ، اشتعلت النيران فى احدى هذه البوارج .

وفرت السفينتان الباقيتان في الظلام دون أية مقاومة منهما ونشكركم .
ثم وردت إشارة أخرى لاحقة لهذه الإشارة في الساعة التاسعة مساءً .
أي بعد نصف ساعة من الإشارة السابقة وكان نصها كالآتي :

« دارت معركة بحرية جوية قبل آخر ضوء بين طائرتنا الحربية
وأسطول الأعداء في منتصف المسافة بين رأس محمد ومدخل الخليج ،
واشتعلت النيران في إحدى البوارج نصف ساعة ، وحجب الظلام معرفتنا
تفاصيل القتلى ، ولأدت البارجتان الباقيتان بالفرار جنوباً ، قسوات
العقبة بشكركم وتحيا مصر » .

وقد بدت في روح النصوص التي تضمنها كل من الإشارتين مدى
الأثر المعنوي العميق الذي غمر القوات المدافعة بعد أن قرر قائدها البقاء
في مواقعه والاستمرار في الدفاع إلى النهاية ، وبعد أن لمس خطورة موقفه
بمحاصرة العدو له من كل جانب لانسحاب قواتنا من سيناء . .

وجرت محادثة تليفونية خاصة من قائد شرم الشيخ والقادة العامة
للقوات المسلحة في الساعة العاشرة مساءً ، وكان نصها :

« الحالة هادئة والكتيبة تتجمع حالياً في شرم الشيخ حيث قررت
جميع القوة في الشرم لعمل حصن ، وضم القوة ينم من جهة الشرق عند
منتصف الليل ، وقد أرسلت مقدمه للانضمام مع العدو لنعطيله من
الداخل بالقوة في أثناء قيامها بعملية الانضمام والنجم ، وبخصوص السفن
الحربية المعادية فقد غرقت إحداها وتحركت أخرى للجنوب والبالغة كانت
بعيدة ونرجو ألاغنا بخسائر العدو عندكم بالقاهرة وبالإسكندرية
والقناة » .

وكان هذا الحديث التليفوني انعكاساً لما كان يتفاعل في نفس قائد
قوة شرم الشيخ من أحاسيس كثيرة حملت معنى اهتمامه بأبناء الوطن
وانشغاله بمجريات الأحداث في باقي القطاعات ولهفته على سماع أخبار
المعارك الدائرة مع العدو . . وكان معنى ذلك أن محنة المعركة التي
عاشها وخاضها مع رجائه لم تفقده أمله في أن تكون نهاية المعركة لمصلحته .
وأنه لم يزل يفكر ويخطط من أجل تضليل وارهاق العدو حتى آخر لحظة . .

وكان جزاء إصراره على موقفه أن نشطت المعارك الجوية على
قوة شرم الشيخ بصورة عنيفة طول يوم ٤ نوفمبر ، وصفت بأنها
« اكساحات عنيفة مركزة » .

ولكن لم بتأثر موقف قواتنا من هذه الغارات بل كان هناك الإصرار

على الصمود الى النهاية ، وقد وصلت اشارة من قيادة هذه القوات الى القيادة العامة فى الساعة النائية عترة ظهرا ، نصها :

جميع القوات فى اوضاعها الجديدة على حسب الخطه ، وجميع المعدات الحربية بما فى ذلك مدفعية السواحل والمضادة للطائرات ، ومرشحات المياه دمرت تماما . سنظل ندافع الى النهاية » .

وقامت طائرات العدو بعد هذه الغارات بالقاء منشورات « تدعو فيها قواؤنا بالتسليم وخاصة أن القوات المصرية فى سينا قد تم انسحابها كلها عدا قوة شرم الشيخ . وقوبلت هذه الطائرات بنيران الاسلحة الصغيرة اذ لم يكن هناك مدفع واحد مضاد للطائرات يصلح للاشباك بها ، وفقد العدو صبره بعد هذه المحاولة . . فشن غارات جديدة فى مساء ذلك اليوم واستخدم القنابل الحارقة والشديدة الانفجار والناالم ، وبدأ أن هذه المحاولة كانت بمثابة غارة انتقامية بسبب عدم الاسسجابه لدعوة الاستسلام .

وفى تمام الساعة العاشرة والربع مساء وصلت لقائد قوة شرم الشيخ الاشارة الآتية من القائد العام للقوات المسلحة :

« اقدر فيك وجنودك البطولة والاقدام ، ستكونون دائما مثالا للوطنية والبضحية فى سبيل الواجب ، اذا لم يمكنك الاستمرار حتى أول ضوء نائى آمرک بأن نسلم ، تخلص من جميع الاسلحة حتى البنادق والطنجات ولو بالقائها فى البحر ، تدمر جميع المنشآت اذا أمكن ، تحياتى » .

ولقد رأينا أيضا أن نسجل ما شهد به الأعداء عن هذه المعركة التى كانت فعلا من أخطر وأهم المعارك بالنسبة لميدانها الجغرافى وبالنسبة للعنف الذى اتصفت به وبالنسبة أيضا للظروف القاسية التى واجهته وأحاطته بقواتنا والتى بالرغم من ذلك كله استطاعت أن تكبد العدو خسائر كانت أضعاف مجموع قواتنا التى اشتركت بالمعركة . . فقد ذكرت مجلة « باماحنه » العسكرية الاسرائيلية فى تقريرها الرسمى التحليلى عن هذه المعركة ما يأتى بالحرف الواحد :

« ان القوات المصرية التى أمرت بالبقاء فى شرم الشيخ والمواقع المصرية المجاورة كانت عبارة عن ٨٠٠ عسكرى بينهم ٥ ضابطا ، وكانت هذه القوات موزعة فى تسعة مواقع تمتد من ايلات الى شرم الشيخ ، وهى رأس النقب وعين مرتجى والذهب ونبق ووادى البید ورأس النصرانى وتيران وصنافير وشرم الشيخ .

أما القوات الاسرائيلية فكانت عبارة عن لواء مشاة كامل هو اللواء التاسع ، وعدد رجاله خمسة آلاف عسكري وكتيبة دبابة اضافية وكتيبة مدرعات وسيارات وعربات وسرية هندسة وسرية مدفعية ضد الدبابات وأخرى ضد الطائرات وكتيبة هاون ثقيل وسرية فدائيين وسرية مظليين بالاضافة الى النجندات الأجنبية الجوية والبحرية . ومعنى هذا أن اللواء التاسع المشاة لم يكنف بما لديه من عناصر مدرعه ومدفعية ، بل ضم اليه لواء مدرعا وعناصر أخرى من المدفعية وغيرها ، وبذلك يكون تعداد القوات التي اشتركت في الهجوم على القوة المصرية الصغيرة حوالى ١٢ ألف اسرائيلى ، وهذا يدل على شدة خوف الاسرائيليين من القوة المصرية واضطرارهم للاستعانة بالطائرات واللسفن الأجنبية ضدها .

« يضاف الى كل هذا أن لواء المشاة التاسع الاسرائيلى كان يتألف من المقاتلين الأشداء الذين قاتلوا في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ بقيادة اللواء « يجنال لون » . وهم ليسوا مشاة عاديين بل قوة محركة آلبة سريعة الحركة مزودة بالمدرعات والسيارات التي تنقلها الى مكان المعركة .

خطة المعركة :

« كانت أمام هذه القوة الاسرائيلية الكبيرة غاية واحدة وهدف واحد فقط هو احتلال شرم الشيخ وتجنب الاشتباك مع أية قوه غيرها لكى تبقى محافظة على قوتها ونشاطها عند الوصول الى الهدف ، ولذلك فقد سارت هذه القوة في خط بعيد جدا عن الانظار ليس فيه مواقع عسكرية لذلك استطاعت أن تقطع مسافة ٢٠٠ كيلو متر في عشرة أيام ، اذ بدأت زحفها من ايلات على ساحل خليج العقبة وسارت على طول الساحل بين الوديان والشعاب الممتدة من رأس النقب الى شرم الشيخ ، اى على طول ساحل سيناء الواقع على امتداد خليج العقبة .

ان منطقة الزحف أمام هذه القوة لم تكن واسعة لأن الرقعة الساحلية الواقعة على خليج العقبة لا تصلح للزحف لانها عبارة عن صخور منحدره مع الساحل انحدارا عتيفا ومرتفعة في بعض الأحيان ارتفاعا شائعا وهى قليلة المياه ليس فيها سكان وفيها فجوات مقطوعة ، الا أن هناك بعض المسالك على شكل وديان .

« وقد شعر ضابط المخابرات الذي رافق الزحف بأن مهمته عسيرة

جدا لأنه لا يعرف الطريق ، ولذلك أرسل رجاله لاصطياد البدو من السكان والمهربين الذين يندر وجودهم هناك . ولما أمسكوا بأحد البدو رفض أن يدلهم على الطريق فأمعنوا فيه ضربا حتى نزلت الدماء من صدره وفمه وأخيرا اضطروا الى استدعاء بعض الطائرات الخفيفة من طرز بيبير لاستطلاع طريقهم والاعتماد عليها فى ارشادهم . وقد حدث مرة أنهم شاهدوا أمامهم بحيرة واسعة جدا نسد عليهم الطريق فتوقفوا مدة طويلة ثم ظهر لهم أنها سراب . وكانت الرمال فى معظم المناطق كثيفة جدا تفرز فيها العريجات ، ولذلك فقد تأخر السير كثيرا وكان الزحف قد بدأ فى صباح يوم ٢٩ أكتوبر وكان من المقرر أن تصل القوة الى شرم الشيخ فى يوم ٣ نوفمبر ، الا أنها لم تصل الا فى يوم ٦ نوفمبر ، ولذلك فقد اضطرت اسرائيل الى تأخير اصدار الأمر بوقف اطلاق النار .

لقد كانت القوة الاسرائيلية طول مدة زحفها محروسة بقوات جوية كبيرة لأنها كانت معرضة للابادة فى هذه المنطقة الوعرة ، وكانت السفن البحرية تساندها وتستعد لسحبها اذا اقتضى الامر .

وكان قائد اللواء التاسع واسمه « ابراهام يافه » يحمل خريطة بريطانية للمنطقة التى يزحف فيها . وقد بدأ زحفه من اطراف النقب ولم يشتبك مع موقع رأس النقب الذى تقيم فيه قوة مصرية صغيرة ، بل التف حول هذا الموقع ونرك أمره لقوات أخرى موجودة فى ايلات ، وتابع زحفه الى أن وصل عين مرتجى ، وهو نبع مائى غزير يقيم حوله بعض البدو الذين هربوا الى الجبال المجاورة ، ثم تقدم الى موقع الذهب وهو موقع مصرى صغير على ساحل البحر للمراقبة والاستطلاع وفيه ٣٥ رجلا من خفر السواحل مع جهاز لاسلكى للارسال ، ثم تقدم الزحف الى نبق وهى موقع صغير للمراقبة ايضا . ولما وصلت قوات العدو الى رأس النصرانى أى قرب شرم الشيخ تماما تقدمت على شكل قوس أطبقت فيه على شرم الشيخ ، واستعملت كامل قواتها واسلحتها .

سير المعركة :

« بدأ أول اشتباك بين القوات الاسرائيلية والحاميات المصرية فى موقع الذهب ، وكانت حامية الذهب لاتزيد على ٣٥ رجلا ولكنهم أختفوا تماما ، فلما وصلت القوات الاسرائيلية الى المكان ظننت المكان خاليا ندخلته ، وعند ذلك راح الجنود المصريون يقتلونهم فأسقطوا منهم عددا كبيرا فاضطرت القوات الاسرائيلة الى التراجع عن القرية وقصفها

بالمدفعية والطائرات ، ولما أدرك أفراد الحامية أنهم لا يستطيعون المقاومة دمروا كل مالدتهم من الأجهزة والعربات والرشاشات وحملوا أسلحتهم الخفيفة وخرجوا الى الجبال حيث احتموا بها وأطلقوا نيرانهم على العدو . وعند ما دخل العدو نقطة الذهب وجدها أرضا محروثة ، وجاءته السفن تنقل اليه البترول والمؤن .

« ولما وصل القوات الاسرائيلية الى وادى البيد كان فى انتظارها كمين مصرى قوى فاشتبك معها فى معركة ضارية استمرت سبع ساعات وقد اضطرت بعد ذلك الى استخدام بعض وحدات سلاح المهندسين الاسرائيلى لشق طريق جبلى يؤدى الى الساحل لكى يلتف حول وادى البيد . اذ كان هذا الوادى هو الممر الوحيد الى الطريق المؤدى الى شرم الشيخ ، وكان عناد الكمين المصرى قويا جدا ولذلك فان المهندسين الاسرائيليين نسفوا بعض الصخور الواقعة بينهم وبين الساحل وشقوا طريقهم من هناك .

« وكانت الوحدة المصرية المرابطة فى رأس النصرانى قد تركت موقعها وانضمت الى القوة الرئيسية فى شرم الشيخ بعد أن دمرت كل شيء فى وادى النصرانى ونقلت أسلحتها معها . ولما وصلت قيادة القوة الاسرائيلية الى رأس النصرانى وجدت أن هناك خطا تليفونيا يتصل بשרم الشيخ فاستعملته للاتصال بقياده شرم الشيخ وطلبت منها المسلمين خلال نصف ساعة ، وكان ذلك فى الساعة الثانية عشرة والنصف ليلا . ولكن المصريين أجابوا فى الحال على طلب التسليم بقصف المدافع ، ونواصل المجلة حديثها ، فنقول بالحرف الواحد :

« قام مدفعينا بقصف المصريين فى شرم الشيخ قسفا قويا بمدافع الهاون الثقيل ، ثم بدأ الهجوم حوالى نصف الليل وكان هجومنا عنيفا جدا ولكنه انتهى بالفشل . اذ أن خط الدفاع المصرى الأمامى الذى كان خارج المطار لم يمحطم ، وقد تكبدت فواننا خسائر كبيرة واضطربنا الى التراجع . ثم قمنا بهجوم آخر ولكن المصريين كانوا قد نظموا خطهم من جديد فلم نستطع الصمود أمامه . وظهر لنا أن المصريين لن يستسلموا الا أمام شيء آخر فأرسلناه اليهم وهو طائرات نفثة منقضة كانت تهبط فوق رؤوسهم وتقذفهم بكل شيء حتى بالنشترات التى كنت باللغة العربية والى كانت يدعوهم فيها الى الاستسلام لأن مصر كلها قد استسلمت . وقد ضربوهم بالصواريخ والقنابل على اختلاف أنواعها ثم اشتركت مدافعنا الثقيلة ومدافع الهاون ، ومع ذلك فان المصريين لم يجدوا فى كل

هذا عذراً للاستسلام . لقد كنا نطبق عليهم بقوات هائلة من الأرض ومن الجو والبحر ، ولكنهم رفضوا الاستسلام ، وعند ذلك وجدنا أنه لا مناص لنا من هجوم المشاة عليهم بكثرة هائلة للتغلب على مقاومتهم ، وحارب المصريون بعناد وبأس من دشمة الى دشمة ومن حفرة الى حفرة ومن خندق الى خندق ، واستمرت هذه المقاومة من الساعة الثانية ليلاً الى ما بعد الظهر ، وأخيراً وجدنا أن الذين قاومونا هم ٨٠٠ عسكري مصري بينهم ، ٥٠ ضابطاً برئاسة كولونيل اسمه رعوف . »

الشجاعة المصرية :

وتبضي المجلة الاسرائيلية في الحديث عن المعركة فتقول :

« ان الكولونيل رعوف هو شاب متين قصير القامة . وكان طول المعركة في موقعه يقاتل مع رجاله . وقد قال في النهاية اننا لم نستسلم لكم بل بسبب هذه الطائرات . وكان يضع في موقعه وفوق رأسه صورة الرئيس ناصر واللواء عامر وهذه الأخيرة موقعة من اللواء ، وقد رفض رعوف أن يتنازل عنهما وأخذهما معه الى الاسر .

« وقد تحدثت مع الطبيب المصري واسمه سيف حداد وأفهمته بأن جميع الفرقاء وافقوا على وقف إطلاق النار . فقال الطبيب ان بريطانيا هي عدونا وهي عدوكم أيضاً ، وتحدثت مع ضابط برتبة ليفتنانت كولونيل اسمه « حنا نجيب » وقد ظهر لنا أنه حارب مع عبد الناصر في الفالوجا . وقد سألته ، لقد صدرت الأوامر من القاهرة اليكم بالانسحاب كما أخبرتكم الطائرات .. فلماذا لم تنسحبوا ؟

فقال نجيب « كنت متيقناً من أنني أستطيع الصمود » .

فسألته : هل كنت تعرف مقدار قواتنا ؟

فأجاب : « لم تكن نظن أنكم ستستعملون ضدنا هذه القوات الهائلة » .

س : لماذا لم تستسلم عندها عرفت أن قواتنا هائلة جداً ؟

ج : ان الحرب عندي لعبة .. مباراة .. وأنا أحب أن ألعب الى النهاية — هذا عندي أهم من النتيجة سواء ربحت أم خسرت .

س : ما رتبتك ؟

ج : ليفتنانت كولونيل أنا أسير حرب . . ثم ضحك ضحكا منقطعاً
وقال : ان هذه الطائرات هي التي أرغمتنا على الاسنسلام . . انها كانت
وحشية رهيبه .

س : اذن لماذا لم تستسلم بعد قصفها الشديد ؟

ج : فانتسم « نجيب »

هذا هو ما نشرته مجلة « باماحنه » الاسرائيلية العسكريه عن
قتال المصريين في شرم الشيخ . .

الفصل الرابع

معركة بورسعيد والقنال

لا يكفى هذا الكتاب لتسجيل روائع البطولة التى اتصفت بها هذه المعركة ولا جميع التفاصيل الجيدة لمعارك سيناء بالدرجة التى تروى الرغبة فى دراسة هذه الفترة الحافلة من تاريخنا الحديث والتى كانت هى الحقيقة نقطة تحول وانطلاق لقومينا العربية التى نردد صداها وتجاوبت صيحاتها ودعوانها بين أرجاء العالم العربى بل وفى رحاب الدنيا .

وبور سعيد .. ستظل رمزا واسما لمعنى الفداء القومى .. فقد املتت بجهادها وكفاحها وتضحياتها سلامة مصر وبأمن استقلالها وتدعيم عزتها وكرامتها ، كما كانت هذه المعركة أيضا طفرة كبيرة للقومية العربية التى تبلورت معانيها واتضح مفهومها وبرزت معالمها منذ العدوان الثلاثى .

ومعركة بورسعيد كانت فى الواقع بدء وامتداد وانتهاء المعركة الرئيسية التى دارت بيننا وبين قوى العدوان .. وكانت معارك سيناء بالرغم من العنف الذى اتصفت به ، وبالرغم من قسوة الظروف التى أحاطت بها بحرماننا من استغلال نجاحنا الذى حققته قواتنا فى معارك رفح وأبو عجيلة وأم قطف وممر متلا وشرم الشيخ .. كان حرماننا من استغلال هذا النجاح الذى كان سيؤدى حتما الى القضاء نهائيا على اسرائيل .

ولذلك أضحت معركة بورسعيد رمزا للعناد المصرى الذى اشترك فيه الجندى المسلح ورجل البوليس وصياد السمك وطالب المدرسة وفتاة

المنزل .. فكانت المعركة صورة ناطقة صادقة لجهاد الشعب المصرى بجيشه ونسعبه بالرغم من المفاجأة الغادرة التى طعننا من الخلف فى الوقت الذى كانت نستعد فيه قواتنا المدرعة الضاربة لشحن هجومها وبدء مطاردتها للفلول الاسرائيلية .

ولذلك كانت الظروف القاسية التى مهدت لامداد نيران المعركة الى بور سعيد سببا فى أن يكون هذه المعركة وحدها موضع دراسة خاصة لايسع لها مثل هذا الكتاب ، نظرا لما تتضمنه مثل هذه الدراسة من شرح وتحليل جميع ظروفها ومقدمها ومضاعفاتها .

ولا شك أن الحديث عن بور سعيد بعد أن اضحت عنوانا عساليا سيظل ابدا مقرونا بالتقدير والاعجاب .. فان حديثنا عنها سيتناول سرد تطور المعركة باعتبارها امتدادا تاريخيا وجغرافيا لمعركة سيناء .

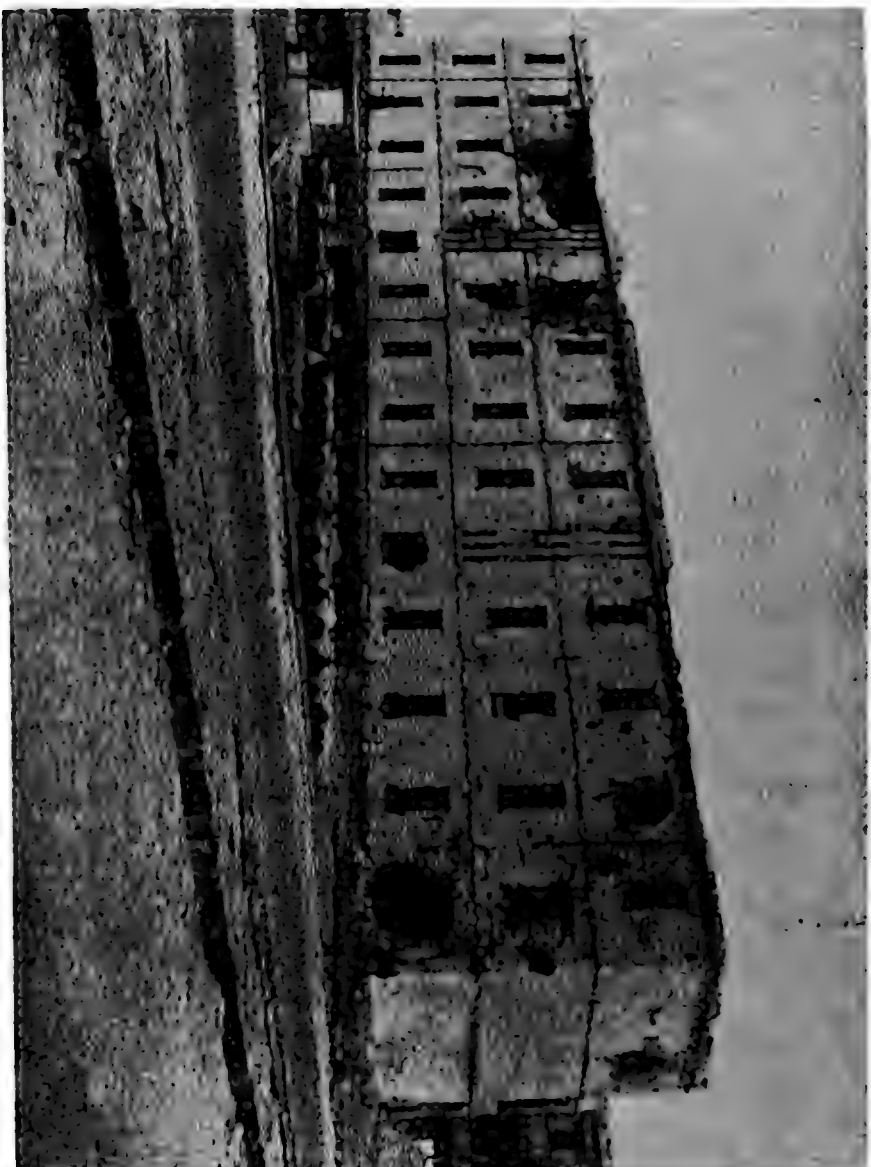
وقد اتصفت العمليات الحربية التى شهدتها بور سعيد بأنها كانت مثالا للتعاون الوثيق بين كل القوى المسلحة فى البر والبحر والجو بما فيها من الاسلحة المعاونة من المدفعية والمدرمات والهياطين بالمظلات ووحدات المهندسين وغيرها من الوحدات الادارية اللازمة لامداد وبوبن وصيانة كل الوحدات المشتركة فى المعركة .

كما اوصفت عمليات المعتدين بصور كثيرة من الوحشية والاجرام التى تدخل بحب طائلة العناب الدولى وبدفع من اشرك فيها من قوات العدو الى حظيرة مجرمى الحرب الذين لم يراعوا أى مبدأ أو تقليد أو عرف فى معاملة المدنيين الأبرياء من الشيوخ والنساء والأطفال .

وكانت هذه المعركة أيضا صورة تمثل فيها كل ما فى الحرب من شدة ومحنة .

فالمدينة صغيرة مكشوفة ، حشد العدو لها كل امكانيات امراطوريين كبيرين بما لدهما من أساطيل بحرية وجوية .. وقد هبأ خطته لهذا العدوان من شهور سابقة للعدوان .. فكانت لديه كل أسباب التفوق المادى الساحق والتفوق الزمنى كما مهد للمعركة بحرب نفسية عنيفة وضلل العالم كله بتصريحاته الرسمية بعدم الاشتباك فى القتال الذى دارت رحاه بين قواتنا وبين اسرائيل فى سيناء .

ثم فجأ العالم بانذاره لمصر فى ٣٠ من أكتوبر الذى تضمن الشروط الآتية :



منزل المال والسيارين كانت هدفا لتييران الاسطور الانجلو فرنسي

١ - إيقاف جميع الأعمال الشبيهة بالحربية في البر والبحر والجو .

٢ - سحب جميع القوات العسكرية المصرية الى مسافة ١٠ ميل عن قناة السويس .

٣ - أن تقبل مصر احتلال الأراضي المصرية بواسطة القوات البريطانية والفرنسية للمواقع الرئيسية في بور سعيد والإسماعيلية والسويس .

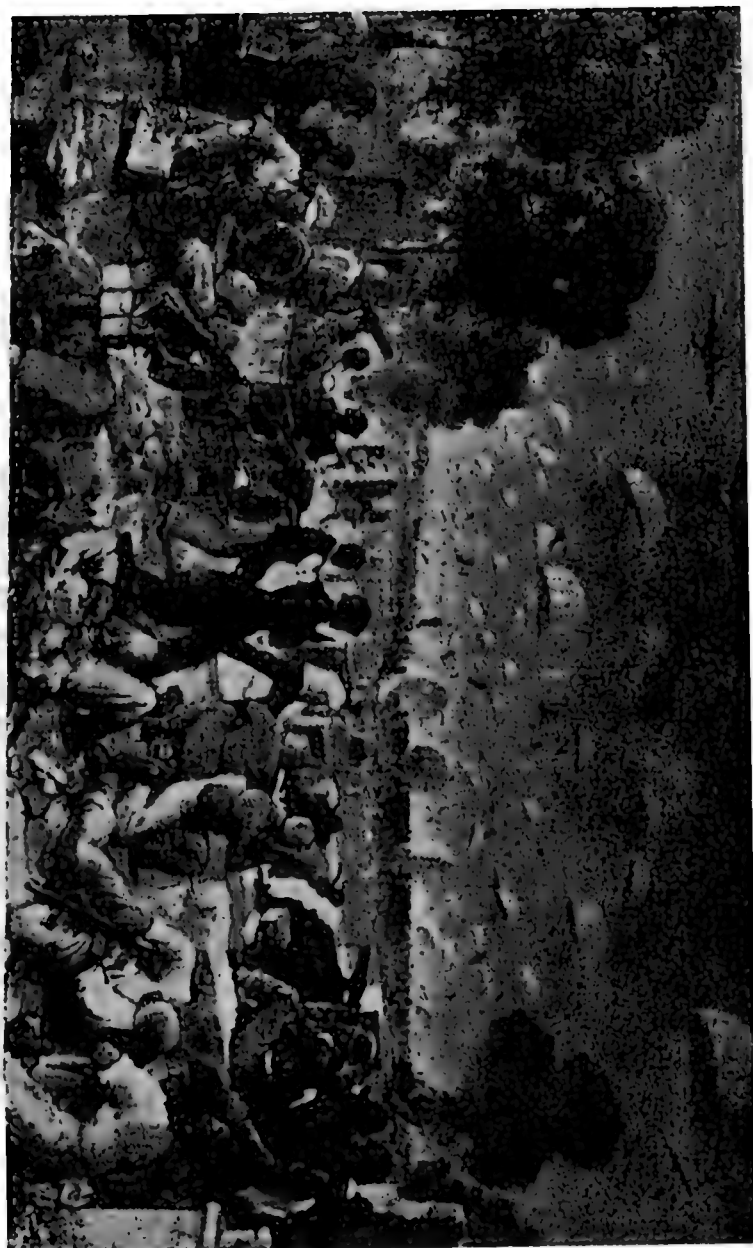
وتحددت مدة انتظار الرد على الإنذار الساعة ٣.٠٠ من صباح الأربعاء ٣١ من أكتوبر ، نادا لم تتسلم الملكة المتحدة وفرنسا الإجابة في الوقت المحدد فانهما سيدخلان بالقوة وبالقدر الذي تريانه كافيا لضمان اجابة مطالبهما ؟

وهكذا بدت روح الغدر والاصرار على الحرب من جانب فرنسا وبريطانيا ، اذ كان معلوما سلفا أن هذا الإنذار سرفض قطعاً . . وقد بدت من صيغة الإنذار الرغبة الجامحة في الانتقام من مصر التي أمت شركة القناة وطردت الانجليز من مصر والسودان وادكت شعلة القومية العربية ونادت بالتحريض للشعوب المغلوبة على أمرها وقام رئيسها جمال عبد الناصر يحمل على كتفيه عبء الجهاد ضد قوى الاستعمار ويضرب المثل الصادق في كفاحه ونضاله ، ومهد الطريق لكل العاملين من أجل تحرير شعوبهم . . من برائن الاستعمار الذي ران على الشرق الأوسط وعلى الكتلة الآسيوية الأفريقية طوال القرون التي سبقت هذا العدوان والذي وجدت فيه دول لاستعمار فرصتها للقضاء على كل هذه القيم المثالية لكفاح القادة والشعوب . . وعلى هذه النزعات التحررية التي بدأت تهز أركان الاستعمار وأوشكت بالفعل أن تقضي عليه . . فكانت معركة بور سعيد هي النافذة التي أراد أن ينطلق منها الاستعمار ليجدد شبابه ويفترس ما أفلت من برائته من صيد .

ولكنها كانت النافذة التي رأى منها الاستعمار الهاوية السحيقة التي تردى فيها بعد أن حاول اقتحامها . . فكانت مقبرته التي دفن فيها كل أمانيه . . وعاد بعدها ينفخ يديه الملوثة بدماء الأبرياء التي ستظل تلعنه مادام للحياة معنى ووجودا .

وكان محتملا أن تتطور معركة بور سعيد الى حرب عالمية لولا امانة جمال عبد الناصر الذي أخلص لقضية السلام العالي وحال بصره وثقته

مركة مطار الجليل في بور سعيد وأيد فيه كل الواطين بالمقاتلات الانجليز



فى شعبه وجيشه دون امتداد لهيب المعركة الى أرجاء الدنيا عندما رفض قبول المتطوعين الذين هزتهم خسة المعتدين فأبدوا استعدادهم للقتال دفاعا عن الحرية والمبادئ الانسانية ضد قوى الغدر والظغيان .. فكان **الصبر على المعركة والرضا بعذابها وقيامنا وحدنا بمسئولياتها .. كان ذلك نجاة مؤكدة للعالم كله من الحرب الثالثة ..** وبذلك كانت بور سعيد وقرار عبد الناصر بالقتال ضد المعتدين بمواردنا المحدودة وبأيدينا وحدنا .. كان ذلك فداء حقيقيا للسلام العالمى على حساب تضحياتنا وأرواحنا .. وهكذا برزت معركة بور سعيد الى سجل الخلود العالمى .

وبانتهاء فتره الانذار فى تمام الساعة ٦ر٣٠ يوم ٣١ من أكتوبر قامت الأساطيل الجوية من قاعدة قبرص ومن حاملات الطائرات بضرب المطارات المصرية على امل القضاء على قواعدها الجوية وبخاصة بعد أن اثبتت هذه القوات كفايتها النادرة فى معارك سيناء وبعد أن قضت تملها على أكثر من ربع قوة الطيران الاسرائيلى .. وبعد أن حققت السيادة الجوية الكاملة فوق سيناء وخليج السويس بالرغم من اشراك أسراب من القوات الجوية الفرنسية والبريطانية مع الطيران الاسرائيلى فى عمليات سيناء .

واشتدت غارات بريطانيا وفرنسا على كل المدن المصرية وان كان نصيب القاهرة والاسكندرية ومدن القناة هو الاكبر .. وعلى الاخص مدينة بور سعيد باعتبارها المنطقة المختارة لانزال القوات المعتدية فيها لاحتلالها ، لكونها مفتاح ومدخل قناة السويس من الشمال .. وكان مفروضا أن يحتل العدو ميناء السويس ، كما أوضحنا ، غير أنه فشل فيها أيضا .

وكان تركيز الضرب الجوى أيضا على محطات الرادار ومواقع المدفعية المضادة للطائرات والمدفعية الساحلية .

وقد صاحب هذه الغارات تركيز شديد من قصف مدافع الأسطول للمرافق والمنشآت بالمدينة وحرق أحياء كاملة بها بقصد إثارة الرعب والفزع وهدم معنوية سكان المدينة .

وعندما بدأت هذه المعركة كانت قواتنا الموجودة فى بور سعيد مكونة من :

(١) ٢ « سرية من مشاة » (الكتيبة ٢٧٥) فى بور فؤاد ، وكانت قد وصلت الى بور سعيد لأول مرة مساء الأول من .

(ب) كتيبة مشاة رقم ٢٩١ وكانت قد وصلت بور سعيد يوم ٣١ من أكتوبر وتوزعت كالآتي :

سرية في مطار الجبل

» على الشاطئ

» بمبنى شركة للقنل

» احتياطية

(ج) الكتيبة الرابعة المشاة :

وكانت قد وصلت توا من منطقة روض سالم بسيناء بعد أن تقرر الانسحاب العام .

٢ سرية في منطقة الجبال

٢ » » » الرسوة

١ » احتياط في الرسوة

(د) بطارية مدافع صاروخية في منطقة المناخ

(هـ) كتيبة حرس وطني منها سرية في مطار الجبل

(و) فرق المقاومة الشعبية .

في حين كانت قوات العدو التي اشركت في الهجوم الفعلي على بور سعيد مكونة من :

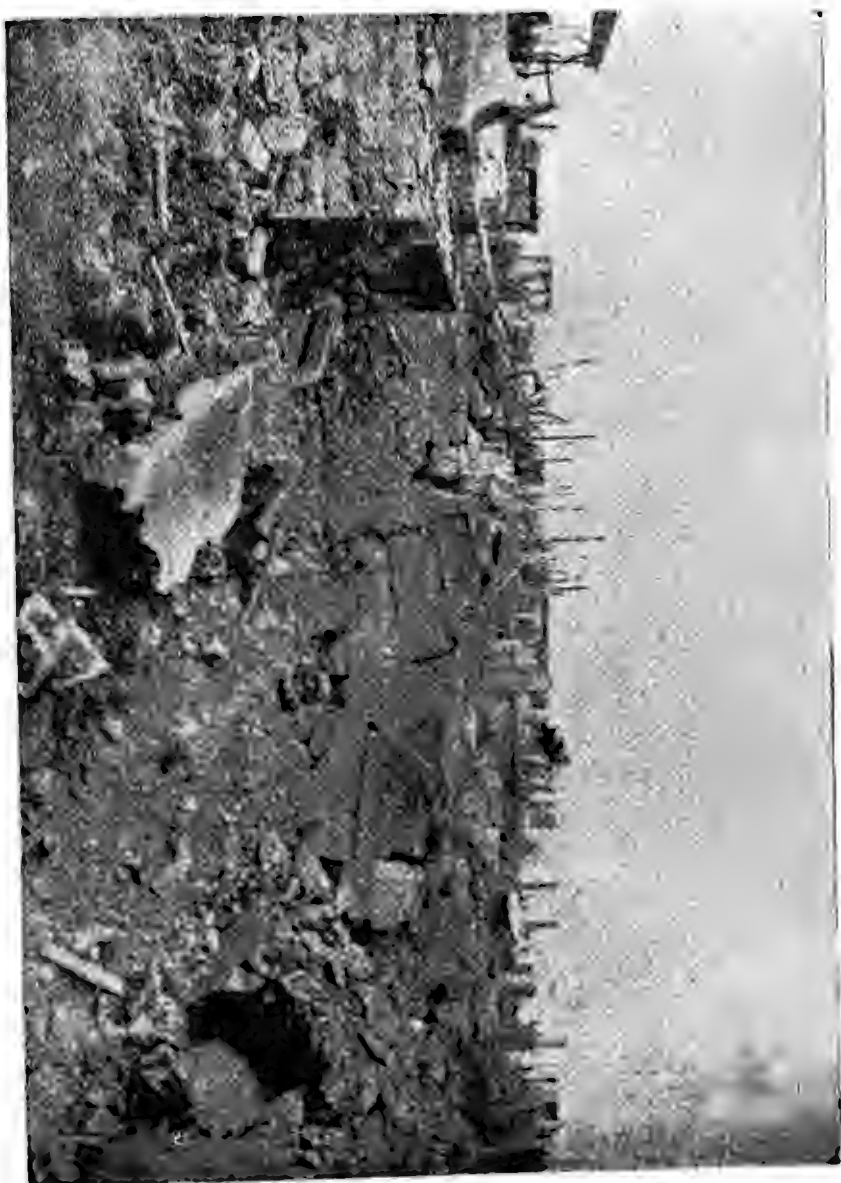
كتيبة مطلات انجليزية من قاعدة قبرص .

كتيبة مظلات فرنسية من قاعدة قبرص .

كتيبة فدائيين (رقم ٤٥) من مالطة .

أورطة دبابت سنطوريان .

وفرت من المشاة ومعها المدفعية اللازمة ووحدات المهندسين ووحدات النقل ، والخدمات الادارية اللازمة ، وبلغت جملة هذه القوات أكثر من ٤٠٠٠ ، ويعاون هذه القوات أسطول فرنسي وبريطانيا البحري وكل ماديها من قوات جوية في شرق البحر الابيض المتوسط .



مقابر بئر سعيد تعرضت ليران العدو نوفمبر سنة ١٩٥٦

وبدأت معركة بور سعيد ننطور من ٣١ من أكتوبر الى ٤ من نوفمبر عندما تركزت غارات العدو بكل قواه الجوية بصمة خاصة على بور سعيد لندمير ما بقى من مواقع محصنة بها ، وسبق هذا الصرب حملة حرب نفسية اذاعتها قيادة العدو من قبرص ولندن وباريس ولأبيب على أمل اضعاف معنوية الشعب لقليل مقاومته عند بدء العمليات ضده ، ولكن كان تأثيرها عكسيا على خط مستقيم ، اذ أثارت هذه الدعايات حماسة الشعب الذى نجابوب مع الجيش تجاوبا كاملا فى الدفاع عن البلاد .

وانتهى يوم ٤ من نوفمبر بعد أن تم تدمير المواقع الثابتة للمدفعية المضادة للطائرات والمدفعية الساحلية وبقيت بور سعيد فى حماية المدفعية الخفيفة المضادة للطائرات والأسلحة الصغيرة التى كانت مع وحدات المشاة وأفراد المقاومة الشعبية .

وفى صباح ٥ من نوفمبر اشتدت غارات العدو الجوية على مناطق • مطار الجميل .

الجبانة ومدائن الموتى (انظر الصورة)

بور فؤاد .

كوبرى الرسوة ...

منطقة دى ليسبس

واستخدم العدو فى ذلك القنابل الحارقة .. وشديدة الانفجار .
والنابالم .. والرشاشات ، وكان تمهيدا للغزو بالهباطين بالمظلات .
وبدا الغزو فى « سعت ٧٠٠ » بالخطة التالية .

١ — استقطت الموجة الأولى من الهباطين بالمظلات بمنطقة مطار الجميل وكانت بقدر بحوالى ٢٥٠ وتمت ابادء هذه القوة عن آخرها .

٢ — هبطت المجموعة الثانية « سعت ١١٠٠ » فى منطقة الجبانة وفى الساعة ١٤٣٠ نزلت المجموعة الثالثة واستمر القتال معها حتى الليل .

٣ — استقط العدو موجة أخرى فى منطقة كوبرى الرسوة وكانت من بعض الدمي والهيكليات التى لم يستطع المدافعون نمييزها نظرا لظروف المعركة وشدها واستمرارها منذ أيام لم تتح لهم فرصة للراحة مما جعل القوات المدافعة والأهالى تندفع بكامل قواتها بقصد ابادء هذه

الموجة بعد أن هزتهم فرصة انتصارهم فى القضاء على المجموعة الأولى بمطار الجميل .

٤ - وفى هذه اللحظة التى قام فيها بخدعته أسقط مجموعة أخرى من الهابطين بالمظلات احتلت الرسوة ومحطة المياه خلف قوات المقاومة بتركيز نيرانها على المجموعة الهيكلية .

٥ - وأسقط العدو مجموعته الرابعة فى بور فؤاد وكانت نفدر بحوالى ٤٠٠ ، وأبيد منها قسم كبير .

٦ - وعاد العدو فأسقط مجموعة جديدة فى مطار الجميل والرسوة .

وانتهت يوم ٥ من نوفمبر بعد أن قاتلت قوات المقاومة المشتركة من العسكريين والمدنيين ، وكان العدو قد أسطاع الاحتفاظ ببعض مراكزه عند المطار وعند وابور المياه بالرسوة ، وبذلك كان . يحكم فى مفتاح الحياة لأهالى المدينة ، وظل يساوم ويهدد بحبس المياه عن الاهالى ليموتوا عطشا علاوة على ما يترتب على حبس المياه من نشر الأوبئة .

واسنمرت القوات البحرية تطلق قذائفها على المدنيين فى فترات متقطعة حتى صباح اليوم التالى ٦ من نوفمبر .

وفى أول ضوء هذا اليوم اسنؤنفت العمليات الجوية على المدينة مع استمرار ضرب مدفعيه الأسطول على القطاع المواجه للشاطئ ، وقصف مجموعات الكباتن الخشبية بالنيران حتى اشتعلت فيها الحرائق وهددت بدمار كل المدينة . لولا سقوط بعض المطر الخفيف وتراكم سحب الدخان على طول امتداد الشاطئ ، فاسبعان العدو به فى الاقتراب بالسفن الناقلة لجنوده ونجح فى انزال كتيبة من الفدائيين البحرينيين الانجليز وأورطة دبابات .

ولم يكن ممكنا منع اقتراب هذه السفن بسبب تدمير كل بطاريات المدفعية الساحلية . . ولم تكن الأسلحة الصغيره التى تسلحت بها الكتيبة الراعية المشاة أو الحرس الوطنى أو قوات المقاومة الشعبية وحدها كافية لمنع عملية انزال الدبابات أو المصفحات البريطانية .

وفى الوقت الذى بدأت تنزل فيه هذه القوات الى الشاطئ كانت قوات المظلات التى هبطت مؤخرا فى مطار الجميل تتقدم على الساحل ، والتقت القوات وتقدمت الدبابات فى المقدمة ورفعت على أبراجها العلم

المصري والعلم الروسي فالتفت حولها جموع الشعب تهلل في سعادة عظيمة اد اعتقدوا أنها دبابات مصريه أو دبابات أتت لنجدتهم ، ولكن كانت تنتظرهم المفاجأة المغادرة ، اذ اكتسحت مدافع هذه الدبابات جموع المدنيين الذين أحاطوا بها وأنزلت بهم خسائر كبيرة .. فساد الذعر بين النساء والأطفال ونعذر على قوات المقاومة الشعبية اصطياذ الدبابات . ونتيجة لذلك استطاعت هذه الدبابات أن تحتل بعض الشوارع والميادين ، وبعد ذلك ظهرت قوات العدو المترجلة وهى تتقدم فى بطء تحت وقاية هذه الدبابات وتصل الى بعض المنازل ، وتولت القضاء على من فيها من الاهالى .

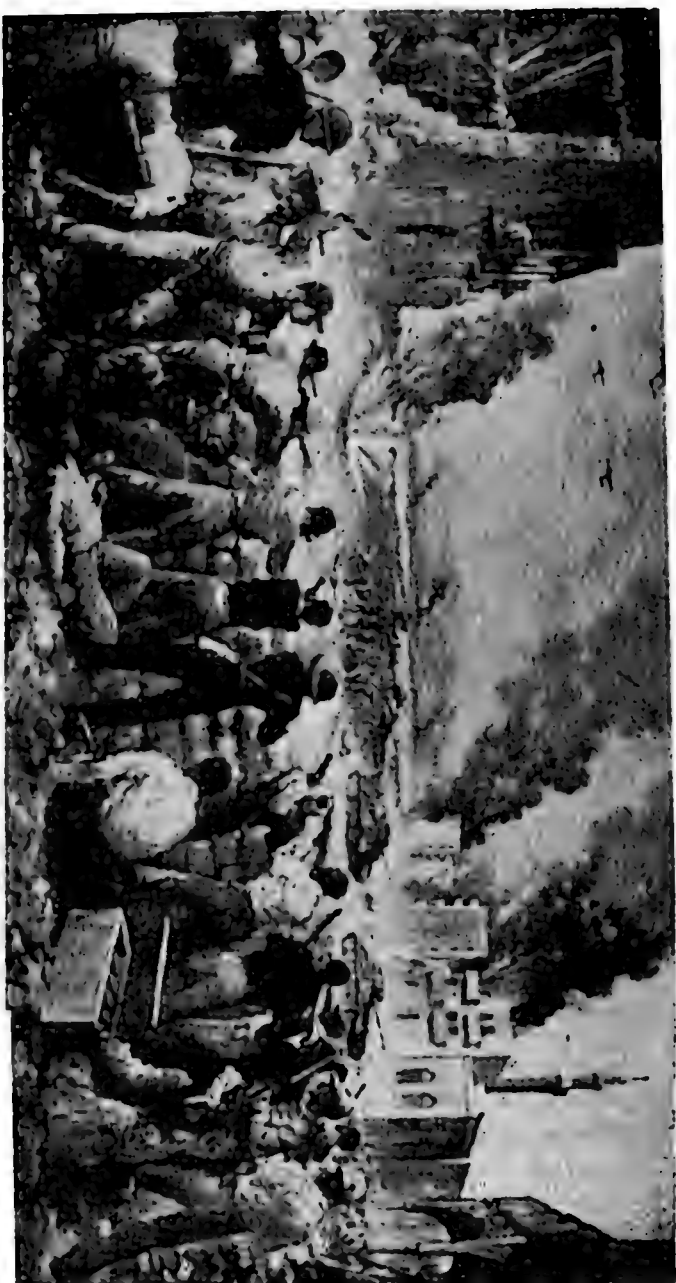
وفى الوقت نفسه ضاعفت القوات الفرنسية نشاطها فى اسقاط مجموعات من الهابطين بالمظلات فى بور فؤاد عن طريق الساحل من الجانب الأيمن (الشرقى) وعزل المدينة من اتصالها بسيئات خثسية احتمال تسلل أى امدادات الى المدينة من منفذها الشرقى ، وبلغ مجموع الهابطين ٣٠٠٠ جندي ، وكانت بور سعيد تغلى حقدا على الغدر الذى أدى الى ضياع أرواح كثيرة من الأبرياء .. فاشتدت حماسة الشعب وظل القتال ضد المعتدين مسنمرا من منزل الى آخر ونشطت أعمال الفدائيين المصريين الذين استطاعوا خطف دبابات سنيثوريان بأطقمها ، وقد اعترفت بذلك قيادة القوات البريطانية .

وقد تعاونت بعض العناصر الأجنبية فى بور سعيد مع قوات العدو بضرب الاهالى وقوات المقاومة الشعبية ، ولكن كان مصير هؤلاء اما القتل على أيدي الوطنيين أو السفر مع القوات المعتدية عندما انسحبت فى ديسمبر من المدينة نهائيا ..

وكانت قوات الجيش والبوليس والشعب تقاتل فى الشوارع جنبا الى جنب على صورة حرب العصابات ، وأصبحت المدينة فريسة للسلب من جنود الاعداء الذين أظهروا أقصى معانى الوحشية فى سلوكهم ، وكانوا قد جلبوا معهم بعض موظفى شركة القنال المنحلة أملا فى الاستعانة بهم فى ادارة مرفق القناة اذا نجحت عملية الغزو البريطانى الفرنسى للمدينة توطئة لاحتلال منطقة القناة بأكملها .

وكانت عملية جلاء وترحيل النساء والأطفال من اهالى المدينة تجرى عن طريق بحيرة المنزل بواسطة الزوارق البخارية والشراعية ، ولكن العدو كان قد احل مرفأ البحيرة فحال بذلك دون اتمام اخلاء هؤلاء الأبرياء .

م ١٠٥٩ - معركة سيناء ١٢٩



موقعة بوز سعید قتل فيها الشعب مع الجيش والفرانس

ونشطت قوات العدو فى سلب المنازل ونهبها بحجة التفتيش على الأسلحة والذخائر .. وسادت الفوضى بشكل مزعج للغاية .. فتولى محافظ المدينة بنفسه تنظيم جولات لقوات البوليس التى جمعها لتنسيق أعمال الأمن لمواجهة مظهر الفوضى الذى ساد المدينة بسبب همجية قوات العدو التى امتدت عمليات السطو التى قامت بها الى منطقة الجمارك ومخازن التموين .. وكان هدفها هو تجويع الاهالى حتى يستسلموا ويتوقفوا عن الاشتباك بهم .

ولقد أضربت المحال والعمال عن التعاون مع العدو .. مما زاد فى حرج موقفه ودفعه الى بذل محاولات جديدة ومضاعفة اغرائه للاهالى للتعاون معه دون أية فائدة .. بل واستمرت عمليات تسليل الفدائيين فى نشاطها عن طريق بحيرة المنزلة لازعاج العدو ردا منهم على اعتداءاته المستمرة التى لم تنوقف بعد صدور أمر ايقاف النيران .

وهكذا ظلت بور سعيد تناضل طول المعركة بالرغم من قلة مواردها ، وسوء موقفها من جهة التموين واحتلال قوات العدو البريطانية والفرنسية لأرضها واستمرار مضاعفة عدد هذه القوات يوما بعد يوم حتى بعد وقف اطلاق النيران .. مع نشاطهم فى استنزاف الاهالى حيناً .. واغرائهم أحيانا .. وحظر التجول فى المدينة .

وبهذه المناسبة يجب أن نشير الى أن مصر عاشت فى المعركة لمدة عشرة أيام وحدها تقاتل فى سيناء من غزة الى رفح الى العريش وفى أم قطف وأبو عجيلة الى مر متلا وشرم الشيخ وخليج العقبة ، وانتقلت المعركة الى بور سعيد والاسكندرية والقاهرة والسويس .. فكانت معركة الشعب والجيش معا .. كان اصرار مصر على القتال .. كما أوضحه الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه بالجامع الأزهر فى ٢ من نوفمبر «بأننا سنقاتل ولن نستسلم أبدا» كان هذا القرار هو صدى لارادة الشعب التى أعلنها للعالمين .. والتى كانت هى سر قدرتنا وصمودنا فى المقاومة والتى أوضحت للعالم بأن المعركة لن تنتهى حتى باحتلال بور سعيد بل هى معركة بقاء أو فناء ..

وكان موقف مصر الجدى .. سببا فى جذب اهتمام العالم الى حقيقة المعركة التى تطورت وتعقدت وتورطت بسببها بريطانيا وفرنسا ، وبدأت المعارضة الرسمية والشعبية لحكومة العدوان تزداد يوما بعد يوم .. وبخاصة بعد أن توقفت الملاحة نهائيا فى قناة السويس بسبب الأعمال الحربية التى قامت بها الدول المعتدية مما أثار اهتمام الدول التى ترتبط

مصالحتها بالملاحه فى القناة . وازدادت حماسة الشعوب لتقديم المساعدة الى مصر تقديرا منهم لها ، فأعلنت كثير من الدول استعدادها للسماح للمتطوعين الراغبين من رعاياها للسفر للحرب مع مصر اذا رغبت هى فى ذلك . .

وبدأت بوادر الحرب العالمية تلوح فى الأفق الدولى مما زاد حرج الموقف . . ومما أثار حنق المعتدين فى مضاعفة ارهابهم لتصفية المعركة والوصول الى الاسماعيلية بأى ثمن قبل وقف اطلاق النيران .

ولكن كانت قواتنا فى الاسماعيلية وفى شرق القناة وجنوب بور سعيد قد صدت كل محاولات العدو التى قام بها بدباباته وأسلحته المعاونة للتقدم صوب الجنوب .

وفى تلك اللحظات التى كان العالم فيها يتتبع انباء المعركة وتصميم الشعب المصرى على الاستمرار فيها الى النهاية . . أرسلت الحكومة السوفيتية مذكرة الى كل من فى فرنسا وبريطانيا . . هذا نصها :

« ترى الحكومة السوفيتية ضرورة لفتنظركم الى الحرب العدوانية المشبوبة على مصر من بريطانيا وفرنسا ولها أخطر العواقب على قضية السلام . . ما المركز الذى تجد بريطانيا نفسها فيه لو أنها هوجمت من دولة أقوى تمتلك كل نوع من الاسلحة الحديثة المدمرة ؟ ان هناك الآن دولا ليست فى حاجة الى ارسال أساطيل بحرية أو جوية الى شواطئ بريطانيا ، ولكنها تستطيع استخدام وسائل أخرى مثل الصواريخ الموجهة » .

« ونحن عازمون عزما أكيدا على سحق المعتدين واقرار السلام فى الشرق الأوسط باستخدام القوة ، ونحن نأمل فى هذه اللحظة الحرجة ان تستعملوا الحكمة المناسبة وتستخلصوا النتائج المترتبة على هذا » .

وقد كان هذا انذارا عنيفا هدد بقذف بريطانيا بالقذائف الموجهة بعيدة المدى المزودة بالقنابل الذرية . وكان تأييدا لتحذير المستر انورين بيفان الذى أذاعه فى اليوم السابق وجاء فيه « اذا كانت الحكومة تريد إعادة فرض « قانون الغابة » فيجب عليها أن تذكر أن بريطانيا وفرنسا ليستا أقوى الحيوانات فى الغابة فهناك حيوانات أشد خطرا بكثير تتحرش بهما » .

وهكذا اتضح انه لولا استمرار مصر فى موقفها لما اهتم العالم ببحث الازمة أملا فى الوصول الى حل خوفا من تطور الازور الى حرب عالمية . .

وقد كان ممكنا بلا شك أن يتقدم الاتحاد السوفيتى بهذا الإنذار بعد اذاعة الإنذار البريطانى الفرنسى مثلا .

ولكن تأخر تدخل روسيا الى يوم ٥ من نوفمبر بعد أن خاضت مصر وحدها كل معارك سيناء ، ومعركة القنال . . وقد يكون من أسباب تدخل روسيا بإنذارها هو محاولتها تغطية موقفها الذى كانت قد اتخذته فى أزمة المجر وبولنده ورغبة روسيا فى كسب عطف من جانب الكتلة الآسيوية الأفريقية على موقفها « الأخير » فى أزمة القناة .

وكان رد الفعل الأمريكى سريعا على الإنذار الروسى بإعلان حالة الطوارئ ، وتحركت بعض قطع الأسطول الى أوروبا ونشطت الحكومة السويسرية فى إرسال مذكرة رسمية للدول الكبرى وتناشدها السلام ، وزاد هياج الشعب البريطانى بعد أن رأى التدهور الكبير الذى انتهت اليه سياسة آيدن وعلى الأخص بعد أن أعلن استحالة الملاحقة فى قناة السويس إلا بعد تطهيرها من السفن التى غرقت بسبب العمليات الحربية ، ومما زاد من حرج الموقف أن الشروط التى اقترحتها قائد العدوان على بور سعيد لوقف النيران قد رفضت كلها ، وازدادت حماسة الأهالى والمقاومة الشعبية ، وبدأت الحياة فى المدينة تأخذ لونا داميا من جديد . . ونخرج موقف القوات المعتدية مما ضاعف من حرج الحكومة البريطانية التى كانت قد سبق أن أعلنت على لسان رئيسها استسلام بور سعيد ، ثم جاءتة الأنباء الرسمية . . تكذب ادعاءه وبيانه .

وأعلنت أندونيسيا والصين والهند والسودان والأردن عن حشد بنطوعها واستعدادهم مورا بمجرد موافقة مصر على ذلك .

وكانت خطوط أنابيب البترول التى تمر فى سورية قد نسفت ، وبذلك توقف تدفق البترول نهائيا من الشرق الأوسط الى أوروبا بصفة عامة . . وإلى فرنسا وبريطانيا بصفة خاصة . . وبدى فى توزيع مشتتات البترول فيهما بالبطاقات مما أشعر الشعب فى الدولتين بقيود الحرب وكان لذلك أكبر الأثر على أضعاف معنوياتهم ناشدت حملات المعارضة فيهما ساعة بعد أخرى .

كان ذلك يجرى فى لندن وباريس وعواصم العالم الكبرى . . فى الوقت الذى كانت فيه بور سعيد تقاسى الكثير من انقطاع الماء والنور . . حتى أن العمليات الجراحية للجرحى كانت تعمل فى الظلام على ضوء الشموع وبدون توفر الأدوات الطبية اللازمة أو المطهرات الضرورية ، علاوة على أن أنابيب المجارى قد بدأت تطفح بمخلفاتها نتيجة لانفجارات

كثيرة أصابت شبكة المجارى بسبب العمليات التى وقعت بداخل المدينة مما كان يزيد فى سوء الموقف لحظة بعد أخرى .

وأخيرا صدر أمر ايقاف النيران فى الساعة الثانية من صباح يوم الأربعاء ٧ من نوفمبر ورضيخت بريطانيا وفرنسا للأمر الواقع بعد أن فضحتا أعمالهما العدوانية أمام العالم دون أن تحققا غرضهما ولكن حدثت أن نشطت قوات العدو فجأة فى اللحظات الأخيرة من هذا اليوم ، وكرر محاولاته للتقدم الى الاسماعيليه ولم يستطع أن يتجاوز نقطة « الكاب » بعد أن استحال عليه التقدم . . وعاود نشاطه المثير لشعور الاهالى فى مدينة بور سعيد واستمرار اشعال الحرائق فى المباني التى كان العدو يعتقد أنها تضم أوكارا لأفراد المقاومة الشعبية ، وكانوا يمثلون بجثث القتلى من المدنيين ويمنعون اقتراب أحد منها — وكل هذا بقصد اضعاف معنوية الاهالى ، الا أن كل هذه الاعمال أثارت الشعور بمزيد من الكراهية والرغبة فى الانتقام من المعتدين ، فاشندت حركة المقاومة الشعبية يوما بعد يوم ردا على تصرفات القوات المعتدية .

ولذلك فقد ظلت بور سعيد مسرحا لعمليات متفرقة . . رأينا أن نشر الى بعضها من مقتطفات التقارير الرسمية عن المدة التى أعقبت توقف إطلاق النيران .

يوم ٩ من نوفمبر ١٩٥٦ :

استمرت قوات الأعداء فى البحث عن الأسلحة والذخيرة وبخاصة فى حى العرب ، وقد حدث أن شخصا غير معروف أرشدهم عن كميات من الأسلحة والذخيرة مخبأة فى دكاكين خلف جامع علوان فما كان من الاهالى الا أن هجموا عليه وقطعوه أربا ثم أحرقوا جثته وألقيت فى القناة الداخلية عبرة لكل من يتعامل مع الأعداء .

يوم ١٢ من نوفمبر ١٩٥٦ :

عادت سيارات العدو ومكبرات الصوت تنادى بالعمل معهم ولم يذهب أحد من العمال اليهم ، وكثر توزيع المنشورات العربية التى تدعو الى عدم التعاون مع الأعداء كما كثرت دورياتهم فى المدينة .

يوم ١٤ من نوفمبر ١٩٥٦ :

عرفنى هذا اليوم نبأ وصول فدائيين مصريين — ويظهر أن الأعداء قد وصلت اليهم تعليمات عنهم فأكثروا من الدوريات المارة بالمدينة

والدوريات المسلحة بالبنادق والرشاشات، كما شددوا الحراسة على منافذ المدينة وعادوا الى تفتيش الشوارع ، والمنازل والمحال .

يوم ١٥ من نوفمبر ١٩٥٦ :

قام الأعداء بالبحث عن الاسلحة عدة مرات — كما عرفت أنباء عن وصول فرقة القناصة المصرية — فاعتقلوا بعض ضباط البوليس بحجة أنهم رؤساء القناصة والفدائيين ، وقبضوا على بعض المدرسين واستجوبوهم عدة مرات ثم أفرجوا عنهم بعد أن تبين لهم أنهم ليسوا ضباطا ويظهر أنهم علموا ان بين الفدائيين بعض ضباط قواتنا المسلحة .

يوم ١٧ من نوفمبر ١٩٥٦ :

ما زالوا يملكون بالمدينة بدوريات كثيرة ومكبرة ومسلحة حتى أنهم وضعوا حواجز وأسلاكاً شائكة عند مرسي المراكب ، كما رست باخرة إيطالية في الجبهة الخارجة من الميناء .

يوم ١٨ من نوفمبر ١٩٥٦ :

لا تزال قوات العدو تجوب أنحاء المدينة بصفة دوريات بحثا عن الأسلحة ، واستخدموا مطار الجميل لنزول طائراتهم الصغيرة كما أن سياراتهم ذات مكبرات الصوت كانت تجوب في المدينة معلنة حظر التجول من « سعت ١٧٠٠ » .

حلفت طائراتهم فوق المدينة والقت منشورات جديدة لاهالي . بور سعيد تدموهم للعودة لأعمالهم ، وكثر بالميناء نشاط مراقبيهم الخاصة بتطهير القناة والتي كانت مجتمعة حول الكراكة الغارقة بالقناة أمام باب ٦ تقريبا ، وكلها تحاول إخراجها ولكن كل محاولتهم قد جاءت بالفشل .

وقبيل الغروب مدوا الاسلاك الشائكة حول المدارس المحتلة وزادوا من قوة الدوريات الليلية .

يوم ١٩ من نوفمبر ١٩٥٦ :

أخذت سياراتهم الحاملة لمكبرات الصوت تجوب أنحاء المدينة تطلب من جميع أصحاب المنشآت والفلاكل والصيادين التوجه للميناء للعمل على أن يكونوا حاملين رخصهم حيث أن القيادة البريطانية ستصرح لهم .

بالعمل ، وطبيعى لم يذهب أحد ، ولذلك القت طائراهم فوق المدينة منشورات جديدة خاصة بمياه الشرب .

يوم ٢٠ من نوفمبر ١٩٥٦ :

استمرت سياراتهم بمكبرات الصوت تدعو أصحاب المهن الميكانيكية والنجارين للعمل معهم بأجور سخية ، ولم يمثل لهم أحد ، وأمر المحافظ بادراج جميع عمال الشحن والتفريغ والمهن الأخرى فى كشوف لصرف اعانة مالية عاجلة أسوة بما أتبع مع ضحايا الحرائق المكتوبة .

وهنا ظهرت وطنية الاهالى ، فمهما كلفهم الأمر من جوع وحرمان نلن يتعاونوا مع الاعداء الغادرين .

يوم ٢١ من نوفمبر ١٩٥٦ :

افتتحت أقسام البوليس أعمالها اليوم بصرف الاعانات المالية العاجلة لن أدرجوا فى اليوم السابق فورا ، وشكلت لجان أخرى لدرج كل من يتقدم من الاهالى لطلب اعانة مالية عاجلة . ولما وصلت نور سعيد طلائع البوليس الدولى قام الاهالى بمظاهرات كبيرة أيدت السيد الرئيس جمال عبد الناصر . وكانوا يحملون فى أيديهم صور السيد الرئيس بحجم كبير ويلوحون بها أمام قوات الاعداء ، واستمرت المظاهرات تجوب أنحاء المدينة حتى حوالى « سعت ١٦٣٠ » حيث فرقت بمعرفة البوليس المصرى ، وقبيل الغروب دارت دوريات الاعداء بالشوارع وكذلك حلقت فوق المدينة طائراتهم الصغيرة :

يوم ٢٢ من نوفمبر ١٩٥٦ :

وجه جنود الاعداء فى الصباح بناحية العزبه التابعة لقسم ثان المجاورة للقنال الداخلى وأخذوا يفسئون عن الاسلحة والذخيرة — كما وزعت المنشورات المعادية على الاعداء وبخاصة الفرنسيين ببور فؤاد ثم وزعت منشورات للقيام بجنائز صامته علىروح الطفلين اللذين استشهدا فى مظاهرات أمس الذى من أجله أصدرت القوات أمرا بحذر التجمع لأكبر من ١٢ شخصا ، وقد رأى عدم القيام بمثل هذه الجنائزات فى الحاضر .



اهالی نور سمید یزیدون الانتفاقی

يوم ٢٣ من نوفمبر ١٩٥٦ :-

حوالى « سعت ٩٠٠ » . فوجيء جمهور المدينة بجنود الاعداء ودباباتهم ومدافعهم وسياراتهم ، واحتلت جميع الشوارع من امتداد شارع صفية زغلول ، وأخذت مراكزها على نواصي الطرقات ومرت سيارة بمكبرات الصوت تنذع باللغة الانجليزية بأن هذه تجربة ، وعلى الاهالى عدم الانتظار فى الشوارع ، وبعد نصف ساعة انصرفت قوات الاعداء .

وحوالى ظهر اليوم قبض جنود الاعداء على بعض الشبان بحجة انهم أطلقوا رصاصة من طبنجة ، واجتمعت قوات كثيرة منهم فى منطقة شارع التجارة والروضة للبحث عن الاسلحة ، وقد انصرفوا حوالى «سعت ١٦٠٠ » والصقت على الاعمدة منشورات باللغة الانجليزية ضد القوات الانجليزية والفرنسية ، وفى اثناء مرور قوات الاعداء قاموا بتزيقها ونزعها من الاعمدة ، وقد أخذت جميع اقسام البوليس توزع المعونات المالية العاجلة على جميع افراد الشعب سواء المنكوبين منهم أو غيرهم من أصحاب المهن الأخرى التى سدت فى وجوههم سبل الرزق ، وتسلم الاهالى المبالغ وعلى وجوههم البشر والسرور .

يوم ٢٥ من نوفمبر ١٩٥٦ :-

لم تتغير حالة جنود الاعداء من المرور والتجوال فى المدينة من جميع الجهات ، وقد نزل من البواخر البحرية بحارتها وضباطها للتجوال فى المدينة نظرا لأن اليوم الاحد ولم يكن هناك محل أو قهوة مفتوحة لهم ، عقد كانت جميع المحال مغلقة لا تتعامل معهم ولم يفعل ذلك الا بعض الشبان الذين كانوا يبيعون لهم العقود الخرز والشنط الجلد ، ويحتمل أن يكون هؤلاء الشبان من ضمن مبطوية الميناء الذين يبيعون مثل هذه الاصناف للسياح .

يوم ٢٧ من نوفمبر ١٩٥٦ :-

وزعت المقاومة الشعبية منشورات جديدة ضد قوات الاعداء .

ازداد نشاط القوات المعادية فى ترحيل بعض القوات والعائلات المنتمية اليهم على حاملة طائرات « سعت ١٥٠٠ » ، كما ألقت طائراتهم منشورات تطلب فيها مساعدة اهالى بور سعيد لازالة العراقيين من القنال ولم يستجب لهم أحد ، وفى « سعت ١٦٣٠ » مرت سيارتهم بمكبرات الصوت تعلن حظر التجول من « سعت ١٧٠٠ » الى « سعت ٣٥٠ » من

صباح اليوم التالى وعلى الاهالى البقاء فى منازلهم حتى الصباح ، ومن يكن لديه سلاح فعليه نسليمه للقوات الانجليزية .

يوم ٢٨ من نوفمبر ١٩٥٦ :

أنزل الفرنسيون فى بور فؤاد قوات كبيرة بدباباتهم وسياراتهم المصفحة ، كما قامت الجنود الانجليزية بالطواف فى بور سعيد كالعادة ، وحوالى « سعت ٢٨٠ » ألقت طائراتهم فوق المدينة منشورات جديدة ، كما وزعت على الاهالى منشورات المقاومة الشعبية . وعلقت على الجدران ، وقد قتلوا اليوم بعض الاهالى وأصيب كونستابل برصاصهم وهو فى المستشفى بين الحياة والموت .

يوم ٢٩ من نوفمبر ١٩٥٦ :

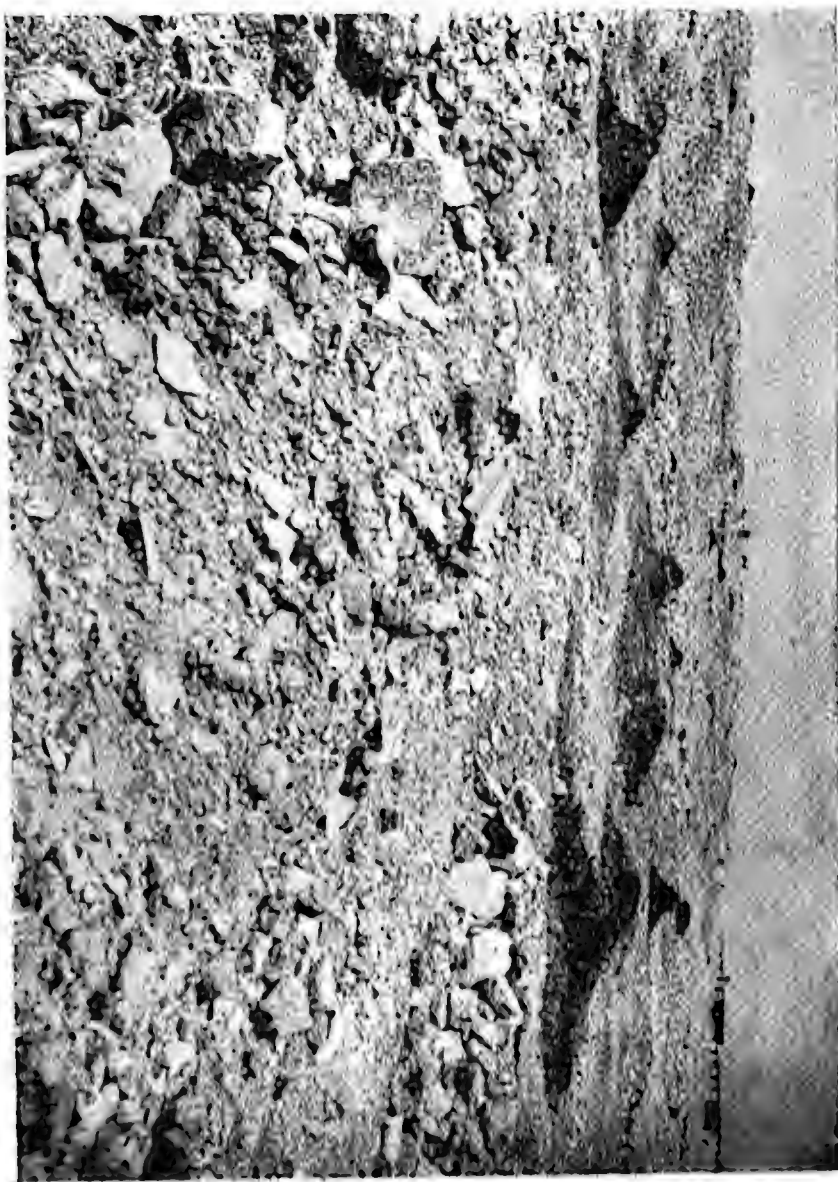
استيقظ أهالى المدينة على صوت سياراتهم التى تجوب المدينة ليلا ونهارا وكذا طائراتهم التى ألقت منشورات جديدة مضمونها كالمشورات السابقة ، كما حدث أنهم قبضوا على شاب يحمل فى يده قنبلة يدوية فى ناحية شارع الروضة وعبد الحى (الحميدى سابقا) وسرعان ما أحاطوا هذا المكان ، وأخذوا فى البحث عن قنابل مثلها والقوا القبض على بعض الشبان ، كما أخلوا المساكن الشعبية التى كانوا يحتلوها خوفا من هجمات الفدائيين عليهم لأنها فى الخلاء وخلفها بحيرة المنزلة كما سارت عرباتهم وبها مكبرات الصوت تزعج على الاهالى انباء صوت بريطانيا وبعض الموسيقى الشرقية .

يوم ٣٠ من نوفمبر ١٩٥٦ :

فوجئت المدينة فى الصباح بطائراتهم الصغيرة تلقى منشورات . وزعت المقاومة الشعبية منشورات ضدها داعية الى التمسك بالوحدة « وعدم التعامل مع الأعداء مهما بلغ بنا الجوع والحرمان بسبب الحصار المضروب على المدينة . والحقيقة أن الوطنية تغلغل فى نفوس الاهالى ، وقد وضعوا نصب أعينهم حصار الفلوجة على أنها المثل الأعلى لنا الآن » .

وما سبق تقديمه من نماذج مقتطفة من التقارير الرسمية التى سجلت صورة الحياة فى بور سعيد بعد انتهاء القتال يتضح مدى قلق العدو وضعف معنوياته الذى زاد يوما بعد يوم نتيجة للموقف الوطنى.

حي الفخ في بور سعيد ازيل عن آخره



العظيم الذى ظهرت به بور سعيد .. وشقت لنفسها به طريقها فى سجل الخلود . وقد حاولت بريطانيا أن تطل أمد ظلها فى بور سعيد بعد انسحاب قواتها فطلبت أن تترك بعض سفنها التى كانت قد أحضرتها ضمن سفن حملها العسكرية من أجل المساهمة فى مطهر قناة السويس من السفن الفارقة فيها ولكن كان موقف مصر فى هذا قويا واضحا بأن تطهير القناة شئ من مسئولية مصر الفنية والإدارية وأنه يمكن لهيئة النظير التابعة لهيئة الأمم المتحدة أن تساهم بالقدر الذى تراه مصر .. وقد قبل السكرير العام لهيئة الأمم المتحدة هذا القرار المصرى .

وبذلك كسبت مصر أيضا هذه الجولة للضيف معنى جديدا لسلسله ارتقائها فى معراج سيادتها وقوميتها .

معركة السويس

كانت ميناء السويس أهم هدف استراتيجى بمنطقة خليج السويس الذى سفرع من تمته القناة التى دارت بسببها الأزمة .. وكان هدف المعتدين الوصول الى الميناء والاستيلاء عليها لفرض سيطرتهم على الملاحة فى البحر الأحمر والقناة ، وبخاصة أن هذا الميناء هو النافذة الرئيسة التى بطل منه مصر على ممدان الملاحة مع الشرق الاقصى وشرق افريقية والجزيرة العربية .

وكانت السويس تعنى أشياء كثيرة نظرا لأهميتها الخاصة فى سوق الاستراتيجية والتى سبقت الإشارة إليها .

• ولهذا كان ضروريا أن تكون السويس قاعده عسكريه ، مسندة لمواجهة أى عدوان عليها من البحر والجو ومن البر عن طريق عبور سيناء أو بانسقاط الهابطين عليها .

فأعدت خطة بأمر القاعده والدفاع عنها ضد جميع احتمالات غزوها أو تهديدها .

وانشركت فى ذلك وحدات من المشاة .

والحرس الوطنى .

والمدفعية المضادة للطائرات .

والمدفعية الساحلية .

والأسلحة المعاونة والادارية .

وبعض الوحدات البحرية وزوارق الطوربيد ، ولعل أهم القطع التي كانت بها وقتئذ سفينة التدريب دهياط التي كانت موجودة بالميناء لأغراض التدريب ، كما كانت هناك السفينة الصغيرة أبو قير .

وكانت المعاونة الجوية التي خصصت للعمل مع هذه القوة تعمل من المطارات القريبة من قناة السويس .

ولقد كان موقف القوات البحرية في السويس في حالة طوارئ مستهجرة منذ اعلان التأميم . . اذ كان عليها القيام بأعمال الدوريات المستمرة على طول الشواطئ لخليج السويس ومداخل خليج العقبة والبحر الأحمر .

وكانت مجموعة زوارق الطوربيد التي خصصت لهذه المنطقة مكونة من مجموعتين كل منها ٣ زوارق .

كما جهزت القاعدة بالعدد اللازم لها من الألغام التي قد يحتاج الامر الى استخدامها لأغراض الدفاع .

وكذلك كانت هناك بعض عناصر خفيفة للحدود وحرس السواحل كان غرضها الوقائية المحلية .

وبالرغم من أن المعركة لم تدر بالمعنى القريب المفهوم كما حدث مثلا في سيناء . . وبور سعيد إلا أن ظروف المعركة الشاملة التي شنتها دول العدوان على مصر وقيام شعبها وجيشها جنبا الى جنب للذود عن سلامة البلاد وصد العدوان كان ذلك مظهرا تكميليا لمظاهر المعركة في باقي القطاعات والمناطق . فقد حاولت البحرية البريطانية والطيران الاسرائيلي والفرنسي والبريطاني تدمير السويس واحتلالها من الجو والبحر ، بل وأرسلت بعض الطوابير والوحدات الى الطريق الجنوبي في سيناء أملا في الزحف الى ضفة القناة أمام السويس ، ولكن باءت كل هذه المحاولات بالفشل بالرغم من شدة الإصرار التي اتصفت به محاولات العدو . . اذ كان اصرار المدافعين أقوى وأعظم .

ولعل أهم ما اتصفت به معركة السويس هو أنه كان لها جانب في البحر وجوانب أخرى في الجو والبر .

أما من الناحية البحرية . . فقد ظهرت سفن العدو الحربية ليلا

٣١/٣٠ من أكتوبر متجهة الى السويس . . وكانت هذه المجموعة مكونة من :

١ — الطراد نيوفوندلند البريطانى

٢ — المدمرة ديانا

وكلتاهما من طراز دارنچ

٣ — مدمرة توأم لها

وكان تسليح الطراد نيوفوندلند كالاتى :

٩ مدافع عيار كل منها ٦ بوصة .

٨ مدافع عيار كل منها ٤ بوصة مضاد للطائرات تعمل بالرادار .

١٢ مدفع عيار كل منها ٤ . ٤ ملليمتر خفيف مضاد للطائرات .

٦ أنابيب لقذف الطوربيد عيار كل منها ١٢ بوصة .

وكانت قوة السفينة من الأفراد ٩٥٠ من الضباط والرتب الأخرى وحمولتها ١١٠٩٠ طن .

وسرعتها ٣١ ونصف عقدة فى الساعة .

وتسليح كل من المدمرتين الأخريين كالاتى :

٦ مدافع عيار ٤ ونصف بوصة .

٦ مدافع عيار ٤ . ٤ ملليمتر بومرز خفيفة مضادة للطائرات .

١٠ أنابيب لقذف الطوربيد عيار كل منها ٢١ بوصة .

مجموعة من قذائف الأعمال .

وكانت سرعة كل منها ٣٤ عقدة فى الساعة

ومجموع الأفراد فى كل منها ٣٠٠ من الضباط والرتب الأخرى وحمولة كل منها ٣٧٠٠ طن .

وحدث بعد رفض مصر للأنذار البريطانى الفرنسى أن أغسارت الطائرات الفرنسية البريطانية على القاهرة والاسكندرية والسويس وبور سعيد .

ونظرا لتأزم الموقف فى جنوب سينا ووصول الانذارات بقرب

وصول السفن البريطانية الحربية التي اشترنا اليها .. رأى استبدال السفينة رشيد التي كانت فى منطقة شرم الشيخ بالسفينة دمياط ، اذ لم يكن فى السفينة الأولى من الوقود ما يكتفيها لأكثر من يومين ..

فصدرت الاوامر لكى تتجه دمياط الى شرم الشيخ .. على أن تقوم رشيد الى السويس بعد وصول الاولى الى شرم الشيخ .. وأن تبقى السفينة أبو قير فى السويس للمساهمة فى الدفاع عنها .

وقد صدر هذا الأمر يوم ٣١ من أكتوبر بعد رفض مصر للأذار البريطانى الفرنسى وبعد بدء الغارات الانجلىلو فرنسية على السويس والقاهرة وبور سعيد والاسكندرية ، وكانت دمياط سفينة شبيهه عزلاء اذ خصصت لأعمال التدريب فقط ، ولكن رأى الامادة منها فى تغيير السفينة رشيد .. نظرا لتعذر استدعاء أى سفن حربية من قواعد بور سعيد أو الاسكندرية فى تلك الظروف التى حتمت الامادة بكل ما يمكن الامادة منه .. وكان تسليح سفينة التدريب دمياط ضعيفا ومقصورا على مدفع واحد عيار ٤ بوصات و ٢ مدفع خفيف مضاد للطائرات عيار ٤ ملليمتر وكانت سرعتها بطيئة جدا اذ لم تزد على ١٠ عقدة فى الساعة .. وكان مجموع أفرادها ١٣ ضابطا ، ١٥٢ من الرتب الأخرى .

وتم اعداد السفينة للنحرك .. واقلعت من ميناء الأدبية قرب السويس فى تمام الساعة ١٦٣٠ يوم ٣١ من أكتوبر ، وكان قائدها الصاغ حسن شاكر ، قد أذكى حماسة جنوده للثأر من ضياع السفينة ابراهيم ، وحدث بعد اقلاع « دمياط » أن تبعته إحدى ناقلات البترول الانجليزية وسارت على خط السير الذى سلكته دمياط حتى وصلت بمحاذاة فنار « أبو الدرك » ، وكان الجو هادئا غر مقمر .. وساد الظلام منطقة خليج السويس .. وبدأت ناقله الزيت البريطانية تزيد من سرعتها لتسبق « دمياط » وربما لكى تتفادى أى نورط أو اشتباك قد يحدث ..

وفى الدقيقة العاشرة تماما بعد الليل ظهرت السفن الثلاث فى هيئة طادور أمام السفينة دمياط على مسافة ٤٠٠ باردة منها ، وأرسل قائد الطراد نيونوندلاند الى « دمياط » يسألها عن جنسيتها واسمها .. وفى اللحظة نفسها تحركت المدمرة ديانا واختها للملاحظة بها من افلاتها .

ولم يكن هناك مجال للتفكير فى الرد أو النصرف السلمى أمام هذه القوة المتفوقة فى كل شيء .. فأصدر قائد دمياط أوامره بممارسة عملياته الانتحارية وأمر بمضاعفة السرعة الى اتصاها « الخطر » وتولى بنفسه ادارة دفة السفينة دمياط ، ووجهها فى سرعة جريئة الى اكبر القطع

الحربية الثلاث وهى الطراد نيوفوندلند .. الذى كان قد سلط انواره الكاشفة على دمياط .. ليستطلع حركاتها ونواياها ..

وفى لمح البصر أصدر حسين شاكراً قائداً دمياط لطاقم مدمنه الوحيد امراً باطلاق قذائفه على نيوفوندلند وانطلقت قذيفتان أصابتا الطراد البريطانى مباشرة .. وبدأت السفن الثلاث تطلق كل مدافعها على دمياط وتعطل مدفعها الوحيد بسبب اصابة مباشرة قضت على أفراد الطاقم ، ونشب حريق على ظهر السفينة فلم يكن ممكناً توجيه أى نيران منها الا من المدفع الخفيف ٤٠ ملميمتر .. وأطلق مجموعة من قذائفه استقرت فى قاعة السينما بالطراد البريطانى ، وقتل بسبب ذلك ٣ وأصيب ١٣ من رجاله .

واشتدت سرعة ضرب مدافع الطراد والمدمرتين على دمياط التى كانت تقترب من نيوفوندلند بقصد الاصطدام به واغراقه ، ولكن شاء حظها أن تصاب فى أكثر من مكان باصابات مباشرة من قذائف السفن الثلاث ، وبدأت تغوص فى الماء ، واستمر قائدها حسين شاكراً ممسكاً بعملية القيادة الى آخر لحظة ، وبعد أن تيقن انزال كل رجاله ، اتجه وراءهم غير أنه سمع فى آخر لحظه ، أننا خافتا صدر متقطعاً من موقع المدفع المحطم .. فارتد على أعقاب لينفذ صاحب الاتين الا أنه .. ذهب ليلقى ربه شهيداً مرفوع الرأس ، وغاص بسفينته الى قاع خليج السويس . وم غرق السفينة بعد خمس وعشرين دقيقة من بدء اشتباكها مع السفن البريطانية الثلاث وكانت خسائرنا فى هذه المعركة .

٦ ضباط

٥. صفا وعسكريا

وكانت هذه المعركة مثالا باهرا اثناد به قواد السفن البريطانية الثلاث .. وقد كرموا قائداً دمياط ورجاله بالذكرى العاطرة فى تقاريرهم التى جاء فيها :

« أما أن قائداً دمياط كان بطلا خارقاً فى شجاعته أو أنه كان مجنوناً فى وطنيته لما أقدم عليه من مثل هذا العمل الذى يندر أن تشهده معارك البحر » .

واتصفت هذه المعركة بكل ما يشرف كل من انتسب اليها من التضحية الكبيرة .. وسمو الروح المعنوية الى أعلى مراتبها وحسن التصرف والمبادأة التى قام بها قائداً السفينة بعزمه على اتخاذ خطة الهجوم

واصدار قراره السريع الحاسم فى الاتجاه بسفينته العزلاء بقصد تحطيم الطراد البريطانى الذى كان يواجهه مقابل ان تحطم السفينة دمياط ومن عليها . . اذ لم يكن لديه من المدافع أو الاسلحة ما يستطيع به مقابلة تفوق العدو فى كل شيء بتلك المعركة .

وكان ثبات الأفراد فى أماكنهم وقيام كل منهم بواجبه حتى آخر لحظة مثالا للضبط والربط والسيطرة وحسن القيادة والتجاوب القلبي والعاطفى بين القائد وجنوده وتفانيهم جميعا فى أداء واجبهم المشترك وترحيبهم بمواجهة الموت بالرضا الكامل .

كما أظهرت هذه المعركة أيضا مدى الروابط والمحبة بين الجميع التى تجتمع عليها تقاليدنا فى القتال .

وقد استطاعت سفن العدو التقاط بعض الرجال الذين نجوا من الفرق مع الباقية . . على حين سبى آخرون منهم الى الشاطئ المصرى واستمروا فى سباحتهم تحت هذه الظروف لأكثر من عشرين ساعة مجازفين بحياتهم سواء أمام احتمال الاعياء والغرق بعد مجهود المعركة ، أو أمام احتمال اقتراسهم بوحوش البحر التى تكثر عادة فى هذه المنطقة من البحر الأحمر . . وكان معظم الذين انتشلتهم السفن الثلاث من الجرحى هم هؤلاء الذين عجزوا عن استمرار السباحة الى الشاطئ ، وحاولت هذه السفن انزالهم فى ميناء بور سودان فيما بعد ذلك بقصد علاجهم ، وفعلنا اتخذت الترتيبات اللازمة لذلك ، غير أن القيادة البريطانية رأت فى آخر لحظة ارسالهم الى عدن خوفا من اثاره الرأى العام السودانى اذا علم بتفاصيل المعركة .

واتجهت السفن بعد انتهاء وقف القتال الى عدن لاجراء اصلاحات اللازمة فى الطراد نيوفوندلند ولانزال الجرحى وعلاجهم كأمرى حرب .

وحاولت السفن الحربية الثلاث بعد أن انضمت اليها بعض ناقلات الجنود وسفن التموين القيام بعملية انزال قوات الى البر جنوب السويس بعد أن مهدت لذلك القوات الجوية المعادية بغارات مركزة على المدينة . . غير أن العمل الذى قامت به قيادة القاعدة البحرية بالسويس من حيث اذاعة بث اللغام فى الميناء حالت دون اتمام عملية الغزو . . وفى الحقيقة لم يكن قد تم الغم الميناء . . ولكن رأى اصدار هذا الانذار الذى وجه للسفن عامة . . بقصد التضليل والخداع .

واستمرت دوريات زوارق الطوربيد فى عمليات الحراسة والمراقبة

واستطاعت اصابة ٣ سفن من ناقلات الجنود وسفینتین من سفن
التموين . . وبذلك بدت قاعدة السويس منيعة ، وخاصة بعد أن أسقطت
٥ طائرات فى يوم واحد نيران المدفعية المضادة للطائرات .

وقد ساعدت عملية انشاء المواقع التبادلية للمدفعية بصفة خاصة
على تضليل العدو، وخداعه وتحريك المدافع بين مواقعها الأصلية وهذه
المواقع التبادلية .

كما أنشئت « مبايت » مستورة جديدة لزوارق الطوربيد ، وكانت
هذه « المبايت » بمثابة المواقع التبادلية لهذه اللنشآت . . وأمدت هذه
العملية فى مفاجأة سفن العدو بانقضاض زوارق الطوربيد ، عليها
واصابتها باصابات مباشرة قضت عليها فى الحال .

وقد رأت الامادة من هذه المبايت وكذلك المواقع التبادلية للمدفعية
من أجل خداع العدو الذى كان يعلم سلفا مواقع البطاريات بالمنطقة
وخاصة بميناء الادبية التى كانت قاعدة للبحرية البريطانية قبل جلاء
الانجليز من القنال نهائيا .

واستمر نشاط هذه الوحدات بصورة هجومية متقطعة فى منطقة
خليج السويس حتى يوم ٣ نوفمبر عند ما صمم العدو على القيام بهجوم
بحرى كبير بقصد انزال قواته الى البر بعد أن عجز عن تحقيق نصر قريب
فى بور سعيد ، وبعد أن قررت قيادته العليا ضرورة احتلال المراكز
الرئيسية على طول امتداد القناة تلبية للاحاح ايدن وموليه لمواجهة
ثورة الراى العام فى بريطانيا وفرنسا ، اذ أراد كل منهما تحقيق نصر
سريع على أساس فرض الأمر الواقع على العالم بأن قواتهما قد احتلت
معلا كل القناة من بور سعيد الى السويس ، ولهذا حدد يوم ٣ نوفمبر
لانزال قوات العدوان فى السويس ليكون ذلك مقدمة للزحف السريع
للقاهرة لاسقاط « جمال عبد الناصر » .

ولكن لم يتمكن العدو من اكتشاف مواقع المدفعية الساحلية الحقيقية
ولا أوكر زوارق الطوربيد فاستطاعت بذلك قواتنا اغراق سفینتین واصابة
ثلاثة ، ولذت السفن الباقية بالفرار ، ولم تحاول العودة مرة أخرى .

وصدر البلاغ الحربى الرسمى رقم ١٧ فى الساعة ١٨.١٠ مساء
السبت ٣ نوفمبر .

بلاغ رقم (١٧) صادر « سعت ١٨١٠ » يوم ٣/١١/١٩٥٦

حاولت القوات البحرية البريطانية والفرنسية فى صباح اليوم الاقتراب من ميناء السويس فأطلقت عليها مدفعية السواحل المصرية نيرانها فورا فأغرقت قطعة بحرية بريطانية . وفى الحال انسحبت القوات البحرية البريطانية والفرنسية الى الجنوب بعيدة عن الشواطئ المصرية . واستمرت مدفعية السواحل المصرية فى اطلاق النيران عليها ، وفام الاسطول المصرى فى مطاردة أسطول العدو حتى فنار ابو الدرك وضره فى أثناء انسحابه ، وكانت نتيجة هذه العملية البحرية أن تكبد العدو الخسائر الآتية :

- ١ - غرق قطعة بحرية بريطانية .
- ٢ - اصابة قطعة بحرية أخرى .
- ٣ - اغراق حاملة جنود بريطانية .

كما أغرقت المدفعية الساحلية مدمرة بريطانية .

وكان هذا البلاغ آخر ما تضمن نشاط العدو فى خليج السويس من عمليات الى أن انسحب المعتدون .

وفى تلك الفترة كانت العصابات الاسرائيلية قد وصلت الى منطقة البترول فى سدر ومطامر الشاطئ الشرقى لخليج السويس وذلك بعد اتمام الانسحاب العام لقواتنا من سيناء . وبدأت القوات الاسرائيلية فى عمليات نهب المعدات البترولية . وفى سلب المخطوطات التاريخية من دير سانت كاترين ، ومعدات واثاث محجر الطور التى كانت مهباه لاستقبال الحجاج فى فترة الحجر الصحى بمواسم الحج .

وهكذا انتهت معركة خليج السويس باستنهاد دمياط وقائدها .

وباغراق سفن الغزو البريطانية وبإغلاق مدخل القناة وبوقف الملاحة بسبب عدوان العدو وغاراته ، وبنشيط القرصنة والسلب من جانب القوات الاسرائيلية قبل انسحابها الى اسرائيل .

ولم تفلح تجمعات العدو فى منطقة جزيره سدوان وميناء الطور وأبو زيمة التى احتلها بعد انسحاب قواتنا منها فى التحرك من معقلها بعد هذه المعركة ، بالرغم من تواجد سفن التموين والبترول والصيانه مع الاسفن الحربية والقوات البرية والمشاة البحرية التى كانت معدة لغزو السويس .

ومع ذلك استمرت عمليات استطلاع العدو لمنطقة السويس والأدبية طول الأيام الثلاثة ٤ و ٥ و ٦ نوفمبر على أمل الحصول على معلومات قد تشجعه على ممارسة عملية الغزو أو الانزال التي كان يترقبها .

وقابل ذلك من جانبنا بث الألغام والعوائق فى خليج السويس لمنع اقتراب السفن المعادية التى تجمعت فعلا وكانت على استعداد كامل للانقضاض فورا اذا سمحت لها الفرصة على أية منطقة تصلح لانزال قواتها قرب السويس .

وتحركات زوارق الطوربيد ليلا من أماكنها الى أماكن تبادلية جديدة وبذلك زادت مناعة الدفاع عن السويس . . وظلت فى أمان كامل حتى نهاية المعركة باستثناء تعرضها الى الغارات الجوية التى تصدت لها المدفعية المضادة للطائرات ، وقد لوحظ عدم محاولة العدو فى ازالة أو كسح الألغام التى بثتها قوارنا بمياه خليج السويس بسبب عدم توافر الكاسحات للألغام ضمن قطعه البحرية . . ويبدو أن سبب عدم وجود أية كاسحات ألغام معه يرجع الى عدم توقعه قيام قواتنا بهذا العمل . . فكان عملها هذا خير وأقوى مفاجأة له ، وحققت لنا سلامة السويس وكسب معركتها .

الفصل الخامس

معركة البرلس والاسكندرية

بعد أن أعلنت بريطانيا وفرنسا انذارهما لمصر أصبحت مسئولية القوات المصرية أضخم وأعظم ، اذ كان عليها أن تواجه بإمكاناتها المحدودة لسببها امبراطوريتين تتفوق قواتهما في البر والبحر والجو والخبرة والموارد .. وكان عنصر المفاجأة في جانب العدو لمرأ زاد من حرج الموقف وخطورته .

ولكن كان لابد من مواجهة الامر الواقع والتصرف في حدود تلك الامكانيات الى آخر طلقة وآخر رجل من أجل منع العدو من تحقيق غايته وهي احتلال مصر من جديد وفرض سيطرته عليها .

وكان عبء القوات البحرية كبيرا ، وخاصة أن العدو كان قد حشد فعلا أسطولا في قبرص ومالطة وفيما بينهما منذ اعلان تأميم القناة كما كانت قواه الجوية متفوقة وتشدد أزر أساطيله بالدفاع عنها أو بالانطلاق منها للهجوم .. وكان الاجراء الطبيعي الذي اتخذ لمواجهة هذا الموقف هو استمرار النشاط لمراقبة وتأمين الشواطئ المصرية . وتطلب هذا الأمر قيام القاطع البحرية الخفيفة من زوارق الطوربيد بأعمال الدوريات على امتداد الشاطئ وعلى الأخص فيما بين بور سعيد وغرب الاسكندرية .

وفي يوم ٣ نوفمبر كانت مجموعة من هذه الزوارق في طريقها للمعادي للاكتشاف بعد أن وصلت انباء أفادت بأن قوة بحرية للعدو تقترب من المياه المصرية مكونة من :



مركبة البرلس أصبحت فيها الطراده الفرنسية جان بارت من طوربيدات زوارق الطوربيد

٤ حاملات للطائرات .

عدد كبير من الطرادات والمدمرات البريطانية

٢ « بارجة فرنسية »

٣ ناقلات للجنود .

وقد وردت أنباء بتحريك هذه القوة من قبرص ومالطة .

ولذلك أصبح متوقعا قيام العدو بعمليات كثيرة تتناسب مع طبيعة وحجم ونوع هذه الوحدات المختلطة من أساطيله .

فصدرت الأوامر لمجموعة زوارق الطوربيد بالقيام بدورية اكتشاف بين بور سعيد والميناء الشرقى بالاسكندرية والاشتباك مع سفن العدو الحربية . . والمفروض فى عرف وطبيعة عمل زوارق الطوربيد أنها تمارس غاراتها ليلا فى الظلام . . لكى تحقق نتائجها بصورة مثمرة .

وفى ليلة ٣ و ٤ نوفمبر بدأ سرب الدوريات من زوارق الطوربيد المصرية يفتش عن صيده .

وفى صباح اليوم التالى ظهرت سفن العدو أمام البرلس ، ولم يكن هناك مجال للتردد فى الاشتباك مع هذه السفن نهارا ، وقرر قائد الزوارق الصاع جلال الدسوقي الاشتباك فورا ، وأطلقت زوارقنا قذائفها من الطوربيد فأصابت إحدى النوارح الفرنسية ومدمرة بريطانية .

وعادت الزوارق تدور حول هذه السفن لتواصل الاغارة عليها حتى انتهت حمولتها من الطوربيد ، ولكنها تعرضت فى هذه الاثناء لغارات الطائرات النفائى التى لاحقتها بالمطاردة حتى قضت عليها كلها ، وانتهت هذه المعركة البحرية بتلك الصورة الرائعة من الجراة والبطولة ، وضربت البحرية المصرية مثلا جديدا فى أسلوب القتال والاشتباك بزوارق الطوربيد نهارا . . ولقد كانت غارات الطائرات المعادية على زوارقنا هى التى قضت عليها .

ولم يكن ميسورا ندر أبه وقايه او مساعدة جوية فى ذلك الوقت نظرا لعدة اعتبارات فنية وزمنية .

اذ كانت فرصة ظهور سفن العدو كصيد « دسم » مفاجأة استحققت للمغامرة فورا دون انتظار طلب المعونة الجوية .

كما كان موقت، الطيران المصري في ذلك اليوم دقيقا بعد ان توزعت الطائرات على مطارات الأقصر وحلوان. والواحات وبعض المطارات السرية البعيدة .. وكان المقصود من هذا التوزيع تأمين هذه الطائرات في مرابطها الجديدة بعد ان دمر العدو المطارات الكبيرة وأصبحت غير صالحة لايواء أو لاستخدام الطائرات التي بقيت سليمة ، والتي رُئي في بعض الحالات أن تظل مختفية على الطريق السريع الذي كان تحت الانشاء بين القاهرة والاسكندرية نظرا لصلابة أرضه وحسن تعبيدها مما جعلها صالحة كحمرات المطارات ، ان لم تكن قد فُتقتها في بعض الحالات ، وخصوصا لتوافر عوامل الاخفاء والتمويه على هذه الطرق لوجود الاشجار والمزروعات على جانبها .

ولكن نجاة بعض جنود هذه الزوارق كانت مصدرا للمعلومات التي جمعت عن تفاصيل المعركة والتي تأكد فيها اصابة بارجة فرنسية ومدمرة بريطانية .. ولم يثبت اسم البارجة الفرنسية التي أصيبت ، اذ يوجد لدى فرنسا من هذا الطراز سفينتان توأمين هما :

« جان بارت » ، « ريشيليو » .

وقد حاولت فرنسا أن تنفي غرق البارجة المصابة بأن نشرت صورة للبارجة جان بارت وهي راسية في ميناء طولون بعد انتهاء العمليات الحربية في البحر الأبيض المتوسط .. ولكن فاتها أيضا أن تنشر صورة ريشيليو أو حتى تشير اليها .

وكان سبب اهتمام فرنسا بنشر أنباء جان بارت بعد العدوان هو أن المفهوم أن هذه البارجة كانت ضمن قوة الأسطول الفرنسي قبل العدوان في قبرص ، ولهذا أذيع اسمها عند اصابته .

أما المدمرة البريطانية فقد ثبت غرقها نتيجة لما أصابها من العطب بسبب هذه الغارة الانتحارية .. وغرقت وهي في طريقها الى طبرق .

وقد نذرت الأهواج بعد ذلك بأيام بجثث بعض القتلى والأعلام البريطانية الصغيرة ، وكانت بعض الجثث مربوطة بقنابل عيار ١٤ بوصة ، وهي بن طراز القنابل التي تستخدمها مدفعية المدمرات البريطانية .

وانتهت معركة البرليس في دقائق بعد أن حققت لنا مجدا كبيرا في تاريخ الجهاد والشرف ، وصدرت عنها في حينها نشرة أنباء للمراسل الحربي لوكالة أنباء الشرق الأوسط جاء فيها : —

« وثامت قواتنا البحرية بعمل من أعمال البطولة النادرة سيكلمه التاريخ وسيخلد معه كفاح رجال القوات البحرية المصرية من أجل المحافظة على سلامة بلادنا وحريتنا . »

فقد حدث أن اقتربت طرادات فرنسية حمولتها ٧ آلاف طن ويتكون طاقمها من ٦٠٠ فرد ، وكانت تحمل بعض الوحدات من المفدائيين البحريين واقتربت من الشاطئ المصري عند بحيرة « البرلس » بالبحر الأبيض وعلى مسافة ١٢ ميلا من الساحل اشتبكت وحدتنا البحرية بالطرادة في تمام الساعة الثامنة والنصف صباحا تقدمت وحدات خفيفة من البحرية المصرية واشتبكت مع الطرادة الفرنسية في عملية انتحارية ، وانحصرت فيها قواتنا البحرية ، وأصاب الطرادة الفرنسية أصابة ماثرة واشتعلت فيها النيران على الفور وظلت مشتعلة حتى تم أغرقها في الساعة الثانية عشرة ظهر اليوم . »

وان العمل الذي قامت به البحرية المصرية اليوم عمل يستحق الفخر من جانب كل مصري .

معركة الاسكندرية

يمكن اعتبار بدء معركة الاسكندرية من الساعة ١٨٣٠ من مساء يوم ٢٦ يولييه عندما بدأ خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فيها والذي أعلن فيها قراره التاريخي بتأميم شركة القناة . . فانتقلت بذلك الاسكندرية فجأة بشعبها وقواتها المسلحة الى حالة الطوارئ والاستعداد للقتال ، اذ تركزت عليها أضواء العالم قبل أن تنعكس منها على صفحة قناة السويس ، وبدأت قيادة القوات البحرية والقيادة الشمالية في اتخاذ جميع التدابير اللازمة لتأمين قاعدتنا الكبرى على البحر الأبيض . . ولتنسيق كل الخطط الدفاعية لسلامتها من البر والبحر والجو . . وخاصة بعد أن افادت الأنباء بسرعة عمليات الحشد والتجمع التي نشطت فجأة في ليبيا وفي مالطة وفي قبرص وفي طولون . . . ووهران بالجزائر . .

وكانت كل الدلائل الأولى تشير الى الاسكندرية لتكون هي الموطئ الأول للعدوان بقصد سد منفذنا الرئيسي على البحر الأبيض الذي يتنفس منه اقتصادنا القومي ، وبقصد سرعة الوصول برا الى القاهرة .

وقد اشرنا في الصفحات الاولى من هذا الكتاب الى التدابير التي

اتخذتها القيادة العامة للقوات المسلحة من أجل تقدير الموقف العلم على ضوء المعلومات التي كانت تتجمع أولا بأول من المصادر المختلفة .

وكان معلوما للعدو كل البيانات الخاصة بمواقفنا الدفاعية الساحلية وخاصة بطاريات المدفعية التي كانت قد أقيمت قبل وفي أثناء الحرب العالمية الثانية ، وعرف الإنجليز كل المعلومات عنها ، وكان لابد من أجل تأمين سلامة هذه البطاريات أن تنشأ بطاريات هيكليّة أخرى على طول الساحل إمعانا في تضليل العدو .. وقسمت منطقة الاسكندرية الى قطاعات دفاعية .. وأعطيت السفن الحربية واجبات دفاعية بالتعاون مع المدفعية الساحلية والمدفعية المضادة للطائرات ،، ووضعت الخطة لحماية البناء من أخطار تسلي الضفادع البشرية وكذا الهايبتين بالمظلات .. علاوة على مراقبة وتأمين المناطق التي كان يمكن أن تكون ميدانا لانزال القوات من البحر .. شرق وغرب الاسكندرية .

وبجانب كل هذه الخطط الوقائية والدفاعية وضعت خطة خاصة بأعمال وواجبات المهندسين العسكريين لنفس وتدمير المرافق التي تقرر عدم وقوعها في أيدي العدو بآية حال من الأحوال .

كما وضعت خطة خاصة بأعمال رجال البوليس من حيث أعمال الأمن الداخلي المحلي .. من أجل سلامة الجبهة الداخلية ، وخصوصا ان الاسكندرية كانت مركزا تجاريا رئيسيا اتسعت رحابته لكثير من العاملين في الحقل الاقتصادي بما فيهم الاجانب سواء من رعايا بريطانية أو فرنسا أو من رعايا بعض الدول الموالية لهما .. وكان ضروريا وضع خطة خاصة بواجبات البوليس حفظا للأمن والسيطرة على المدينة بما يكفل لها التجاوب الكامل مع مطالب الخطط الأخرى اذا وقع العدوان .. بآية صورة .

ومن أجل ذلك .. وضعت خطة خاصة بالمقاومة الشعبية .. ليشترك فيها الشعب عمليا في القيام بواجباته سواء في التعاون مع البوليس أو الحرس الوطني أو الدفاع المدني أو غير ذلك ..

وبدء فعلا في حفر الخنادق غرب الاسكندرية على جانبي الطريق القادم من ليبيا الى القاهرة .. وبدأت عمليات الاستطلاع الأرضي والجوى .. وهكذا كان يوم ٢٦ يولييه سنة ١٩٥٦ بدء المعركة عمليا في الاسكندرية بصفة خاصة .. وسرت موجة النشاط في غرف العمليات البحرية والجوية .. وضوئف الاهتمام بالتدريب في كل القطاعات .. وعلى الأخص بالسفن البحرية الجديدة والتي قدر لها الاشتراك الفعلي

فى القتال فى المعركة قبل أن يستكمل أفرادها تدريبهم ، وبالرغم من ذلك حققوا فوزا كبيرا سجله قائد السفن الأمريكية التى شهدت المعركة وهى فى انتظار نقل الرعايا الأمريكين .

ونظم الدفاع عن الاسكندرية على ضوء الامكانيات الموجودة بها . .
وعلى أساس منع العدو من الاستيلاء عليها بأى ثمن .

ولذلك كان تنظيم القوات المدافعة عنها متصفا بالرونة المطلقة تقابلا لمواجهة كل الاحتمالات المفاجئة . . وقابلا لتحقيق التعاون الكامل بين كل القوى البحرية والجوية والبرية بما فى ذلك قوات البوليس وخفر السواحل والحرس الوطنى والفدائيين وقوات المقاومة الشعبية . .

وكانت احتمالات نشاط العدو اما أن تكون على صورة : —

(١) غارات جوية من حاملات الطائرات أو من قبرص .

أو (٢) غارات بحرية .

أو (٣) غارات تخريبية من الفدائيين والضفادع البشرية .

أو (٤) بالغزو بانزال قوات من البحر وبالهياطين ، كما كان محتملا أن يمارس العدو كل هذه الصور العدوانية أو بعضها ، وخاصة أنه كان يتفوق فى كثير من النواحي والاعتبارات الآتية :

السيطرة الجوية .

والسيطرة البحرية .

والثفوق فى القوات البرية .

كما كانت لديه ميزة الاستعداد المبكر والموارد الضخمة فى المعدات والعتاد والتمويه ووسائل النقل والاسعاف .

علاوة على مالمديه من معلومات سابقة عن قواعدنا ومطاراتنا وموانينا وأهدافنا الحيوية . ومظاهر النقص والضعف فى مرافقنا ومراكزنا الدفاعية إذ أن الجلاء البريطانى لم يتم عن مصر الا قبل تأميم القناة بأربعين يوما فقط .

وفى الوقت نفسه كانت أماننا مسئوليات ضخمة إذ كان علينا أن نواصل تدريبنا على الأسلحة التى وصلت إلينا قبل التأميم بأسابيع قليلة .

.. وأن نمارس نشاطنا في مختلف الميادين بالرغم من اعلان الطوارئ صباح يوم التأميم ، ومعلوم أن العمل في اطار الطوارئ انما يؤثر كثيرا على طاقة وكفاية وصبر الافراد .. علاوة على تأثيره على صلاحية وكفاية المعدات والاسلحة .. وهذا كله كان يؤثر مباشرة على نتيجة المعركة .

وكان علينا أيضا مضاعفة يخطتنا لحراسة شواطئنا وأجوائنا وأرضنا ومرافقنا ومصانعنا وأسرارنا .
وهكذا بدت معالم معركة الاسكندرية قبل أن تنطلق فيها رصاصة واحدة .

ولكن كانت الرصاصة الاولى التي سمعتها الاسكندرية من أحد رجال الحرس الوطني الذين أخذتهم الحماسة للقتال عندما سمع صفارات الانذار تنبئ بغارة جوية .. فاطلق رصاصة تنفيسا عما يختلج بنفسه رغبة في الاشتباك مع العدو حتى لو كان في طائرة لا يراها ولن يصل اليها .

وعندما بدأ القتال في ٢٩ أكتوبر في سيناء . دخلت معركة الاسكندرية مرحلتها الثانية .. اذا اعتبرنا أن المدة من ٢٦ يوليه الى تلك اللحظة كانت بمثابة المرحلة الاولى .

ولم يحدث أى اشتباك جدى خلال المرحلة الثانية بالاسكندرية سوى بين الدفعية المضادة للطائرات وبعض الطائرات التي حامت فوق المدينة للاستطلاع .

ولكن كانت المرحلة الثالثة هي أخطر المراحل كلها وخصوصا بعد أن حملت الأنباء زيادة نشاط القوات البريطانية في ليبيا وزيادة كثافة السفن الحربية التي كانت تتجمع على مسافات غير بعيدة من حافة مياهنا الإقليمية — وقد حملت تقادير الاستطلاع الجوى وجود حاملات الطائرات شتى طريقها الى الاسكندرية قبل تقديم الانذار البريطانى الرئيسى لمصر . والذي أوضح كثيرا من معالم المعركة القادمة بأنها ستكون مع دولتين كانتا في يوم ما أكبر قوتين حرييتين في العالم .

ولذلك صدرت الاوامر بعد اعلان الانذار .. بتعديل بعض الواجبات التي كانت معطاة للسفن الحربية .

فقد سبق أن صدرت الاوامر « سعت ٢٠٠ » ليلة ٣٠/٣١ أكتوبر للمدمرة طارق (التي كانت تعمل في قاعدة بور سعيد) بأن تقوم بأعمال

الحراسة على طول امتداد الشاطئ بين بور سعيد والعريش منعا لانزال أية قوات اسرائيلية على الشاطئ وخاصة شرق البردويل وذلك بعد أن فشلت محاولات الجيش الاسرائيلي في التقدم في سيناء وعلى الأخص في منطقة أم قطف وعجيلة .. اذ كان يخشى أن تقوم اسرائيل بانزال قوات لها من البحر لقطع المواصلات بين العريش والاسماعيلية مما قد يخرج موقف قواتنا في سيناء ومن ثم تخف مقاومتها للقوات الاسرائيلية الفارقة في رمال وادي القسيمة وأمام أسلاك مواقع أبو عجيلة .

وكان المفروض أن تقوم السفينة الحربية طارق بمهمة الحراسة للشاطئ ومعها بعض زوارق الطوربيد من بور سعيد .. وبدأت السفينة تستعد لمهمتها ، إلا أن تعديل الخطة قد صدر إليها نتيجة لاذاعة الإنذار الفرنسي البريطاني وأصبحت الخطة الجديدة كالآتي :

✱ تعود السفينة الحربية طارق الى اتجاه الاسكندرية .

✱ وتتجه زوارق الطوربيد الى الاتجاه نفسه .

وعادت السفينة طارق في الاتجاه الجديد في حين عادت زوارق الطوربيد الى بور سعيد « سعت ٤٠٠ » فجر يوم ١٠/٣١ للتموين بالوقود حتى لا تضطر الى إعادة ملء خزائنها بالوقود في نهار اليوم التالي .

وفي الساعة ١٧ر٣٠ يوم ١٠/٣١ وصلت السفينة طارق للاسكندرية في حين ظلت زوارق الطوربيد في بور سعيد حتى « سعت ٢٢٠٠ » وخرجت منها قاصدة الاسكندرية ووصلتها « سعت ٦٣٠ » وكان مأواها في الميناء الشرقي .

وفي اليوم نفسه كانت السفينتان الناصر والظافر تقومان بالتدريب خارج مياه الاسكندرية ، وكانتا في طريقهما الى الميناء بعد أن أذيع نبأ - الإنذار البريطاني الفرنسي .. ورفض مصر له .

وتصادف أن شاهدت المدمرتان المصريتان بعض السفن الامريكية في طريقها الى الميناء في الوقت الذي كانت بعض طائرات الاسطول البريطاني الاستطلاعية تحوم حول السفن على ارتفاعات عالية .. واتضح أن هذه السفن الامريكية قد وصلت من أجل ترحيل رعايا الولايات المتحدة من مصر .

ودخلت السفن الأمريكية ميناء الاسكندرية يوم ٣١ أكتوبر فى حين ظلت « الناصر » والظافر خارج الميناء كاحتياطى قريب من لمواجهة أى طارئ علاوة على واجبهما الأعمال الحراسه للميناء والشاطئ وحول اطراف الاسكندرية .

وفى باكورة يوم أول نوفمبر « سعت ٦٥٠ » بدأت الغارات الجوية على السفن المصرية وكانت « طارق » فى طريقها الى خارج الميناء لاستئناف واجبها فى اتجاه رشيد على حين سارت « الناصر » والظافر وراء « طارق » فى خط متعرج لتفادى اصابات الطائرات لهما .

واستمرت اطقم المدفعية المضادة للطائرات بالسفينتين يواصلن اطلاق قذائنها بسرعة فائقة وكانت هذه أول مرة الأطقم السفينة « الناصر » فى اطلاق مدافعهم التى كانوا لا يزالون يواصلون تدريبهم عليها حتى اليوم السابق لهذه العملية . . دون أن يطلقوا منها قذيفة واحدة قبل ذلك .

وكانت الغارة الموجهة الى السفن الثلاث مركزه وعنفه جدا وبعيدة عن مدى الاشتباك بالمدفعية المضادة للطائرات الموجودة على الشاطئ مما أدى الى اتصال غرفة العمليات الجوية بغرفة العمليات البحرية لكى تطلب من السفينتين الانحراب من الشاطئ لجذب الطائرات الى داخل مرمى الاسلحة المضادة للطائرات الموزعة على امتداد شاطئ الاسكندرية . .

وتمت هذه العملية بدقة وهدوء ، وأصبحت الطائرات المغيرة فجأة فى منطقة الاصابة بنيران المدفعية الثقيلة المضادة للطائرات التى قذفت حممها على الطائرات مما أدى الى هروبها فجاء ومرة واحدة من جو المعركة .

وظلت أشباح الطائرات المغيرة واضحة على لوحات الرادار بل كشفت تلك اللوحات من موجات جديدة من طائرات اضافية انضمت الى الأسراب الأولى ، وواصلت جموعها غاراتها من جديد على السفن المصرية التى استمرت فى دفاعها ، وفجأة أطلقت سحابة كثيفة من الدخان من المولدات الجانبية والمدخن فحجبت السفن عن الطائرات وعادت الى قواعدها تاركة طائرات تهوى محترقة فى البحر أمام رجال السفن من مختلف الجنسيات الذين كانوا يراقبون هذه المعركة من أبراج سفنهم بالبناء اذ كانت المعركة لا تبعد عن الشاطئ أكثر من ثلاثة أميال . . فاستطاعت كل السفن الراسية فى الميناء مشاهدة وتتبع اطوار تلك

المعركة التي شهد لها قائد السفينة الامريكية التي كانت في انتظار تحميلها بالرعايا الامريكيين بناء على نصيحة حكومتهم ، وقد سجل هذا القائد الامريكي بخط يده شهادة تشرف رجال البحرية المصرية والمدفعية المضادة للطائرات وكانت مناسبة تسجيله لهذه الشهادة أنه أراد أن يعبر عن شعوره الشخصي بما شاهده وأن يكتب بخط يده معنى هذا الشعور الذي لن ينساه ..

واتجهت السفن الى قاعدتها داخل الميناء ، وبعد قليل اذاعت قيادة قبرص وتل أبيب نبأ غرق السفن المصرية في الوقت الذي كانت هذه السفن تشق طريقها داخل الميناء بين تهليل بحارة السفن المختلفة ودوى صفاراتها للتحية والاعجاب .. وكانت هذه الفرصة وحدها دليلا حيا كائبا على مدى المفالات والكذب في انباء الدول المعتدية ، وربما ظن الطيارون أن سحب الدخان التي رأوها فوق السفن علامة لانفجار حدث فيها مما هيا لهم احتمال غرقها .. فاذاعوا النبا الخاطيء ...

وانتهت هذه المعركة « سعت ١٠.٢٢ » .

وظلت الاسكندرية هدفا للغارات الجوية المركزة التي استمرت الى وقت ايقاف اطلاق النيران .

وحدث في يوم الثلاثاء ٦ نوفمبر أن زار القنصل العام الامريكي بالاسكندرية (وهو المستر دوش بيرن) محافظ المدينة ليطلب السماح بسفر ١٥٠ من رعايا الولايات المتحدة يوم الجمعة أو السبت التاليين عن طريق الصحراء الغربية الى ليبيا على أن يبحروا منها الى أمريكا . وكان هؤلاء غير الذين سبق أن تقرر ابحارهم رأسا من ميناء الاسكندرية .

وبعد انتهاء وقف اطلاق النيران استمرت حالة الطوارئ قائمة كمظهر احتياطي للسلامة وخاصة بعد أن ظهرت كل صور الغدر من جانب المعتدين الامر الذي أدى الى استكمال وتحسين الدفاعات وزيادة كفاءتها .. مع المضي في برامج التدريب وفقا لما وضعت أجهزة التدريب على ضوء التجارب والدروس المستفادة من العمليات الأخيرة ، وكانت الروح المعنوية للقوات المسلحة والشعب في أوجها بعد أن كسبت مصر هذه الجولة الدامية وقهرت كل محاولات العدوان في تحقيق أهدافه بالاسكندرية وعلى الأخص بعد أن تجاوزت كل القطاعات والقواعد والمناطق العسكرية بالاسلوب العنيف نفسه في الاصرار على الدفاع وعلى

المقاومة المسلحة ضد نشاط العدو الذى لم يتوقف فعلا حتى بعد انتهاء العمليات من الناحية الرسمية .. وبقيت الاسكندرية محتفظة بمعنوياتها وقدرتها ، وسارت فيها الحياة رتيبة منظمة دون أن يكون للعمليات الجوبة والبحرية التى دارت فى محيطها أى أثر سوى مانزقته هذه المدة من الشعور بالعزة والكرامة والفخر الكبير .. وكانت المشكلة التى بدأت نطل برأسها فى ذلك الوقت هى صدى الاشاعات الخاصة بشئون. النموين وعلى الأخص بالمواد البترولية والسلع الاستهلاكية الغذائية كالشاي والبن .. وكان سبب ظهور هذه المشكلة أو تلك الاشاعة فى الاسكندرية بالذات هو أنه قد وصلت برقية خارجية الى أحد التجار اليهود المتخصصين فى نجارة المواد التموينية وخاصة الشاي. وتضمنت البرقية توجيه النصيحة أو التوصية للتاجر لى يجمع كل المعروض من الشاي فى الأسواق لتخزينه .. ولسوء حظه أن ادارة التعبئة كانت قد أعدت كل الترتيبات الخاصة بحصر ومراقبة المواد التموينية وبلقى المواد التى تدخل أو تؤثر فى المجهود الحربى وفى شئون المعيشة اليومية للأفراد .. وبذلك لم تطل فترة مفعول تلك الاشاعة .. وان كان من الواجب الإشارة اليها تسجيلا لصورة من صور المعركة التى لم يقتصر لونها على الطابع العسكرى المفهوم .. بل كانت شاملة تناولت كل جوانب الحياة لكل فرد .. واشترك فيها الشعب بكل امكانياته وجهوده .. ورب سائل يسأل عن مدى العلاقة بين تخزين سلعة كالشاي والمعركة الدامية التى تخوضها القوات المسلحة فان الشاي أو الدخان أو البن أو السكر أو الخبز أو البترول .. كلها تعبر سلعا استراتيجية ذات أثر مباشر على العمليات الحربية وعلى سلامة الجبهة الداخلية وعلى كفاية الجبهة المعنوية للقوات المسلحة والشعب على السواء .. فلم تعد المعركة مقصورة على الصدام المسلح .. بل أصبحت عملية التموين والتزويج من أهم ما تتأثر به المعركة المسلحة .. ولذلك لم تلجأ مصر الى اتباع أسلوب توزيع المواد البترولية بالبطاقات كما فعلت اسرائيل وبريطانيا وفرنسا قبل العدوان وفى أثنائه .. وكان هذا الاجراء لبقاء تداول المواد البترولية مفتوحا للجميع ذا أثر معنوى بالغ فى ثقة الشعب بحكومته وتقديره لدى سعيها لتوفير مطالبه .. فازدادت حماسة الشعب فى قتاله واستعداده وتضحيته مما قضي على محاولات العدوان التى استهدفت ابعاد الشعب عن حكومته والاطاحة بها كما أعلن ذلك ايدن رسميا فى مجلس العموم عندما حدد غايته من ابعاد «جمال عبد الناصر»، وكان مسلك الحكومة فى عملية التموين بالبترول ردا ايجابيا على الحملة النفسية التى مارستها دعايات المعتدين بأن مصر قد خسرت كل مواردها

البتروولية فى سيناء وانها لم تعد قادرة على الافادة من مواردها فى منطقة البحر الأحمر بالغردقة ورأس غارب وذلك بسبب بقاء السفن الحربية البريطانية فى مياه البحر الأحمر لغرض الحصار على مصر .

وكان رصيد مصر من المواد البتروولية كافيا لمواجهة مطالب الشعب فى هذه الظروف الدقيقة وذلك بالنسبة للإجراءات التى سبق اتخاذها منذ اعلان النأييم فى يوليه .

وبهذا فشلت حملات الدعاية وحرب الاعصاب التى لجأ اليها العدو بعد فشل محاولاته المسلحة فى القضاء على معنوية ومقاومة الشعب .

وعاشت الاسكندرية بالرغم من الحصار البحرى الذى فرضته القوات المعتدية عليها حتى بعد انتهاء اطلاق النيران . . عاشت المدينة فى رخائها المعروف . . وكانت دعايات العدو ذات اثر عكسي مباشر اذ استطاعت المدينة أن تدرك غايات العدو وتكشف عجز وضعف أسلوبه فى الدعاية التى أراد من ورائها اثارة أهالى الاسكندرية فيما بينهم باعتبار أن فيهم نسبة كبيرة من الاجانب من ذوى الجنسيات المختلفة . . وكان العدو يثير هذه النعرة على أمل « توريط » مصر اذا اصطدم الشعب مع الاجانب مما يثير مزيدا من المتاعب السياسية عليها فى الوقت الذى لاتزال فيه ازمة العدوان معروضة على المنظمات الدولية .

وانتهت كل هذه الجهود بالفشل . . وأضافت الاسكندرية صفحة جديدة لامجادها الكثيرة فى سجل التاريخ والجهاد .

الفصل السادس

معركة القاهرة

ظلت القاهرة رمزا قائما لتخطيط الدعوة التحررية ومركزا دائما ينبض بالحركة القومية .. فكانت بذلك هدفا رئيسيا لجميع الحركات والمناورات والمؤامرات المضادة التي كان يديرها أمداء التحرر الذين كانوا يتربصون بمصر الدوائر للقضاء عليها ، فقد كانت هي القوة الكبرى التي اعترضت مؤامراتهم وقضت عليها في الميادين .

فقد كانت القاهرة ذات معان كثيرة في نظر أعدائها .. فالقاهرة تعنى جمال عبد الناصر ونظام الحكم الذي أقامه بثورته التحررية .

وهي معقد الآمال العربية بل وآمال الكتلة الآسيوية الإفريقية .

ومركز نشاط الأحرار من كل أرجاء الأرض الذين لم يستطيعوا ممارسة حرية كفاحهم ضد قوى البغى والاستعمار في بلادهم .

ومبعث الدعاية السياسية الضخمة التي يشنها صوت العرب ،

ومصدر اشعاع القوى المعنوية والثقافية والدينية للعالم الاسلامي ،

ورمز للكفاح المثالي الذي حقق انتصاراته النظيفة بعزم وقوة

قاداته .

كانت القاهرة تعنى شيئا كبيرا في تقدير المعتدين ، ، ولذلك كانت الحملة العدوانية تهدف في الاصل الى القضاء على القاهرة والاطاحة بحكومة الثورة التي حققت المعجزات في أربع سنوات وأرغمت بريطانيا على الجلاء عن مصر والسودان .. وأمت شركة القنال .. وخلقت جيشا وطنيا قويا في تسليحه وتنظيمه وتدريبه وأصبحت القاهرة صوتا

ثوبيا تسمعه أطراف الأرض في كل وقت .. وكانت القاهرة تحتضن
في رحابها كل حركات التحرر في الوطن العربي بصفة خاصة وفي
الكتلة الآسيوية والأفريقية بصفة عامة .. وكانت القاهرة الداعية إلى
فلسفة جديدة في دستور السياسية الدولية .. كانت الداعية إلى الحياد
الإيجابي ولاقت دعوتها ترحيبا وتأييدا أزعج الاستعمار في الشرق
والغرب .. كانت القاهرة أملا للأحرار .. ورمزا للسلام الصحيح
النظيف .. ومطرقة جسارة تهدد رعوس الأنعام الاستعمارية
والاستقلالية .. فكان القضاء عليها وتحطيمها هو الأمل المشترك الذي
اجتمع عليه المعتدون ليثأروا مما أضاعته منهم القاهرة .

مأعدوا لها حملتهم العسكرية في البر والبحر والجو ومن الشرق
والشمال والغرب .

وأعدوا حملتهم الإرهابية في الحرب النفسية التي وجهوها من كل
محطاتهم الإذاعية العلنية والسرية .

وأعدوا خطتهم للقضاء عليها وخنقها اقتصاديا بحصارها بحرا
وبرا وجوا .

وحشدوا لها كل ما استطاعوا .. وظنوا أنهم بذلك قادرون عليها.

ولهذا كان نصيب القاهرة الذي لاقت في العدوان .. مضاعفا
من تركيز كل ألوان الهجوم .. فقد أغارت عليها قاذفات القنابل الثقيلة
طول مدة العدوان .. وألقيت عليها القنابل والصواريخ والنباليم
والقذائف الحارقة ودمرت محطة الإذاعة وتعرضت المطارات والكنايات
العسكرية والمساجد والكنايس والمدارس والمنازل ومقابر الموتى
وحدايق الأطفال والعوامات والزوارق النهرية للضرب المتواصل .

وكان نصيب القاهرة الذي خطه العدو لها أن تكون نقطة اللقاء
بين القوات الهابطة عليها من الشمال بعد تطويق الإسكندرية مع القوات
الزاحفة إليها من الشرق بعد احتلال السويس .

وكان من نصيب القاهرة .. حملات الإذاعة والإثارة وحرب
الشائعات لضعاف روح 'المقاومة' في عاصمة الجهاد وفي مركز قيادة
الحركة القومية العربية وقيادة الحركة التحررية الآسيوية الأفريقية .

فكانت القاهرة ميدانا أماليا للمعركة الشاملة وميدانا خلفيا لمعركة
القتال ومعركة سيناء ومعركة الإسكندرية .. ومعركة شرم الشيخ .

ولهذا كان الدفاع في القاهرة مخططا لمواجهة كل هذه القسوى الهجومية علاوة على المسؤولية الضخمة التي تحملتها القاهرة لتلبية مطالب المعركة في جميع جبهاتها .. وكانت مسؤولية تموين الشعب والترفيه عنه وحشد قواه وتنسيق الانتاج .. وترقية مرافق الخدمات العامة ودعم الروح المعنوية لا في مصر وحدها .. بل في كل أرجاء العالم العربى الذى شاركنا الشعور وتعاون معنا بقدر طاقته .. وضرب مثلا عمليا رائعا لمعنى المشاركة الوجدانية في اطار قوميتنا التي اتضحت معالمها في صدر السياسة الدولية منذ بدء العدوان على القاهرة .. اى على سيناء ومنطقة القناة .. اى على مصر كلها وعلى العالم العربى كله .

كانت القاهرة مسئولة عن توفير الغذاء والكساء والسلاح والذخيرة كما كانت مسئولة عن تأمين الملاحة في قناة السويس وتوفير المرشدين والاداريين والفنيين لادارة مرفق القناة بكفالية أكثر وضوحا وتجسيدا عما كانت عليه حالة المرفق في عهد الشركة المنحلة .

وامتدت مسؤولية القاهرة الى حصر القوى العاملة وتبئاس الامكانيات الشاملة المادية والمعنوية واستغلال كل هذه الامكانيات في أحسن صورة واقصى طاقة .

وتناولت هذه المعالى .. تنفيذ قانون التعبئة دون اعلانه .. وتدبير الحلول التبادلية لمواجهة احتمالات ومضاعفات المشاكل المتوقعة بسبب خطر الحرب .. التي كان على كل شعب مصر ان يخوضها بالرغم عنه لحساب مصلحته الخاصة وكرامته القومية .

وكان معنى ذلك كله القيام بتحقيق مايتأتى :

✧ امداد القوات في شرم الشيخ والاسكندرية وأم قطف .

✧ وتنسيق خطط حراسة شواطئ مصر الشمالية والشرقية وتنظيم الوقاية الجوية لأجواء المعارك المتشعبة التي قدر لقواتنا ان نخوضها .

✧ واخلاء المواد المكدسة على أرصفة جمارك الاسكندرية والسويس وبور سعيد ونقلها الى داخل البلاد وخصوصا المواد الاستراتيجية وبالأذات تلك التي كانت معرضة للاشتعال او الانفجار اذا تعرضت للغارات الجوية أو لأعمال التخريب (كالمواد الكيماوية والوقود والخشب ..) .

✧ وكذلك تنظيم مرافق المواصلات الحديدية والنهرية والبرية لتكون

كل منها وسيلة تبادلية للآخرى حتى نظل الصلة والعلاقة المادية بين أطراف الجمهورية قائمة في أمن وسلام .

والاحتفاظ برصيد كاف من مواد التموين وتنظيم صرفه وبيعه والتضاء على أسباب قبح السوق السوداء . . لكي لا ينشغل الشعب في تدبير أسباب عيشه حتى ينفرد بكل طاقته وروحه للمعركة ومطالبها ، وتأمين الفزلاء الأجانب والمحافظة على سلامة كل من يعيش على أرض مصر .

هذا كله بعض المعاني التي كانت تواجه القاهرة لكي تضع لها خطيطا وتفسيرا وحلولا للتنفيذ .

أما من الناحية العسكرية البحتة فقد قسمت القاهرة نطاقات أو قطاعات دفاعية لمواجهة كل الاحتمالات التي كان العدو يفكر في تنفيذها سواء بانزال قواته في السويس أو بور سعيد أو الاسكندرية أو من الجو بالههابطين بالمظلات .

ووزعت وحدات المدفعية المضادة للطائرات الثقيلة والخفيفة على المرافق العامة والمطارات ومداخل المدينة .

وتولت وحدات الحرس الوطني أعمالا كثيرة في حراسة المنشآت وفي اعداد المراكز الدفاعية . . وقامت كل الهيئات الحكومية والاهلية بتدريب أفرادها في الحقائق والأندية والمشوارع والميادين تحت اشراف مدربين من رجال الجيش .

ووزعت الاسلحة بسخاء غير مالوف على كل من طلب حمل السلاح وكنت نرى الثقة بالنفس وبالحكومة تشع من عيون كل المواطنين وذابت المخاوف من وقوع أي حوادث وثلاثت أمام وطنية الأفراد الذين جهمتهم رغبة واحدة ومعنى واحد للعمل في صعيد واحد لهدف واحد ضد عدو واحد . . فلم يكن هناك أي متسع لقيام احتمالات أو معان أخرى . . فكان كل فرد هو الحارس على نفسه وعلى عائلته وجيرانه وشارعه . . وبلده .

وفي الحقيقة . . لم يكن كل من حمل السلاح قادرا على استخدامه على الوجه الاكمل . . وكان هذا هو سبب القلق الذي ران لفترة على النفوس ، ولكن سرعان ما اتجهت هذه الجموع الى ساحات التدريب الشعبية التي كانت تعمل ليلا ونهارا في كل الأحياء والمناطق كما أوضحنا .

وكانت اسراب المتطوعين والمنطوعات تتجه الى مراكز نقسل الدم وتنشط فى تقديم الخدمات العامة فى اثناء المعركة سواء بالمساهمة فى تنظيم نوزيع مواد التموين أو فى أعمال المرور أو الارشاد الى المخابىء العامة أو مراقبة تنفيذ تعليمات الدفاع المدنى واطفاء الحرائق .

كانت القاهرة تمثل جهاد القوات المسلحة وجهاد الشعب ممثلا فى رجاله ونسائه واطفاله .

كانت كل المعارك التى دارت فى سيناء ومنطقة القتال ومياه البحر الأبيض ومياه البحر الأحمر تنعكس فى حينها على القاهرة .

ووسط هذه المعارك . وفى تلك الظروف كان الرئيس جمال عبد الناصر يرى مايدور حولنا فى اسرائيل وقبرص وفرنسيا وبريطانيا .. كان يرى .. على وهج المصاييح المشتعلة التى كانت الطائرات المغيرة تلقىها على مطار القاهرة الدولى .. كان يرى كل المؤامرة ، وكان الوهج يكشف فى افكاره كل منطقة الشرق الاوسط .

ودعا الرئيس مجلس الوزراء فى أول نوفمبر ، ثم صدر قرار جمهورى باعلان حالة الطوارئ بعد أن رفضت مصر الانذار الفرنسى البريطانى وتولى الرئيس بمقتضى هذا القرار جميع السلطات الاستثنائية المنصوصه عليها فى القانون ٥٣٣ لسنة ١٩٥٤ بمقتضى الأحكام العرفيه .

وفى يوم الجمعة ٢ نوفمبر كانت المعركة فى سيناء فى مرحلتها الدقيقة اذ كانت قواتنا قد بدأت انسحابها العام .. وكانت الطائرات البريطانية والفرنسية واساطيل الدولتين تواصل غاراتها بعنف وشدة متزايدتين .

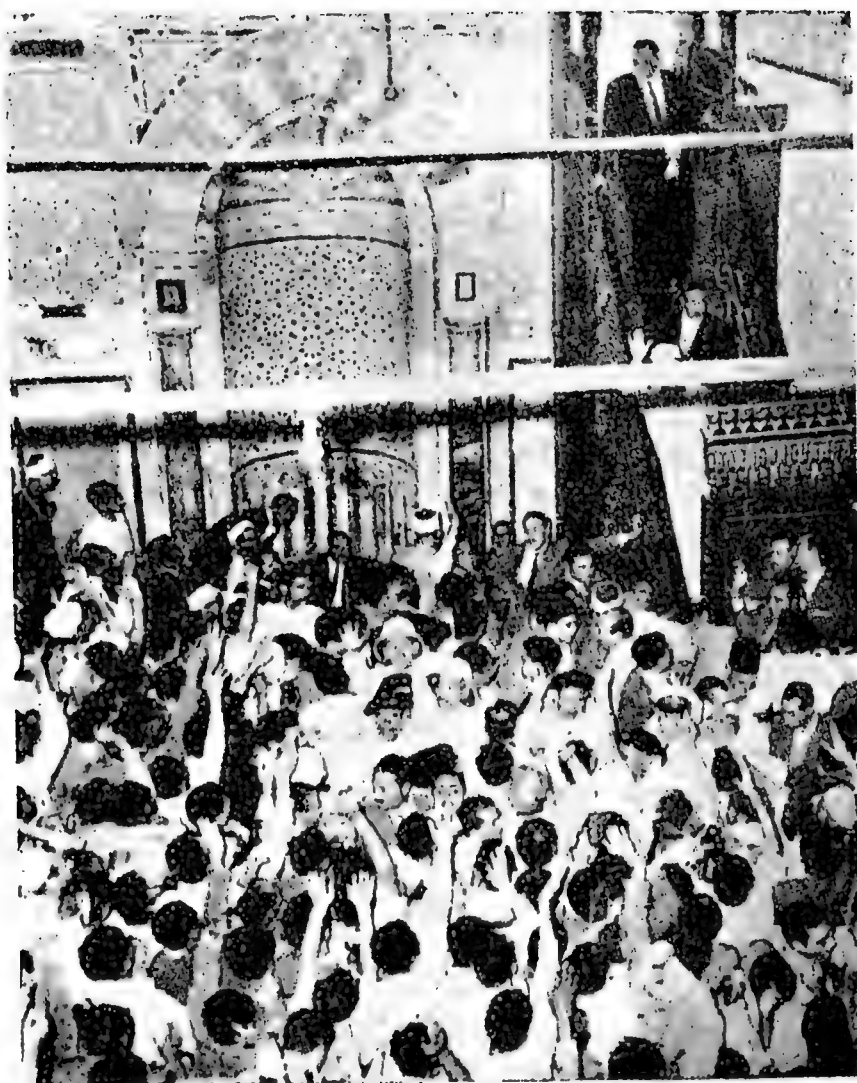
وكانت حملة الدعاية والحرب النفسية قد بلغت ذروتها ، وكان لابد ان يعرف الشعب كله حقيقة الموقف عن المسئول الاول .. من رئيس الدولة وقائدها جمال عبد الناصر الذى أوضح الموقف وحدد الطريق الذى تقرر علينا أن نسلكه فى خطابه التالى ..

خطبة الرئيس يوم الجمعة ٢ نوفمبر ١٩٥٦ في الجامع الأزهر

« في هذه الأيام التي نكافح فيها من أجل حريتنا ، حرية شعب مصر ومن أجل شرف الوطن أحب أن أقول لكم أن مصر دائما كانت مقبرة للغزاة وأن جميع الأباطوريات التي قامت على مر الزمن انتهت وتلاشت حينما اعتدت على مصر ، ولكن مصر باقية متماسكة متحدة متكاتفه وانتهى الغزاة وانتهت الأباطوريات وبقيت مصر وبقي شعب مصر واليوم أيها الاخوة ونحن نقابل عدوان الظلم والاستعمار الذي يريد أن ينتهك حريتنا وانسانيتنا وكرامتنا ونحن نقاوم هذا العدوان ، اطلب من الله أن يلمنا بالصبر والثقة والعزم والتصميم على القتال ويقوى قلوبنا جميعا ونفوسنا حتى ندافع عن وطننا .

ولقد أعلنت باسمكم بالأمس أننا سنقاتل ولن نسلم ولن نعيش عيشة ذليلة مهما أخذوا في غيهم ومهما استمروا في خطتهم العدوانية وان الموقف اليوم أحسن مما كان منذ يومين .

- لقد كانت المؤامرة أن تستدرك جيش مصر الى شبه جزيرة سيناء وتترك مصر دون جيشها حتى يستطيعوا أن يفعلوا ما يريدون ، وفي يوم الاثنين ٢٩ أكتوبر هجمت اسرائيل وأعلنت أنها تغزو الأراضي المصرية وأعلنت بريطانيا « الشريفة » التي تتبع أساليب الشرف أنها لن تستغل الاشتباك بين مصر واسرائيل لمصالحها أو لتنفيذ نواياها ، واتجهت قواتنا المسلحة الى سيناء لترد جيش اسرائيل وتكيل له الصاع صاعين ، وفي خلال ٢٤ ساعة كانت قواتكم المسلحة تنزل الخسائر الفادحة بجيش اسرائيل ولم تستطع اسرائيل أن تطنطن في هذين اليومين كما كانت تطنطن في الأيام السابقة ، ولقد قاتل كل فرد من افراد قواتكم المسلحة في سيناء قتالا مريرا بعزم وتصميم .



الرئيس جمال عبد الناصر فى خطبة الجمعة بالازهر يوم ٢ نوفمبر سنة ١٩٥٦

هذا وكان الموقف يوم الثلاثاء في أن قوانا المسلحة كلها تواجه إسرائيل ، وفي ذلك اليوم قدمت بريطانيا انذارا لمصر بأن تقبل احتلال بريطانيا وفرنسا للأراضي المصرية وانهما ستنفذان ذلك بالقوة اذا لم تقبل مصر هذا الانذار خلال ١٢ ساعة ، وهذا أمر لا تقبله العزة والشرف والكرامة . . فاهون علينا أن نموت دون أن نقبل طوعا احتلال فرنسا وبريطانيا جزءا من أراضيها ، فشراف الوطن كتلة واحدة وكل لا يتجزأ ولهذا رفضنا الانذار رفضا باتا وحاسما ، وتنبهنا الى المؤامرة التي دبرتها بريطانيا وفرنسا واسرائيل على أن تقوم اسرائيل بالهجوم في سسيناء فتتصددى لها قواتنا المسلحة فيخلو الجو لبريطانيا وفرنسا فينفردوا بالمواطنين داخل البلاد .

وفي يوم ٣٠ و ٣١ أكتوبر قامت قوانا الجوية بالسيطرة على أرض المعركة في سيناء ومنطقة القتال وأسقطنا ١٨ طائرة اسرائيلية ، أي مايعادل ثلث السلاح الجوي الاسرائيلي ، وكان أفراد القوات الجوية المصرية يعملون لبلا ونهارا وباستمرار ولم نخسر في هذه المعارك سوى طائرتين واستشهد طياران في هذا القتال ، ولكن الله وفقنا والحمد لله .

وبعد الغارة الاولى البريطانية الفرنسية وجدنا انفسنا نحارب في جبهتين جبهة اليهود على الحدود وجبهة الاستعمار الفرنسي الانجليزى في القتال فكان لابد من اتخاذ القرار الخطير وهو توحيد جبهتنا ، فأصدرت الاوامر الى القائد العام للقوات المسلحة لسحب جميع القوات المسلحة المصرية من سيناء الى غرب قناة السويس حتى تكون الى جانب الشعب للامانة قوات الاستعمار وقد تم انسحاب قواتنا المسلحة من منطقة سيناء وتركزت قوات انتحارية ، ورجعت جميع قواتنا الى القتال والدلتا ونحن في انتظار الانجليز والفرنسيين في الدلتا .

ويجب أن تعلموا جميعا أن قواتنا ليست معزولة ، وبذلك أحبطنا المؤامرة الماكدة التي قامت بها بريطانيا وفرنسا بالاتفاق مع اسرائيل لعزل القوات المسلحة المصرية عن الشعب ، وكانت الخطة هي ضرب المدن المصرية بالطائرات وتدمير الجيش في سيناء ، ولكننا كشفنا الخطة وحشدنا قواتنا المسلحة لصددها ، وقد وصلت قواتنا الرئيسية الى القتال تاركة القوات الانتحارية في شبه جزيرة سيناء ، وأحب أن أقول لكم ان الجيش سليم وسينضم الشعب والجيش الآن غرب القتال ، وقد وحدنا جبهاتنا كلها في جبهة واحدة في قتال السويس .

ولقد سررت حينما رأيت أمس واليوم كتائب التحرير والحررس

الوطنى والمتطوعين يتدفقون الى مكاتب الحرس الوطنى وستحارب
كتائب التحرير والحرس الوطنى جنبا الى جنب مع الجبش ومن قرية الى
قرية ومن منزل الى منزل .

وقد كاشفت الشعوب فى الحرب العظمى وانتصرت فنحن اليوم
نقرر مستقبل وطننا والموقف اليوم والحمد لله احسن مما كان ، فسنباتل
فى كل مكان ولن نسلم وسيكون شعار كل فرد منا فى القوات المسلحة
والشعب « سنباتل ولن نسلم أبدا » .

نحن اليوم مستعدون للقتال ، وأنا فى حرب فلسطين كمثلى من
الامثلة كنت موجودا فى الفالوجا لمدة خمسة شهور وكانت الغارات متوالية
وكان الهجوم مستمرا ولم اكن فى الخنادق وانما كنت فى الخلاء ، ومع ذلك
لم امت لأن العبر واحد ، ولا يستطيع احد أن يعرفه سوى الله سبحانه
وتعالى .

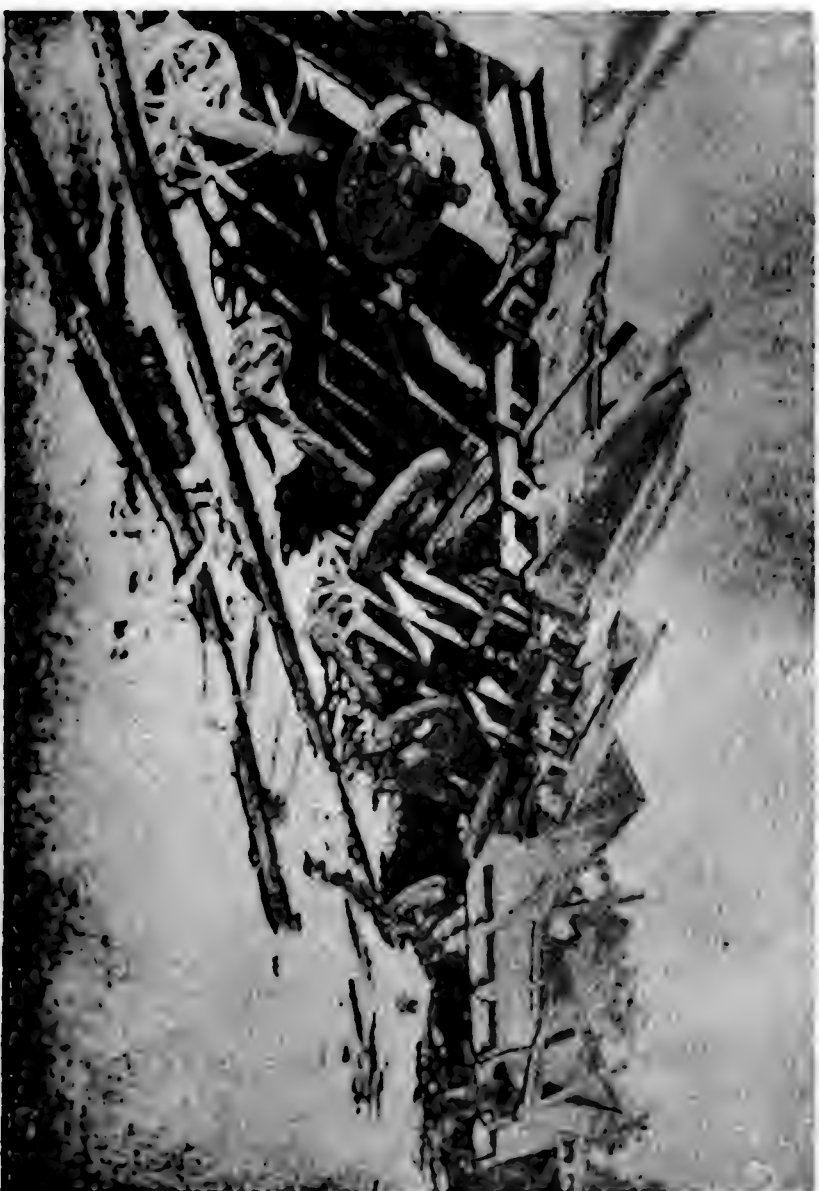
وأنا فى القاهرة سأقاتل معكم ضد أى غزو ، وسنباتل الى آخر نقطة
دم لن نسلم أبدا وسنبنى بلادا وتاريخا ومستقبلا ، هذا شعار كل مصرى ،
واذا كانت بريطانيا تعتبر نفسها دولة عظمى وتعتبر فرنسا نفسها
دولة عظمى فسنعتمد على الله وعلى انفسنا وسنجاهد ونكافح ونقاتل
وننتصر باذن الله .

وفتكم الله والسلام عليكم .

ويكفى لى نعرف سر قوتنا المعنوية أن ندرس مضمون هذا الخطاب
ونحلل كلماته التى احتوت اصدق الايمان والثقة والعزة بالنفس والعزم
على الجهاد كما أمر الله ضد العدوان والظلم والغدر والخديعة .

وفى هذا الخطاب الذى القى فى أقدم مركز من مراكز الاشعاع
الاسلامى العلمى رأينا بين هذه الكلمات معانى تبادل الثقة بين الحاكم
والمحكوم وأن الجميع سواء فى المعركة .

كان هذا هو دستور معركة القاهرة التى كانت بحق معركة الوطن .
والتي انتهت باننصارنا والامادة من العدوان فى كثير من الميادين بكثير من
المعانى والدروس والنتائج .



مخرب قوات اسرائيل الخطوط المسكة الحديد في سيناء قبل انسحابهم منها

الفصل السابع

الخاتمة

وبعد تقديم هذه الصورة المشرقة عن بطولة مصر بجيشها وشعبها
في معركة سيناء والقناة نجمل آثار هذه المعركة ونكشف نتائجها في
الفصل التالي : —

أهداف العدوان :

لقد استهدف العدوان . . كما ورد في بيانات رؤساء وزراء الدول
الثلاث : القضاء على حكومة الثورة ، والتخلص من الرئيس جمال
عبد الناصر ، وتأمين الملاحة في القناة ، وذلك بالاشراف الدولي عليها ،
وعدم تمكين مصر من الاشراف وحدها على قناة السويس .

وبذلك تتاح الفرصة لمروور سفن اسرائيل بالقناة ، فيزول عنها
الحصار الاقتصادي الذي أوشتك أن يقضي عليها ، وكان سببا في بقاء
اسرائيل عالة على الغرب ، الامر الذي لا يبدو طبيعيا لتقوم عليه مثل هذه
الدولة . . وأن تحريرها من الحصار العربي انما يخدم يصفة خاصة دافعي
الضرائب الأمريكية الذين لا يزالون يرسلون تبرعاتهم لمعادلة ميزان اسرائيل
الاقتصادي .

كما استهدف العدوان أيضا « اذلال مصر » بالقضاء على قوميتها
وثورتها القومية التي امتدت الى كل بقاع الوطن العربي ، وكل أنحاء العالم
المنهض للاستعمار في افريقية وآسيا . ولو نجح العدوان على مصر لادى
الى تفكك عرى التعاون العربي وتمزق الأمة العربية ورجوعها القهقري
الى أسوأ مما كان عليه حالها . فيسهل على الاستعمار والصهيونية

التوسع والتوغل في الشرق الأوسط دون أية مثالومة أو صعوبة . اذ كانت هذه القوى الباغية ترى ان قوة مصر هي الدرع الواقى للقومية العربية ولكل الحركات التحريرية الممتدة من اندونيسيا وكينيا الى الجزائر والمغرب الاقصى .

وبمعنى آخر كان هدف العدوان الثلاثى على مصر . . اعادة استعمار الشرق الأوسط كاله بطريقة جديدة تشترك فيها الصهيونية العالمية التى تحلم بقيام امبراطوريةها من النيل الى الفرات .

وتحقيق الاهداف الانية لكل من الدول المعتدية الثلاث :

اولا — بالنسبة لبريطانيا :

- ١ — نخطيم مصر سياسيا والتخلص من حكومة الثورة .
- ٢ — اعادة احتلال القاعدة فى منطقة القناة .
- ٣ — استرداد المركز التقليدى فى الشرق الأوسط بعد ان تعرضت لحركات تحريرية اخرى فى كل المنطقة بعد جلائها عن مصر .
- ٤ — قطع الصلة بين مصر وكل من ليبيا والسودان والاردن . حيث كانت تأمل بريطانيا الانفراد بالعمل فى هذه الدول لحسابها الخاص .
- ٥ — القضاء على فكرة التعاون الاقتصادى بين مصر وروسيا .
- ٦ — استرجاع مصالحها فى استغلال قناة السويس بالغاء فكرة التأميم « القومية » .
- ٧ — القضاء على « صوت العرب » .

ثانيا — وبالنسبة لفرنسا :

- ١ — استرجاع مصالحها فى استغلال شركة القناة والغاء قرار التأميم .
- ٢ — القضاء على صوت العرب . . مركز الدعاية السياسية لاثارة حركة التحرير فى الجزائر .
- ٣ — التخلص من حكومة الثورة كمثل تضربه لحكومات شمالى افريقية .

- ٤ — ازاله مركز قيادة الجزائريين الاحرار فى مصر مما يضعف مقاومة الجزائريين فى بلادهم ضد قوات فرنسا .
- ٥ — شد ازر اسرائيل عن كذب .
- ٦ — البقاء بالقرب من المناطق النى كان لها فيها صلات وديه وعلاقات روحية (لبنان) .

ثالثا — وبالنسبة لاسرائيل :

- ١ — ارغام مصر على الصلح معها . . ومن ثم الصلح مع باقى الدول العربية .
- ٢ — تحقيق حرية الملاحة فى خليج العقبة .
- ٣ — تحقيق حرية المرور فى قناة السويس لفك الحصار الاقتصادى عليها .
- ٤ — التخلص من اللاجئين فى قطاع غزة وضم هذا القطاع اليها .
- ٥ — تحطيم مواصلات سبناء وكل المرافق التى بها ، ضمانا لتعجيز مصر عن محاولة حشد قوات أخرى على حدود اسرائيل تهددها مستقبلا .
- ٦ — تحطيم القوة العسكرية المصرية للتفرغ لتسوية باقى أطماعها على حساب الدول العربية الأخرى .

نتائج العدوان

كان هذا العدوان فى الواقع بمثابة نقطة تحول كبرى فى تاريخ العالم كله وليس فى تاريخ مصر وحدها نظرا للنتائج والتطورات المختلفة السريعة التى تمت ونمت وظهرت آثارها : —

(١) المكانية :

فى مصر
وفى الشرق الأوسط
وفى العالم كله

(ب) والموضوعية :

فى المضمار الاقتصادى

وفى المضمار السياسى

وفى المضمار العسكرى

وفى المضمار المعنوى

ويمكن ايجاز الحقائق التى تمخض عنها العدوان فيما يلى ، اذ كانت هذه النتائج عكسية تماما بالنسبة لما استهدفتها الدول المعتدية الثلاث فمثلا :

تخلص العالم من ايدن وجى موليه .. وبقي جمال عبد الناصر ، وتعرضت بريطانيا وفرنسا للدمار الاقتصادى ، وانعكست نتائج العدوان عليهما وعلى كل أوربا ، وبقيت مصر صامدة بل ازدادت صلابة وثقة بنفسها .. وفرضت ارادتها وكلمتها على العالم .. وانسحبت القوات المعتدية وتطهرت القناة ، وتولت الادارة المصرية وحدها الاشراف عليها . وتسلمت مصر الرسوم الكاملة للمرور فى القناة ، وتبلور الوعى العربى الذى تجاوب بصورة ايجابية مع مصر فنسفت أنابيب البترول فى سورية والأردن وليبيا .. كما نسفت آبار البترول فى الكويت ، واشتدت مقاومة الاجرار فى الجزائر ضد فرنسا .. واشتد ساعد الكتلة الآسيوية والافريقية فلم تعد مقصورة على الرعوس السياسية للدول الأعضاء ، بل أصبحت صورة مجسمة كاملة الأعضاء .. واعيد تخطيط الاقتصاد المصرى على ضوء المعركة وما كشفتته من الحقائق التى لم يكن ممكنا اكتشافها على هذه الصورة الواضحة بدون اجتياز مثل تلك المحنة .. وتم نهضير المؤسسات الاقتصادية الكبرى .. وتخلصت البلاد من العناصر الاجنبية غير المرغوب فيها . وبذلك تطهرت الجبهة الداخلية من عناصر الخطر عليها .

كذلك حققت المعركة خلق الوعى القومى وتنميته ، لأن البلاد مارست الدفاع الشامل عن كرامتها واستقلالها لحسابها الخاص لأول مرة فى تاريخها منذ عهد الفراعنة .. فحقق الشعب نصرا كبيرا لم يكن من السهل تحقيقه لولا قيام هذه المعركة الشاملة .

وكان من نتائج هذا العدوان أيضا أن تزعزعت ثقة الراى العالم فى كل بلاد الشرق الأوسط وفى دول الكتلة الآسيوية الافريقية بالدول

المغربية .. حتى بأمريكا التي وقفت في بدء المعركة وقفة كريمة ضد حلفائها .. ولعلها أرادت بذلك أن تكسب العرب في تلك الفرصة الى جانبها خشية أن يفلت منها الزمام بعد اعلان روسيا والصين الشعبية عن استعدادهما لارسال متطوعين ، علاوة على تقديمهما جهودا مادية ايجابية وتأييدا سياسيا وأديبا كاملا لمصر وللعرب أجمعين ، بصرف النظر عن حقيقة النوايا المتوردة .

وكان من أثر هذا أيضا أن حاولت الولايات المتحدة أن تترك بريطانيا في تلك المنطقة .. فأوجدت مشروع ايزنهاور لمساعدة دول منطقة الشرق الأوسط التي تطلب معونة أمريكا ضد العدوان الشيوعي .. وبالطبع قبول هذا المشروع على هذه الصورة بالرفض من مصر وسورية واليمن ، ولم ترحب به السودان ، ولم تعلن المملكة السعودية والأردن رسميا قبوله .

فانشطرت منطقة الشرق الأوسط .. من جراء هذا المشروع الذي وضعه ايزنهاور ليجمع بين دفتيه كل الشرق الأوسط .. وأضادت الكتلة الشرقية من جهود وعناد السياسة الغربية ، وبذلك ازداد التوتر من جديد بسبب هذا التطور الذي نجم عن مولد مشروع ايزنهاور .. وكان الأردن أول ميدان للصراع السياسي بين فكرة فرض هذا المشروع وبين النزعة التحريرية ، وذلك بعد أن أعلنت حكومة النابلسي عزمها على تبادل التمثيل السياسي بدرجة سفارة مع الاتحاد السوفياتي ، وبعد أن أعلنت رفضها لأية اعانة مشروطة من أمريكا ، وما تلا ذلك من أحداث بالأردن .

وكان اشتراك الولايات المتحدة في حلف بغداد نتيجة مباشرة للعدوان على مصر ، وبمعنى آخر نتيجة ملازمة لتطبيق مشروع ايزنهاور .. إذ أن اشتراك أمريكا في اللجنة العسكرية للحلف كان المسبب المادي الصريح لتقديم المعونة العسكرية للدول الأمريكية للدول التي قبلت مشروع ايزنهاور ، وهي دول حلف بغداد (علاوة على ما قد ينضم اليها مستقبلا من الدول الأخرى كلبنان والأردن ، ولو بصورة عملية وأن تكن غير رسمية) .

وكان من نتائج فشل العدوان على مصر .. أن اتجهت السياسة البترولية الدولية العليا الى وضع خطة بناء ناقلات ضخمة من حمولة ٨٠.٠٠٠ ، ١٠٠.٠٠٠ طن لتكون وسيلة تبادلية في المستقبل لنقل البترول الخام من منطقة الخليج العربي عن طريق رأس الرجاء الصالح الى أوروبا ، بدلا من مرور البترول بالناقلات العادية عبر قناة السويس .. ومعنى ذلك

أبضا إعادة تخطيط مصانع انتاج السفن . وكذلك إعادة بناء الموانئ الأوروبية كلها لتستقبل هذه الناقلات الضخمة التي خطط لها البدء في عملها عام ١٩٥٩ . . إذ أن الموانئ الموجودة لا تصلح لتموين وتفريغ تلك الناقلات الضخمة التي يزيد غاطسها تحت الماء على أعماق الموانئ الحالية .

» كما اتجهت النية أيضا الى انشاء خطوط أنابيب بترول جديدة تمتد من حقول الخليج العربي الى البحر الأبيض عن طريق كركوك في العراق الى الاسكندرونة عن طريق تركيا ، وأن هذا الخط سيكلف ٥٠٠ مليون دولار . ولكنه يتفادى المرور في سورية وخاصة بعد اتحادها مع مصر . . إذ سيقع بأكمله في أراضي العراق وتركيا ، وهما وقتئذ حليفان في منظمه حلف بغداد .

» وأن يمتد هذا الخط من كركوك الى مناطق البترول على الخليج العربي ، وسيكلف ٥٠٠ مليون دولار أخرى . وبذلك يمكن نقل بترول كل منطقته الخليج وبترول العراق بأكمله الى البحر الأبيض دون حاجة الى المرور عبر أراضي الأردن وسورية ولبنان . ولا شك أن هذا التخطيط الجديد سيؤثر مباشرة — لو لم تنفيذه — على اقتصاد سورية والأردن ولبنان ، كما سيؤثر على استراتيجية الشرق الأوسط بأكمله . أو ربما يكون من نتائجها — كما كانت تؤمل السياسة الغربية — الضغط على الدول العربية الثلاث للانطواء تحت لواء الغرب .

» كما كان من نتائج العدوان أيضا أن نولت فرنسا مساعدة اسرائيل في كثير من أمورها . ولعل من أهم هذه الأمور انشاء خط الأنابيب من ايلات على رأس خليج العقبة الى بئر السبع ، ومنها الى مصب وادي سكرير جنوب حيفا والبدء في انشاء فرع جديد من بئر السبع الى معامل التكرير في حيفا رأسا . . وذلك بقصد نقل البترول الخام الوارد من حقول الخليج العربي الذي يستغله الشركات الغربية الى اسرائيل لحرمان قناة السويس من الانتفاع برسوم مرور الناقلات فيها من جهة ، ولتشجيع صناعة البترول في اسرائيل (من حيث نقله وتكريره وشحنه) من جهة أخرى ، وبذلك تصبح اسرائيل دولة مصدرة للبترول بعد أن كانت دولة مستوردة له . . فتزداد حصيلتها من العملات الصعبة مما يساعد اقتصادها ومن ثم يخفف الاعباء عن الدول الغربية التي لا تزال ترسل اعانتها لاسرائيل كما أوضحنا .

ولم يقتصر تطرف فرنسا في مساعدة اسرائيل على هذا المضمار

فحسب بل امتد أيضاً الى جنوب البحر الاحمر .. اذ انشأت فرنسا منطقة حرة فى ميناء جيبوتى بالصومال الفرنسى لحساب اسرائيل ، لتكون قاعدة رئيسية للتجارة الخارجية بين اسرائيل وبعض أسواق الشرق الأقصى والحبشة والصومال وجنوب افريقية . وبذلك يخف الحصار العربى على اسرائيل .. علاوة على ما أقامته فرنسا فى جيبوتى من مصانع لتجميع بعض المعدات ولصناعة الدخائر الصغيرة لحساب اسرائيل ولتسويق الأسمنت الوارد من ميناء ابلات .

ومن هنا كانت الضجة الكبرى حول حرية المرور فى خليج العقبة
اذ رأت فيها اسرائيل السبيل الوحيد للتنفس الاقتصادى مع الخارج بعد
أن فقدت أهلها فى المرور فى قناة السويس .

وانجهت دول غرب أوروبا الى انشاء كتلة اقتصادية موحدة والتوسع فى خليج العقبة ، اذ كان ذلك غاية قصوى سمعت اليها اسرائيل ابقاء على كيائها ، وسعت اليها فرنسا للضغط على مصر التى أذلتها بتأميم شركة القناة ، وباستمرار معاونتها لحرار الجزائر ، وباستمرار تقوية برامج الاذاعة الموجهة من صوت العرب لكل بلاد المغرب .

وليس من شك فى أن التطور العالمى الاخير فى السلاح بالقذائف الموجهة **واعادة توزيع الاسلحة الذرية التكتيكية** على الوحدات الموجهة لكل من الكتلتين .. مقابل تخفيف الأعداد البشرية بهذه الوحدات انما هو من نتائج التحول فى تجهيز واستخدام القذائف الصاروخية الموجهة التى ظهرت من جانب الاتحاد السوفياتى بانذاره لفرنسا وبريطانيا ثم أثناء معركة مصر .

ومن ثم انجهت الولايات المتحدة الى نسليح أسطولها السادس فى شرق البحر الابيض المتوسط بهذه الاسلحة . وكذلك قواتها فى غرب ألمانيا وفى دول حلف شمال الأطلسى .. كما بدأت فى قواعد جديدة لهذه الاسلحة فى بريطانيا ذاتها بعد أن رفضت الاخيرة انشاء مثل هذه القواعد قبل ذلك ، وقد أدى ذلك الرفض الى « مخاصمة » ايزنهاور لايدن ورفض مقابلته مما أدى الى سقوطه واعياؤه ، حتى اذا خلفه ماكملان رحب ببناء هذه القواعد لخدمة الاستراتيجية الامريكية .. فكان ثمن ذلك هو اللقاء مع ايزنهاور فى برمودا .

كما اتجهت دول غرب أوروبا الى انشاء كتلة اقتصادية موحدة ، والتوسع فى الابحاث الذرية لتوليد القوى الحركية منها بأسرع ما يمكن ليخفف ضغط الحاجة الى البترول كمصدر رئيسي لهذه القوى .

كما ان خطة بريطانيا لتخفيف قواها فيما وراء البحار . . ولو بحجة تخفيف الاعباء المالية على خزينتها . . كانت من النتائج المباشرة لفشل عدوانها على مصر . . وذلك لتخفيف مصروفاتها من جهة ، ولتعديل نظم التسليح من جهة أخرى ، لتعتمد على قوة النيران الذرية بدلا من القوات العددية .

وكان قرار بريطانيا بالجلء عن الأردن من نتائج هذه المعركة أيضا وكذلك كانت سياسة الضامن العربى بين كل من مصر وسورية والمملكة السعودية لمعاونة الأردن بعد أن تقرر الجلاء الانجليزى عنه ، نتيجة مباشرة لتطور الموقف فى الشرق الأوسط بعد فشل حملة العدوان ، وكان من ثمرة هذا المشروع التضامنى الذى تقررت فيه اعانة الاردن بمبلغ ١٢٥ مليون جنيه من الدول العربية الثلاث بدلا من بريطانيا أن تبلورت فكرة الوحدة بين مصر وسورية والأردن ، وكان من آثار قيام هذه الفكرة محاولة السياسة الاستعمارية الغربية عزل الأردن عن سورية وإثارة الاضطرابات المحلية فى الاردن لكى تمهد لدخول القوات العراقية . ويتم الضغط التطويقي على سورية فتعزل بدورها عن مصر (ولكن نتجست صورة عكسية لذلك ، إذ اتحدت مع مصر) .

وقد اشتملت حركة الارهاب البريطانى فى جنوب الجزيرة العربية ضد اليمن لتغطية فشل الحملة البريطانية على مصر ، وحدث هذا فى الوقت الذى زار فيه نيكسون نائب الرئيس الأمريكى دول الشرق الأوسط وخاصة ليبيا والسودان والحبشة وشمال افريقية . وذلك على أمل ضم هذه الدول للانتفاع بمشروع أيزنهاور لتطويق مصر من كل الجهات .

ولقد قام مبعوث أيزنهاور — رتشاردز — فى الوقت نفسه بزيارات خاصة لهذه الدول ذاتها ولغيرها من دول الشرق الأوسط للدعاية للمشروع ، بحجة ملء الفراغ الذى انشق عنه الوضع الاستراتيجى فى الشرق الأوسط نتيجة لانحسار النفوذ البريطانى بعد فشل العدوان على مصر وما ترتب عليه من قطع معظم دول المنطقة علاقتها السياسية أو الاقتصادية مع بريطانيا الأمر الذى أدركته ووزنته تماما حكومة ماكملان .

كما أن نشاط الدول الكبرى فى مساعيها لتجاثج بمباحثات نزع السلاح لم يكن الا امتدادا لنتائج العدوان على مصر بعد أن نشطت موجة التسابق فى التسليح الصاروخى والذرى بعد تهديد روسيا لبريطانيا وفرنسا فى أثناء العدوان .

مع العلم بأن مباحثات نزع السلاح قد بدأت من عام ١٩٤٦ دون تحقيق أى تقدم أو نجاح .. بخلاف ما حققته المدة القصيرة التى أعقبت العدوان من ازدياد الامل فى الوصول الى نتائج حاسمة .

كما أن الاستقلال الذى أحرزته سنغافورة ، وكذلك ما حققته قبرص بالافراج عن الأسقف مكاريوس ، ثم تطور قضيتها الى أن ظفرت بالاستقلال الذاتى ، انما يرجع فى حقيقته الى موقف بريطانيا الدقيق الذى تورطت فيه بعدوانها على مصر ، واضطارها الى تصحيح الاوضاع القائمة التى كانت تتجاهلها حكومة ايدن ، والتى واجهتها حكومة ماكميلان بجرأة .. شأنها فى ذلك كشأنها فى اتخاذ قراراتها لتخفيف قيود التجارة مع الصين الشعبية بالرغم من أسف أمريكا .. الا أن ذلك كله كان نتيجة للمضائق الاقتصادية التى أسفر عنها عدوانها على مصر .

وقد أثبتت الامم المتحدة — لأول مرة — قوتها فى فرض قراراتها على المعتدين .. وكان من أثر ذلك استخدام البوليس الدولى — لأول مرة — كأداة تنفيذية ترمى قرارات الامم المتحدة .

كما حققت مصر تخلصها نهائيا من التزامات اتفاقية الجلاء التى وقعتها مع بريطانيا عام ١٩٥٤ ، وذلك بالغائها من جانبها هذه الاتفاقية ، وتحررت تماما من كل احتمال لعودة بريطانيا للانتفاع «بالقاعدة» فى المدة التى تضمنتها الاتفاقية (٧ سنوات من توقيعها ، بشروط معينة) .

واعترفت بريطانيا — مضطرة — بذلك عندما أعلن رئيس حكومتها هذه الحقيقة فى مجلس العموم .

وكذلك قررت بريطانيا نقل قواتها فى الشرق الأوسط من قبرص الى كينيا ، ومعنى ذلك اهتمام الاستراتيجية البريطانية الجديدة بمستقبل القارة الافريقية .. كما أثبت العدوان على مصر ضرورة تضامن العرب ، ومهد للاتحاد بين مصر وسورية .. وكانت مصر قد أرسلت قواتها الى سورية فى ١٣ من أكتوبر ١٩٥٧ عندما تعرضت الأخيرة لتهديدات الحشود التركية بعد فشل المؤامرات التى دبرها الغرب وأعوانه من دول حلف بغداد وبعض القوميين السوريين ضد سورية . وكان دور مصر فى هذا الشأن استجابة لواجب العروبة الذى سبق أن قامت به سورية من قبل أيام العدوان الثلاثى على مصر . وبذلك قويت الرغبة فى الدولتين لاتمام الوحدة الشاملة .. وقامت بذلك الجمهورية العربية المتحدة فى فبراير ١٩٥٨ وأعقبها بأيام اتحاد اليمن معها لتشكيل « اتحاد الدول العربية » .

هذه بعض نتائج العدوان الثلاثى على مصر أثرتنا اليها لارتباطها
ونأثيرها على مستقبل الشرق الاوسط بصفة عامة ، وعلى مصر بصفة
خاصة ، ولا شك أن لكل هذه النتائج مضاعفات أخرى ظاهرة وباطنة
وستكون هذه المضاعفات هى مجال الصراع القادم بالمنطقة .

ورضخت بريطانيا للأمر الواقع ، واضطرت الى الاعتراف بالحقيقة
الواقعة ، وهى أن مصر وحدها هى المالكة لقناة السويس ، وهى فى
الوقت نفسه قادرة على ادارتها ، ووافقت فى ١٣ مايو سنة ١٩٥٧
رسميا على استخدامها للقناة وفقا لشروط مصر . . كما أبدت استعدادها
للتفاوض مع مصر من أجل تسوية الأمور التى كانت قد تعقدت بينهما ،
واقترح ماكجيلان أن يكون التفاوض فى بلد محايد ، واستقر الرأى على
أن يكون فى روما ، تكررت الصورة بالنسبة لفرنسا أيضا . وتم نهائيا
نسوية وتصفيه المشاكل المالية بين الجمهورية العربية المتحدة وبين
الدولتين الغربيتين المعتدين . . وكسبت مصر نهائيا معركة القناة .



جنود بریطانيا يستعدون للانسحاب من بور سعيد

نتائج لعدوان التتري على مصر

أولا - من الناحية الاقتصادية

في مصر :

- تحرير اقتصادها القومى بتمصير المؤسسات الأجنبية .
- تأمين جبهة الانتاج ، وتنسيق خطة الاستهلاك والتخزين .
- القضاء الفعلى على أسباب قيام السوق السوداء .
- تثبيت تأمين القناة .
- فتح أسواق تجارية مع آسيا ومع الكتلة الشرقية .
- التحرر الفعلى من سيطرة رأس المال الاجنبى .
- تنسيق استخراج ، ونقل ، وتكرير البترول .
- ازدياد رصيد مصر من العملات الصعبة بتحصيل رسوم المرور بالقناة .
- الاتجاه الى التصنيع الشامل .
- مضاعفة العناية بالمواصلات ، وخصوصا فى وسائل المواصلات البحرية وذلك بالتوسع فى انشاء الاسطول التجارى علاوة على التصنيع من أجل انتاج السيارات .
- الاهتمام بالمرافق العامة والبدء فى بناء السد العالى .

فى الشرق الأوسط :

- تدخل أمريكا باعانة بعض الدول بالمنطقة وتقلص النفوذ الانجليزى .

- عرض روسيا المضاد لبرامج العون الأمريكية .
- هبوط انتاج البترول ، وتوقف نقله فى أثناء العدوان وبعده . .
حتى شهر ابريل سنة ١٩٥٧ .
- اتجاه دول الجامعة العربية الى وضع خطه بتروليه موحده لأول مرة ، والاتجاه الى تنميه وسائل المواصلات العربية بما فى ذلك انشاء اساطيل تجارية ضخمة .
- انشاء اسرائيل لخط انابيب من ايلات الى جنوب حيفا .
- نشاط اسرائيل مع تركيا ، ومع الصومال الفرنسي ، واهنامها بالملاحه .

فى خليج العقبة :

- نسف انابيب البترول فى ليبيا ، والاردن ، وسورية ، وقطع البترول من الظهران عن معامل التكرير فى البحرين .
- مضاعفة الاهتمام بالحصار الاقتصادى على اسرائيل وخصوصا بعد اتجاهها لجلب مهاجرين جدد من يهود الكتلة الشرقية .
- الانجاه الى انشاء « بنك التنمية » للاقتصاد العربى .

فى الميدان العالمى :

- خسارة المعتدين اقتصاديا .
- تصدع الاناج العالم فى اوربا للافتقار الى البترول .
- الانجاه الى انشاء خطوط انابيب جديدة بين الخليج العربى والبحر الابيض عن طريق اراضي حلف بغداد .
- اتجاه بريطانيا لتخفيض مصروفاتها ، والتوسع فى تجارتها مع الصين الشعبية مما ضاعف من حرج الولايات المتحدة وقتلها .
- انشاء السوق الاوربية الموحدة لدول غرب اوربا .
- تنشيط استغلال الطاقة الذرية فى غرب اوربا لتوليد القوى المحركة بأسرع ما يمكن كمصدر تبادلى للبترول .
- الاتجاه العالمى الى انشاء ناقلات ضخمة للبترول بدلا من الاعتماد

على الناقلات العادية حتى لا يتعذر نقل البترول عبر قناة السويس مستقبلا اذا قامت أية أزمة مماثلة .

ولا شك أن هذا الاتجاه سيرهق الشركات والحكومات كثيرا بفكالييف انشاء هذه السفن الضخمة في حين أن أساطيل الناقلات الموجودة حاليا في بحار العالم يكفى بل يزيد فعلا عن حاجة النقل .

ومعنى ذلك أن جانباً كبيراً من اقتصادات الدول والشركات سيستهلك في بناء الاساطيل الكبيرة بدون أى داع .

ولقد ردت الجمهورية العربية المتحدة على ذلك باتجاهها لتعميق وتطهير القناة لتكون صالحة لمرور السفن الكبرى .

— اتحاد مصر وسورية بعد أن كشف العدوان على واقعيه هذا الاتحاد في الشعور والعمل والاهداف والآمال والآلام .

— اعلان مشروع ايزنهاور لاعانة دول الشرق الاوسط التي تقبل المعون وذلك للمء ماسماه بالفراغ الاستراتيجى بالمنطقة وفشل المشروع .

في الميدان العالمى :

— ضباب الثقة بحكومة ايدن ، وجى موليه وسقوطهما .

— ثبوت زعامة الرئيس جمال عبد الناصر للأحرار المجاهدين في العالم ، واعتباره رمزا للقومية العربية .

— تكون قوة البوليس الدولى الأول مرة في تاريخ الامم المتحدة ، واستخدام هذه القوة في سيناء ، وبور سعيد ، وغزة .

— نجاح الامم المتحدة في فرض قراراتها على المعتدين .

— عقد مؤتمر بربودا بين أمريكا وبريطانيا .

— بدء انشاء كتلة أوروبية غربية تكون نواة لاتحاد أوروبا .

— محاولة أمريكا لانشاء احداث سياسية ، أو اتفاقيات بين الدول الآسيوية والأمريكية لعزل مصر .

— فشل سياسة الولايات المتحدة الداخلية وخاصة في الحقول الاقتصادية والعمالي نتيجة لفشلها في سياستها الخارجية مما أسقطها في الانتخابات التي أجريت في أواخر عام ١٩٥٨ .

ثانيا - من الناحية السياسية

فى مصر :

- الثقة الكاملة بحكومة الثورة والتفاف الشعب بأكمله حول الرئيس جمال عبد الناصر ووحدة الجبهة الداخلية .
- انتهاء مصر لالتزامات اتفاقية الجلاء مع بريطانيا وتحررها الكامل من شروط احتمال عودة بريطانيا الى قاعدة قنل السويس خلال السنوات السبع التالية لتوقيع الاتفاقية ، فى ظروف خاصة ، وردت فى الاتفاقية .
- ثقة الشعب بنفسه فى معالجة المناورات السياسية التى تدور حوله .
- كسب مصر لدمية سياسية لها فى الداخل ، وفى الكتلة الاسيوية الافريقية وفى العالم .

فى الشرق الأوسط :

- ظهور القومية العربية بقوة ضخمة ازمت الغرب والمعتدين والقضاء على اعوان الاستعمار الذين كسفتهم الحوادث التى أسفر عنها العدوان .
- تغيير السياسة الغربية تجاه الشرق الأوسط لمحاولة تمزيق الوحدة العربية .
- اشتداد مقاومة الجزائر ضد فرنسا .
- ضياع مركز بريطانيا نهائيا واتجاه امريكا لتحل محل حليفها .
- بدء اتجاه بريطانيا لتصفية مشكلة قبرص بالافراج عن مكاريوس والموافقة على منح الجزيرة استقلالها الذاتى .
- اتجاه حكومة عدن لتسوية مشكلة المحميات على أساس قيام دولة إتحادية من تلك المحميات جنوب اليمن .
- انتهاء الأردن لمعاهدته مع بريطانيا ، وجلاء الاخيرة عنه .
- اتجاه الغرب لحل مشكلة فلسطين بأية صورة .
- قيام ثورة العراق بعد أن نضجت كل أسباب الثورة كنتيجة

- مباشرة لوقف سياسة العراق بالنسبة للأزمة العدوان على مصر .
- التهديد لتطور الوعي في صفوف الجيش السوداني ووراء الشعب بأكمله ، بعد أن كشفت أنجلترا بالذات عن نواياها العدوانية بالنسبة لوسط افريقية وغدرها بالمواثيق مما ترتب عليه وقوع انقلاب السودان السلمى بعد العدوان بسنتين .
- فشل الغرب في قطع لبنان عن الكيان العربى العالم .
- اشتداد الوعي القومى بين امارات الخليج العربى والمحيطات عموما واتجاهها الى حظيرة القومية العربية والمطالبة الصريحة بالاشتراك الايجابى في الجامعة العربية لتساهم تلك الامارات في تكييف مستقبل القومية الشاملة .

ثالثا — من الناحية العسكرية

في مصر :

- ظهور حقيقة قدرة مصر على القتال مع اسرائيل بصفة خاصة وعلى الدفاع ضد العدوان الثلاثى في البر والبحر والجو .
- ممارسة التجربة الاولى في المعركة التي خاضتها البلاد لحسابها الخاص من أجل حريتها .
- تعاون الجيش والشعب بصورة رائعة .
- خلق جيش التحرير الوطنى وتأمين الجبهة الداخلية بسمرة ظاهرة .
- استمرار مصر في استكمال تسليحها ووصول الغواصات بعيدة المدى .
- التجديد في أساليب التدريب والتنظيم والتسلح للقوات المسلحة .
- ادماج الجيش المصرى والجيش السورى في اطار واحد تحت قيادة واحدة .
- التوسع في تعميم التدريب العسكرى وجعله مادة اجبارية في كل المعاهد مما ضاعف قوة المقاومة الشعبية بالبلاد سواء في مصر أو في سورية .

فى الشرق الأوسط .

- فشل الخطة الثلاثية لغزو مصر .
- فشل محاولة عزل سورية عن مصر وتدبير انقلابات فى سورية .
- جلاء بريطانیا عن الأردن وتخفيض قواتها فى قبرص وليبيا لمقاومة أهالى قبرص والرضوح فى النهاية لمطالب الثوار فيها .
- تدبير هجوم من المحميات على جنوب اليمن لتغطية فشل الهجوم على مصر .
- دخول أمريكا اللجنة العسكرية فى حلف بغداد .
- تحديد استئجار قاعدة الظهران لأمريكا .
- انشاء قاعدة أمريكية فى الحبشة .
- تسليح الأسطول الأمريكى بالقذائف الموجهة .
- ظهور أهمة خليج العقبة .

فى الميدان العالمى :

- التسابق فى التسليح الذرى بعد انذار بولجانيين لبريطانيا وفرنسا .
- الاتجاه الى تخفيض القوات البريطانية فى كل قواعد الخارجية لتخفيف أعبائها المالية .
- انشاء قواعد أمريكية فى بريطانيا وغرب أوربا للقذائف الموجهة .
- الاتجاه الى فكرة نزع السلاح بعد الاستمرار فى التسليح الذرى .
- تخفيف قوات بريطانيا فى سنغافورة توطئة لنهجها الاستقلال الذاتى .
- عجز قيادة حلف الأطلسى عن مباشرة تدريبها للنقص الموقود طول شهر نوفمبر وديسمبر وينابر التالية للعدوان وكشف هذا العجز لروسيا .
- سليلح قوات حلف الأطلسى بالأسلحة الذرية التكتيكية .

رابعاً — من الناحية المعنوية

فى مصر :

— تكامل الشخصية المصرية وازدياد الثقة فى الفرد وفى الحكومة وفى الشعب ، وتطور تلك الشخصية الى شخصية عربية قومية .

— قوة الجبهة الداخلية بعد أن تحقق النجاح فى صد العدوان واطراد الثقة فى أهداف وفلسفة الثورة .

— زوال رواسب الشكوك القديمة فى إمكانيات الشعب التى أورثها إياه الاستعمار واطراد توفر الثقة فى نفوس كل الطبقات التى خاضت المعركة دون أى ارتباط مع أية قوة أخرى .

فى الشرق الأوسط :

— ظهور حقيقة الوعى بين الأمة العربية .

— التجاوب السريع القوى بين الشعب فى مصر وليبيا وسورية والكويت والأردن والسودان وفى كل المنطقة .

— كشف السياسة الغربية التى حاولت عزل سورية عن مصر .

— فشل « الفقاقيع » السياسية التى حاول الاستعمار دفعها

للكبد للقومية العربية سواء فى الاردن أو تونس أو العراق أو لبنان .

— وحدة الشعور بالامل فى كل أرجاء المنطقة .

فى الميدان العالمى :

— نجاح محاولات الكلمة الآسيوية الأفريقيه فى الحقل الدولى لاثارة الراى العالم الى جانب مصر .

— اعتراف الغرب بقوة مصر فى شخص رئيسها جمال عبد الناصر

— نجاح الدعوة للقومية العربية كعقيدة وقوة كبرى وفرض وجودها على العالم كله .

— احترام القوى الكبرى لفلسفة الثورة المصرية .

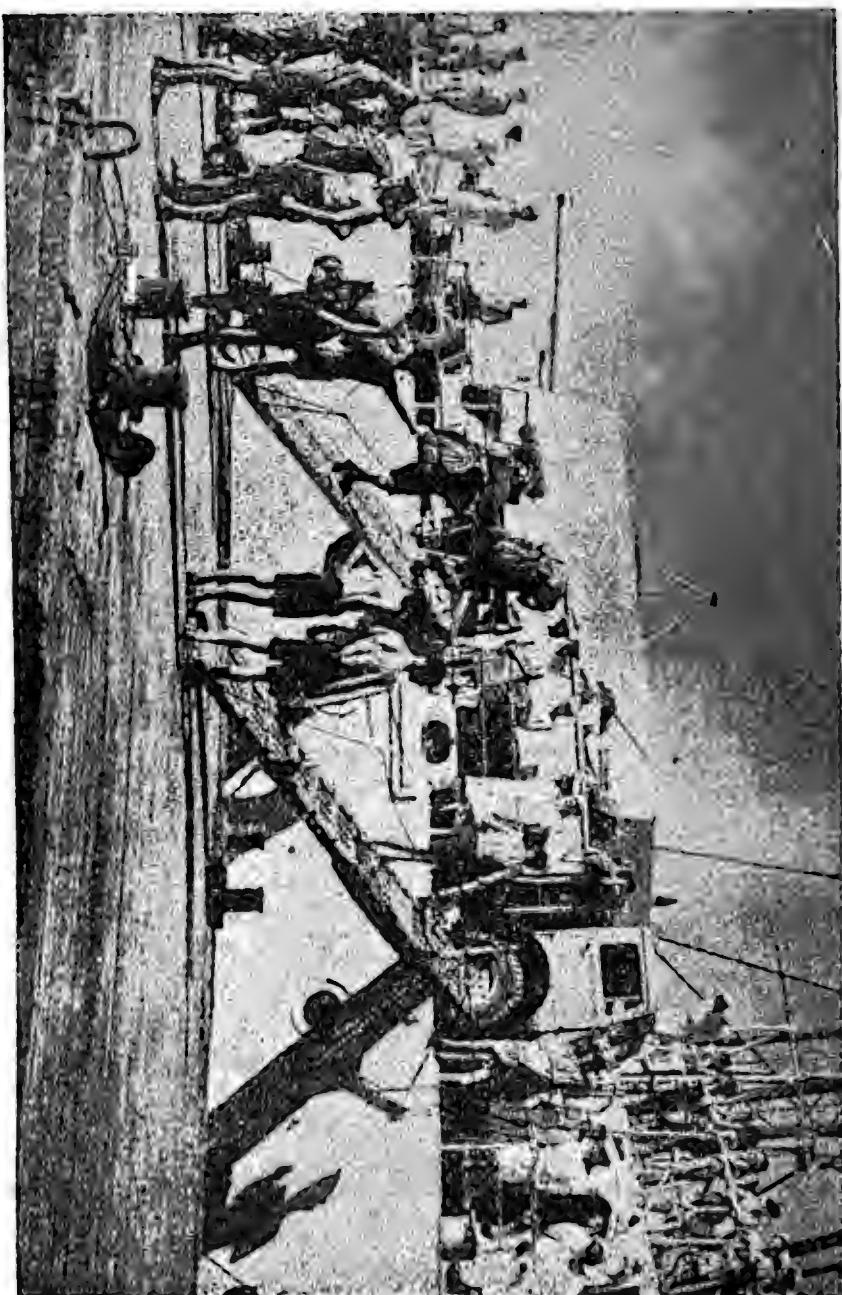
— نشر فضائح حملة « السويس » فى بريطانيا وفرنسا مما أضعف
كيان الحكومات والأحزاب التى اشتركت فى ترتيب الحملة
العدوانية .

— فشل كل محاولات الدس والمؤمرات التى خططها الاستعمار
حتى بعد العدوان .. ضد الجمهورية العربية المتحدة .. بل
وضد « جمال عبد الناصر » شخصيا مما أثبت قوته وإيمانه
بعقيدته للقومية وتأييد الشعب له ، والتفافه حوله .

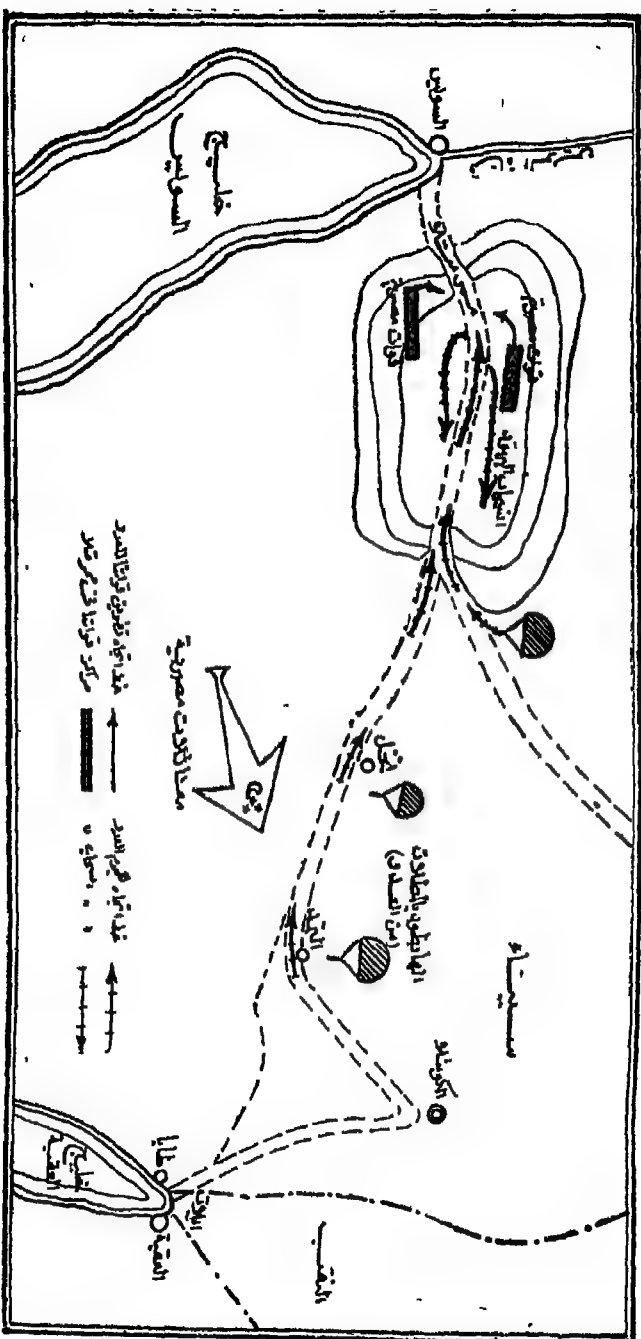
وأخيرا :

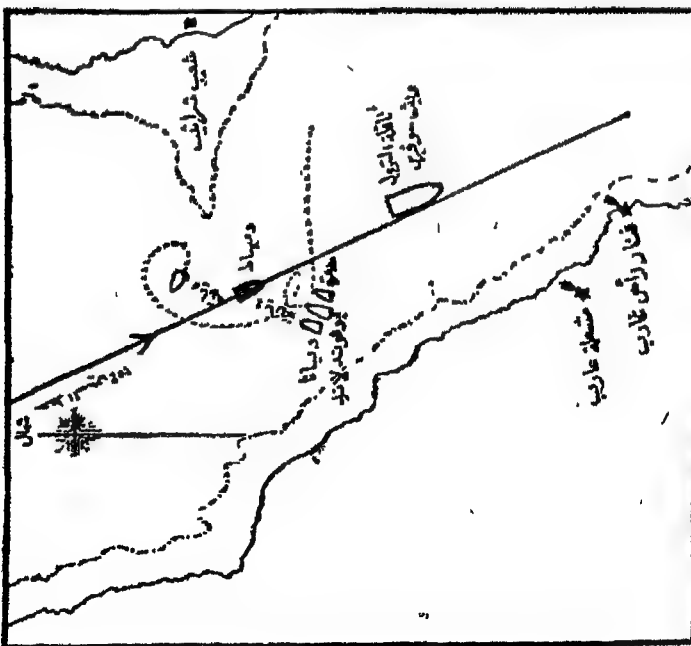
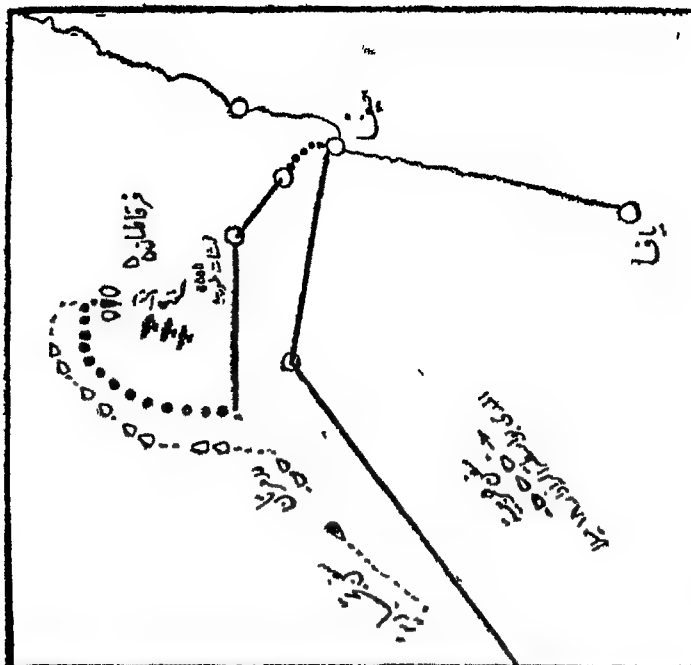
وبعد أن انتهينا من هذا السرد العادل ، وضح لنا كيف انتصرت
مصر لنفسها وللقومية العربية على يد شعبها وجيشها وقادتها
جمال عبد الناصر ... (ويستنبئونك أحق هو ، قل : اى ورى) .

صدق الله العظيم ..



انسحاب القوات البريطانية من بور سعيد





خريطة عامة لمناطق القتال في سبئاء وقناة السويس

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
المفصل الأول :	
الشرارة الأولى من أمريكا	٧
المفصل الثانى :	
توزيع القوات قبل العدوان	٢٩
المفصل الثالث :	
بدء الهجوم الاسرائيلى	٤٩
المفصل الرابع :	
معركة بور سعيد والقنال	١١٩
المفصل الخامس :	
معركة الدرلس والاسكندرية	١٥١
المفصل السادس :	
معركة القاهرة	١٦٥
المفصل السابع :	
الخاتمة	١٧٧

الدولة العثمانية للطباعة والنشر

الأسبوع الوطني للطباعة والنشر



العدد ٢٩١

—

العدد ٢٥

١٩٦٤/١٠/٢٣